د . عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي

الدعاء أسرار وأنوار



مكتبة الدار العربية للكتاب



الدعاء أسرار وأنوار

مكتبة الدار العربية للكتاب

24 ش الدكتور حسن إبراهيم من مكرم عبيد - ص . ب 7584 الحى الثامن - مدينة نصر - القاهرة - ت : 2741721

رقم الإيداع : 17459 / 2001
تجهيزات فنية : الإسراء ت : 3143632

الترقيم الدولى : 2 - 119 - 293 - 977
طبع: أمون ت : 7944356 - 7944517
الطبعة الأولى : شوال 1422 هـ يناير 2002 م

الدعــاء أســرار وأنـــوار

د. عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدى

الناشر
مكتبة الدار العربية للكتاب



إهـــداء...

إلى ابنتيَّ الحبيبتين.
الشيـــــماء
و
ســـــارة
رجاء أن ينفعنا الله وإياهما
وسائر المسلمين بما فيه من هُدًى
ونـــــور.




بسم الله الرحمن الرحيم



إشـراقـة النـور

خواطر بقلم:

الدكتور عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدى

كلية الزراعة ـ جامعة الأزهر

فى فَجْر يوم تجَلَّى الـنورُ ياصَـاحِ ... مـن رَوْض أحمـد مُنْبلجاً بإصْبَاحِ

وانْشَقَّ صُبْحُ الهدَى من بعد ظُلْمته ... عن جَوْهرٍ للتقـى والحُسْنِ وَضـاحِ

فقُلت للنفـس: هـذا طَيْـفُ حضْرتـه ... يَفُوقُ بَدْرَ الدُّجىَ فى ليله الصَّاحِى

وَفاضَ رَوْضُ النَّدى جُوداً وتَكرمَةً ... يَـروِى النُّفـوسَ بأكْـواب وأَقْدَاحِ

فَمَنْ يُدانيـنى فـى صبحْـى وَطَلْعَته؟ ... وَمَـنْ يُدانيـنى وَقَـدْ نُودِيتُ بالـرَّاحِ

رَاحُ الحبيـبِ المصْطَفَـى ظَهَـرتْ ... مِنْ نَحْو حُجْرَته بِفَتْح البابِ والسَّاحِ

فَامْنُنْ إلهـى بِوَصْـلٍ دائـم أبَـداً ... يَا خَـيْرَ مَدْعُـوٍّ وَمرجُـوٍّ بإلْحَـاحِ

واجـبر كسـيرًا أسـيرا مالـهُ سـندٌ ... إلَّاكَ يدعـوه فـى نُجـحْ وإصـلاحِ

ثم الصلاة على المختار من مُضَرٍ ... ما حنَّ مُشْتَاقٌ لذاك الروضِ والسَّاحِ

---

* أنشئت هذه الأبيات إثر مشاهدة هالات النور منبعثة من روضة الحبيب، سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - عقب صلاة الفجر، ويد من نور تلوح، وكنت آنذاك بين النائم واليقظان.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، القاهر بقدرته، الظاهر بعزته، الغالب بجبروته، الذى خلق ما خلق من غير مثال سبق، فهو الأول قبل الأبد، والآخر إلى غير أمد، وهو الذى ستر ذاته بستره الجميل، حتى سمت عن إدراك الأبصار وإن شاهدتها البصائر، سبحانه وتعالى، مستخرج الدعاء بالبلاء ومستخرج الشكر بالرجاء، هو الذى ثبتت بلطفه الأسباب، وجرى بطاعته القضاء، ومضت على ذكره الأشياء، فهى بمشيئته دون قوله مؤتمرة، وبإرادته دون وحيه منزجرة، فهو المدعوُّ للمهمات، والمفزع فى الملمات، لايندفع منها إلا ما دفع، ولاينكشف منها إلا ما كشف، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بيده مفاتيح الفرج، وله وحده ملك كل ما سار فى هذا الكون ودرج، من كوكب سيار، أو فلك دوار، من كل ما أظلم عليه الليل أو أشرق عليه النهار، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد أوراق الأشجار، لا توارى منه سماءٌ سماءً، ولا أرضٌ أرضاً، ولا بحرٌ ما فى قعره، ولا جبل ما فى وعره، يدبر أمر مملكته وفق مشيئته وإرادته، لايحتاج فى التدبير أو التسيير إلى رأى مشير أو عون وزير؛ لأنه هو اللطيف الخبير، وهو السميع البصير، فهو القائل فى محكم كتابه: ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[1].

ونشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، الذى أنزل الله عليه القرآن الكريم فوعاه عقله، وتضمخ بطيب عبيره فؤاده وقلبه، وأشرقت شموس هداياته على سماوات نفسه فاستضاءت بها جوارحه وجوانحه، فكان قرآنا يمشى على

(١) سورة الأنعام : ١٠٣.

الأرض، وكان رحمة الله للعالمين. ورضى الله عن الآل والصحب أجمعين، ومن تابعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

وبعد . . .

فإن الإنسان فى حياته الدنيا لايخلو من أن يكون فى أحد حالين: حال اليسر والرخاء، أو حال الشدة والبلاء، وهو فى كلا الحالين محتاج إلى استمطار رحمات ربه بتوثيق عرى صلته بخالقه؛ حتى لا يبطره الرخاء واليسر، ولا تقنطه الشدة والعسر؛ إذ لا تقل حاجته إلى شكر الله فى الرخاء، عن حاجته إلى الضراعة إليه برفع أسباب الشدائد بالدعاء، وكذلك تستمطر الرحمات فى أوقات الشدائد عن طريق الصبر والضراعة والدعاء، يقول الله تعالى : ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾[١]. وقد أمرنا الله تعالى بالدعاء، وتفضل وتكرم بالإجابة، مصداق ذلك قوله الكريم: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[٢]، كما أرشدنا إلى أن الدعاء هو العبادة، بل هو مخها، فعن النعمان بن بشير - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة**»[٣]، وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**الدعاء مخ العبادة**»[٤]، وفى الأثر الذى أخرجه أبو يعلى الموصلى مرفوعاً: «**الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض**».

ومما تجب الإشارة إليه أن الارتباط بين الرخاء واليسر، والشدة والعسر، إنما هو ارتباط وثيق؛ ففى الحديث الشريف المروى عن ابن عباس - رضى الله عنهما: «**تعرَّف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة، واعلم أن النصر مع**

(١) سورة النمل : ٦٢.
(٣) سورة غافر : ٦٠.
(٣) رواه ابن حبان والترمذى.
(٤) أخرجه الترمذى.

الصبر»[٦] ويقول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[٧] ولكن الخيط الدقيق الذى يفصل بينهما لا يهتدى إليه إلا أصحاب البصائر النيرة، أو القلوب الخيرة، ومع هذا فإن الإنسان محتاج إلى ما يقوى عزيمته فى كل حال وعلى أى حال؛ لكى يُسَلِّم لله فى كل أمر، بما يحقق له التوازن النفسى، والاعتدال الخُلُقى فى تلقى الأحداث واستقبالها، فلا يفْرط فى الأسى والحزن على ما فات، ولا يحمله تتابع النعم على البغى والعدوان، فالله - عز وجل - يحب من عباده المؤمنين أن يتلقوا المكاره بالرضاء والصبر، وأن يستقبلوا النعم بالتطامن والشكر، فمن رضى فله الرضا والأجر، ومن حمد فله المزيد والشكر، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٨]، ولاشىء أنفع فى تقوية هذا الشعور، ولا فى توثيق هذه الصلة من ذكر الله وشكره وحسن التوكل عليه، بأداء ما افترضه، وكذلك بالإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد الذى تُحل به العقد، وتنفرج به الكرب، وتستدفع به الشدائد والنقم، ويستسقى الغمام بوجهه الكريم، مع الاستعانة فى ذلك كذلك بقراءة الأخبار، وتعقل الآثار، التى تدل على تفضل الله على بعض خلقه، الذين استنقذهم الله من الشدائد والأزمات، بما فتح عليهم أو لهم من أبواب الدعوات والرجوات، وفى مقدمة هؤلاء الصفوة الأخيار من الأنبياء والمرسلين، وعباد الله الصالحون، والأخبار فى هذا الشأن كثيرة ووفيرة، مما حفل به القرآن والسنة النبوية المطهرة، ومما ساقه الله على ألسنة خلقه من اللاحقين، من الذين اتبعوهم بإحسان وأمان إلى يوم الدين، ولكن هذه الأخبار وتلك الآثار مبثوثة ومتفرقة، فى كتب التراث، وهى بحاجة إلى ضم شاردها إلى واردها، لكى يتحقق النفع بها والاستفادة منها بصورة طيبة.

(٦) رواه مسلم.

(٧) سورة الشرح: ٥، ٦.

(٨) سورة الحديد: ٢٢، ٢٣.

ولما كانت الحياة فى ظل الحضارة المادية الحديثة حياة تسيطر عليها المتاعب والقلاقل، ويستولى على أهلها الاضطراب والقلق، الأمر الذى يجعل العلاجات المادية غير مجدية فى كثير من الأحيان والأحوال، الأمر الذى يجعل الكثيرين يقعون فرائس سهلة، ولُقَمًا سائغة للسحرة والدجالين والمشعوذين الذين ينصبون الشراك والفخاخ، فلا يلبث الواحد منهم أن ينقلب إلى تابع مستكين، يسير خلف جلاَّده مسلوب الإرادة فى طريق طويل محفوف بالمخاطر والأوهام، فى شبه ذيلية مهينة، حتى ولو كان يحتل من المناصب ما يجعل الناس يشيرون إليه بالبنان، فقد وَجَدْتُ من الحكمة أن نذكر النفس بالاعتماد على الله واللجوء إليه وحده فى كل أمر، والاستغاثة به فى كل شدة وكرب، وذلك بجمع وترتيب باقة من الأدعية المستجابة، والتى تشتمل على أغراض حياتية شتى، لأناس وقعوا فى ضائقات مادية أو معنوية فداوموا عليها فأبدلهم الله بالعسر يسرًا، وبالضيق سعة وفرجاً ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[9]، فَعِلَلُ الإنسان وكُرُوبُه، وأمراضُه وشدائدُه تدور فى فلك المادة والروح تأثراً وتأثيراً، فكما أن الأمراض العضوية تتأثر كثيراً بالحالة النفسية، فإن الضائقات النفسية تصبح لونا من الأمراض الجسدية.

وعليه فإن محاصرة الداء بدواءين تكون أنجحَ وأنفعَ من الاقتصار على دواء واحد، فالدواء المادى بحاجة ماسةٍ إلى انضمام الدواء الروحى؛ لكى يقْوى تأثيره وتشتد فاعليته.

وقد استعنت بالله - تعالى - فأنفقت من الوقت أنْفسه، ومن الجهد أثمنه، سبحاً فى بحار كتب التراث الإسلامى الزاخرة بالدرر والنفائس، فى محاولة متواضعة لتقديم هذا المؤلف الذى أطلقت عليه «**الدعاء أسرار وأنوار**» فظفرت فيه ـ والْحمد لله ـ بالدرر الغوالى، واللآلئ الحسان، حيث قمت بجمع شاردها إلى واردها، كما عملت قدر استطاعتى على تنضيدها وترتيبها، فى صورة سهلة

---

(٩) سورة آل عمران : ١٧٤.

تعين القارىء على تذكرها، والتعلق بأسبابها، لكى يحرز خير الدنيا والآخرة فيزداد أنسه بربه بقدر قربه منه وإقباله عليه، وثقته به، واعتماده عليه، فهو الذى لاينسى من ذكره، ومن توكل عليه كفاه، ومن وثق به لم يكله إلى غيره، فهو يقيننا ورجاؤنا حين تتقطع بنا الأسباب، وهو ثقتنا حين تسوء ظنوننا بأنفسنا وبأعمالنا.

وقد رتبت موضوعات هذا الكتاب على النحو التالى:

المقدمة : وفيها بينت أهمية هذا الموضوع، وأهمية الكتابة فيه، على نحو ما ورد بها.

القسم الأول : ويتكون من بابين، وهما :

الباب الأول : ويتعلق بتوضيح معنى الدعاء وأهميته وفضله.

الباب الثانى : ويتعلق بآداب الدعاء، وزمانه ومكانه.

القسم الثانى : ويتعلق بالأدعية المستجابة (مجيب المضطرين)، ويتكون من:

الباب الأول : تفريج كروب الفقر والفاقة وضيق العيش والحال.

الباب الثانى: تفريج الكروب التى تحدث فى محيط الأسرة.

الباب الثالث : أدعية لدفع كرب الظلم بمختلف أشكاله وألوانه.

الباب الرابع: تفريج كروب الآلام والأمراض.

الباب الخامس: رفع الكروب التى لحقت بالمسلمين فى مواجهاتهم مع الكفار والمشركين.

الباب السادس : كروب النجاة من المخالفات والمعاصى.

الباب السابـــع: أدعية الاستسقاء ونزول المطر.

وهى أدعية صالحة للكثير من أغراض الحياة؛ حيث نورد خلالها الوقائع التى جاء فيها الفرج لأصحابها المكروبين ببركة الأدعية التى وفقهم الله إليها، سواء

أكانت من الكتاب والسنة، أم ممن أرشدهم الغير إلى الدعاء بها، أم كانت مما فتح الله به عليهم يقظة أو منامًا.

فإذا نزل بأحدنا كرب أو شدة، فما عليه إلا أن يلجأ - وعلى الفور - إلى صيدلية الدعاء يتناول منها ما يناسب حاله، واثقا بالله ومستيقنا فى إجابته، فإنه لا يلبث أن يفوز بمقامات الأولياء والصالحين، فإن قطرة من بحار جود ربنا تملأ الأرض ريا، ونظرة بعين رحمة مولانا تحيل الكافر وليا، فللدعاء أسراره وأنواره، وخيراته وبركاته، إذا ما استكمل الداعى شروطه وأركانه، حتى ولو كان الدعاء بذنب تاب العبد منه توبة نصوحا - وهذا من عظيم فضل الله على عباده، وواسع رحمته بهم، فلو أنك أذنبت ذنبا فى حق إنسان، ثم استحللته منه وتصافيتما فعلا، فإنه لا يود أن تخبره خبر هذه الواقعة فضلا عن أن تتوسل بها إليه فى قضاء حاجة مهمة، وضرورة ملمة، أما رب العالمين، الذى لا تنفعه الطاعة، ولا تضره المعصية، فإنه يقبل من عبده أن يدعوه، وأن يرجوه بهذا الذنب الذى تاب عليه منه، بل ويجعله من أرجى القربات؛ وذلك لأن العاصى الذى تاب الله عليه إذا توسل إلى الله بهذه الواقعة فإنما يتوسل إلى الله بعظيم فضله وواسع رحمته.

ولقد روى الحكيم الترمذى فى (نوادر الأصول) عن كعب الأحبار - رضى الله عنه - قال: قال الله تعالى لموسى ـ عليه السلام ـ: «**قل للمؤمنين لا يستعجلونى إذا دعونى، ولا يبخلونى، أليس يعلمون أنى أبغض البخيل؟ فكيف أكون بخيلا؟ ياموسى لاتخف منى بخلا أن تسألنى عظيما، ولا تستحى أن تسألنى صغيراً، اطلب إلىَّ الدَّقةَ، واطلب إلىَّ العلف لشاتك**».

فإن أكن بهذا الصنيع قد قاربت ما تصبو إليه النفس، فهذا من فضل الله وعظيم جوده وكرمه، والكمال لله وحده، وإن كان غير ذلك فما أنا إلا عبد خطاء كثير الزلل، وعزائى أننى اجتهدت، وحاولت - قدر جهدى - التخلص من أنانيات النفس، والله أسأل أن يلهمنا السداد والرشد، ببركة ما أجراه الله

على أيدى الصالحين من عباده من تفريج الكروب، وأن ينفع بهذا العمل كل قارىء ومطالع، إنه رب ذلك والقادر عليه، ثم الصلاة على المختار من مضر ماحنَّ مشتاق لذاك الروض والسَّاحِ.

وبالله التوفيق.

الدكتور

عبد الحكم بن عبد اللطيف الصعيدى

مدينة نصر

بتاريخ ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠م



القسم الأول

الباب الأول

مدخل إلى التعريف بالدعاء



أولاً : معنى الدعاء وَصِيَغُهُ:

الدعاء : هو الرغبة إلى الله - تعالى - والضراعة إليه - سبحانه وتعالى - وقد وردت كلمة (الدعاء) فى القرآن الكريم بمعان ثلاثة، وهى :

١- الضراعة :

وقد ورد هذا المعنى فى كثير من آى القرآن الكريم، وهذه أمثلة لذلك:

* يقول الله - تعالى - ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ﴾[١].

* ويقول - عزَّ من قائل - : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِى النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِى ضَلالٍ﴾[٢].

٢- التسمية :

* يقول الله تعالى - : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[٣].

* ويقول أيضا : ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا...﴾[٤].

---

(١) سورة البقرة : ١٨٦.

(٢) سورة غافر : ٤٩ ، ٥٠.

(٣) سورة الإسراء : ١١٠.

(٤) سورة الأعراف : ١٨٠.

٣- العبادة :

* يقول الله - تعالى : ﴿ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ . . .** ﴾[٥].

* ويقول أيضا : ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[٦].

فأكثر المفسرين يحملون الدعاء هنا على معنى العبادة، ويكون المعنى على ذلك:

اعبدونى أستجب لكم، والاستجابة هنا هى الإثابة، أى اعبدونى أثبكم، ومما يشهد لذلك قول رسول الله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»[٧].

* ويقول الله - عزول وجل - : ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** ﴾[٨].

ومما تجب ملاحظته هنا أن هذه المعانى الثلاثة التى أوردناها للدعاء يصح حمل بعضها على بعض، وإقامة بعضها مقام البعض الآخر، فالعبادة والتسمية ضراعة ورجاء.

ثانياً : أهمية الدعاء بالنسبة للمسلم:

ترجع أهمية الدعاء بالنسبة للمسلم إلى كونه وسيلة لاستمطار رحمات الله فى حال الشدائد، والتعرف إليه فى حال الرخاء، ففى الحديث الشريف: «**تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة**».

(٥) سورة الأعراف : ٢٩ ، ٣٠.

(٦) سورة غافر : ٦٠ .

(٧) رواه ابن حبان والترمذى.

(٨) سورة الكهف : ٢٨ .

فبواسطة الدعاء تنفرج الأزمات، وتنْحَلُّ العقد، وتُسْتَدفَعُ الشدائد والصعاب، هذا فضلا عن أن الدعاء فى حال الرخاء واليسر لون من ألوان العبادة، التى تَوَثِّقُ عُرى الصلة بالله، فشكر الله والثناء عليه هو الوسيلة الحقيقية لاستدامة النعمة، يقول الله تعالى-: ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾[1]. والدعاء المستوفى لشروطه وآدابه مظهر من مظاهر العبودية الحقة لله رب العالمين، وبقدر ما يُحَصِّلُ العبدُ من ضراعة وصدق وإخلاص فى دعائه بقدر ما يكون إقبال الله - تعالى - عليه، واستجابته لندائه، **ففى الدعاء خير الدنيا والآخرة: فيه البركة، فيه العافية، فيه المدد، فيه الغوث والأمان.**

ويكفى الدعاء فضلا أن الله يدفع به البلاء والعناء، يقول الله - تعالى - : ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾[2]. ومعنى ذلك : أن الله - سبحانه وتعالى - لايبالى ولا يعتد بعباده لولا عبادتهم إياه، فكما أن المؤمنين المطيعين يحصلون الثواب العظيم لقاء أعمالهم الخيرة، فالكافرون لايلتفت الله إليهم، بل يتركهم لأنفسهم، وهذه الآية تدل على أن الدعاء قد استعمل بمعنى العبادة، فالعبادة دعاء، والدعاء عبادة، والله يعطى عباده المؤمنين الحسنى وزيادة.

ثالثاً : التعارض بين الدعاء والقضاء والقدر شبهة داحضة:

قد علمنا - فيما سبق - أهمية الدعاء بالنسبة للمسلم، وأنه يفيد مما نزل ومما لم ينزل، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة والصريحة، ولكن مع وضوح ذلك كله فَرُبَّ معترض يلتبس عليه الأمر، وتختلط أمامه القضايا، ولايستطيع الوصول إلى حقيقة كل من الدعاء، والقضاء والقدر، فيقول: ما فائدة الدعاء إذا كان الله ـ تعالى ـ قد قَدَّر كل أمر وقضاه؟ فكل أمر فى علم الله - تعالى - مقدر ومعلوم بالنسبة لكل أحد؟!!

(١) سورة إبراهيم : ١٤.

(٢) سورة الفرقان : ٧٧.

وللإجابة على هذه الشبهة نقول :

إن الدعاء لايتعارض قطعاً مع عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، لما ثبت أن النبى ﷺ قد دعا الله فى مواطن كثيرة مع علمه التام بذلك، كما أخبرنا القرآن الكريم بأحوال أناس من الأنبياء والمرسلين والصالحين الذين دعوا الله - تعالى - فاستجاب لهم، بل إن كل واحد منا ليسأل الله أن يوسع له رزقه، مع علمنا التام بأن الله - سبحانه وتعالى - قد تكفل لنا بالأرزاق، وهو الذى يعلم مقاديرها وأماكن تحصيلها، وأزمان الحصول عليها، والآيات فى ذلك كثيرة وواضحة.

* يقول الله - تعالى - : **﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾**[1].

* ويقول أيضا : **﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**[2].

ونحن نسأل الله - تعالى - العافية، ونسأله سائر مطلوبات الحياة مع علمنا بأنها مقدرة، بل ولقد وردت الأحاديث التى تدل على أن الله يحب أن يُسْأل، وأنه يغضب من عبده الذى يُعرض عنه ولا يسأله، فعن ابن مسعود - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**سلوا الله من فضله، فإن الله يحب أن يُسأل، وإن أحب عباده إليه الذى يحب الفرج**».

وفى رواية القرطبى: «**أفضل العبادة انتظار الفرج**»، وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال : «**من لم يسأل الله غضب الله عليه**»[3].

وقد تصدى لهذه القضية الإمام أبو حامد الغزالى فقال :

---

(١) سورة هود : ٦.

(٢) سورة العنكبوت : ٦٠ .

(٣) البخارى فى الأدب المفرد.

«اعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء، واستجلاب الرحمة، كما أن الترس آلة يضعها المحارب على صدره، وهى سبب لرد السهم، والماء سبب لخروج النبات من الأرض.

فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان، وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله - تعالى - ألا يحمل السلاح، وقد قال الله تعالى: ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾[1]، وألا تُسقى الأرض بعد بذر النبات، وإن لم يُسْق لم ينبت، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذى هو كلمح البصر أو هو أقرب، والذى قدر الخير قدره بسبب، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته»[2].

ولعل فى الواقعة التى سنوردها - فيما يأتى - ما يعين على فهم طبيعة الإيمان بالقضاء والقدر وعلاقة العمل بذلك، فقد جاء «سراقة بن مالك» إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خُلقْنَا الآن، ففيم العمل؟ أفيم جفت به الأقلام، وجرت به المقادير، أم فيما يُستقبل؟ فقال رسول الله ﷺ: «**فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير**» قال سراقة : ففيم العمل؟ فقال النبى ﷺ : «**اعملوا فكل مُيَسَّرٌ لما خلق له**».

ومعنى هذا الحوار أن النبى ﷺ قد رغب الناس فى العمل، ورهبهم بسابق القدر، ولم يترك أحد الأمرين للآخر، بل قال: إن كل إنسان مُيَسَّرٌ لما خلق له، بمعنى أنه ميسر فى حياته للعمل الذى سبق به القدر قبل وجوده؛ ولهذا فإن الأفعال التى دعت إليها الشريعة كنوع من الدعاء الذى يخفف عن الناس يمكن حمله على هذا المعنى.

* فصلاة الجنازة دعاء للميت، وهى عبادة مشروعة، وليست من عمل الميت، وإنما هى من عمل غيره، ومع هذا فإننا مأمورون بها على سبيل الفرض

---

(١) سورة النساء : ١٠٢.

(٢) إحياء علوم الدين، ج١، ص ٣٣٦.

الكفائى، لو لم يقم بها أحد من المسلمين لكانوا آثمين جميعاً، وإن قام بها البعض سقط الإثم عن الباقين.

* وصلاة الكسوف والخسوف، وصلاة الاستسقاء، هذه عبادات مشروعة، وهى ضراعة إلى الله وابتهال، ولها هيئات معروفة، وكيفيات مخصوصة.

* وكذلك الصلاة والدعاء عند كل أمر مخوف، كالزلازل والصواعق، والعواصف الشديدة التى تعرف بالأعاصير (جمع إعصار)، كل هذه الأمور يجب الفزع عند حلولها إلى الله، وقد حث النبى ﷺ على ذلك فقال: «**إذا رأيتم من هذه الأفزاع شيئا فارغبوا إلى الله بالدعاء**».

والإنسان بفطرته يلجأ إلى الله عند الشدائد، ومهما كانت درجة إيمانه بالله من الضعف أو من القوة، والأحاديث فى هذا الشأن، ووقائع الدهر أكثر من أن تحصى.

وبهذا يمكن التوفيق بين الأمر بالدعاء والإيمان بالقضاء والقدر، ويؤكد أن شبهة التعارض بينهما شبهة داحضة، فهى أوهى من بيت العنكبوت، فنحن فى حياتنا الدنيا نفر من قدر إلى قدر، نفر من قدر الجوع إلى قدر الشبع، ونفر من قدر الظمأ إلى قدر الرى، ونفر من قدر المرض إلى قدر العافية والصحة، وكذلك سائر مفارقات الحياة، ويذكر أن أبا عبيدة بن الجراح قال لعمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - حينما كان سائرا إلى الشام، فسمع بطاعون عمواس فرجع ولم يدخلها : أتفر من قدر الله؟ فقال له عمر: نعم أفر من قدر الله إلى قدر الله. أى يفر من قدر المرض والوباء إلى قدر الصحة والعافية، ثم ضرب له مثلا بالأرض الجدباء والأرض الخصبة، وأنه إذا انتقل بإبله من الأرض الجدباء إلى الأرض الخصبة ليرعى فيها إبله فإنه ينتقل من قدر الله إلى قدر الله.

رابعاً : الاحتجاج بالقضاء والقدر على تبرير ارتكاب المعاصى :

ينبغى أن نفهم الإيمان بالقضاء والقدر على نحو ما ورد، وفى ذات الوقت لاينبغى أن نحتج به على ارتكاب المعاصى واقتراف الذنوب؛ لأن ذلك يدل على عدم فهم هذه القضية فهما دقيقا صحيحا، وهذه نماذج من الأمثلة التى توضح لنا ذلك:

* دخل رسول الله ﷺ يوماً على الإمام على - كرم الله وجهه - بعد صلاة العشاء، فوجده قد بكر بالنوم، فقال له : «**هلاّ قمت من الليل؟**» فقال: يارسول الله أَنفُسُنَا بيد الله، إن شاء بسطها، وإن شاء قبضها، فغضب رسول الله ﷺ وخرج وهو يضرب على فخذه ويقول: ﴿**وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً**﴾[1].

* سرق أحد اللصوص، فلما حضر بين يدى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - سأله : لم سرقت؟ فقال: قدَّر الله ذلك علىَّ. فقال عمر: اضربوه ثلاثين سوطا ثم اقطعوا يده، فقيل له: ولم يا أمير المؤمنين؟ فقال: يقطع لسرقته، ويضرب لكذبه على الله.

* روى عن جابر - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ أنه قال: «**يكون فى آخر الزمان قوم يعملون بالمعاصى، ثم يقولون: الله قدرها علينا، الراد عليهم يومئذ كالشاهر سيفه فى سبيل الله**».

ونود أن نتوج هامَ هذا الموضوع بما يلى :

* روى ابن جابر - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «**يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه فيقول: عبدى إنى وعدتك أن تدعونى، ووعدتك أن أستجيب لك، فهل كنت تدعونى؟ فيقول: نعم يارب، فيقول: إنك لم تَدْعُنى بدعوة إلا استجبت لك، أليس دعوتنى يوم كذا وكذا لغَمٍّ نزل بك أن أفرج عنك**

---

(١) سورة الكهف : ٥٤.

ففرجت عنك؟ فيقول: نعم يارب، فيقول: إنى عجلتها لك فى الدنيا، ودعوتنى يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك فلم تر فرجاً؟ قال : نعم يارب، فيقول: إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا» ويظل - سبحانه وتعالى - يبين لعبده المؤمن كل دعوة دعا بها، إما أن يكون قد عجل له بها فى الدنيا، أو يكون ادخرها له فى الآخرة حتى يقول المؤمن عندئذ: ياليته لم يكن عُجِّلَ له شىء من دعائه فى دنياه.

*** ولقد كان القطب الربانى، والفرد الصمدانى، العارف بالله سيدى إبراهيم القرشى الدسوقى - رضى الله عنه - يردد دائما بعد كل صلاة : أعددت لكل هول ألقاه فى الدنيا والآخرة لا إله إلا الله، ولكل هم وغم ما شاء الله، ولكل نعمة الحمد لله، ولكل رخاء وشدة الشكر لله، ولكل أعجوبة سبحان الله، ولكل ذنب أستغفر الله، ولكل مصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون، ولكل ضيق حسبى الله ونعم الوكيل، ولكل قضاء وقدر توكلت على الله، ولكل طاعة ومعصية لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.**

* إذا كان العبد المؤمن سيفوز فى كل دعاء لله بأجر واستجابة، مصداقا لما رواه سلمان الفارسى ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن ربكم ـ تبارك وتعالى ـ حَيِىٌّ كريم، يستحى من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردَّهما صفراً»** وفى رواية : **«صفرا خائبتين»**[1].

فإن على العبد المؤمن أن يتعلم أحكام الدعاء وآدابه؛ ذلك لأن جهله بهذه الأحكام سيوقعه فى بعض الشدائد والمحن التى لايدرى لها سببا، وكل ما يعلمه أنه يقبل على ربه ضارعًا إليه وخائفا منه، كهذا الرجل الذى كان يدعو الله بأن يعجل له العقوبة فى الدنيا، فلم ينجه من الخطر إلا دعاء الرسول ﷺ له.

(١) رواه أبو داود والترمذى.

الباب الثانى

آداب الدعـــاء



الفصل الأول

الآداب التى تتعلق بالداعى



نظرا لأهمية الدعاء بالنسبة للمسلم، فهو محتاج إلى توثيق عُرَى الصلة بالله عن طريقه فى كل حال، وعلى أى حال، فقد شاء الله - تعالى - أن نقدم لك - أخى القارئ - طائفة من الأقوال والأفعال والهيئات التى يجب عليك ملاحظتها، والإتيان بها عند إرادة الدعاء؛ حتى تكتسب دعواتك قوة دفع ورفع تجعلها حَرِيَّةً بالصعود إلى الله - تعالى - كما تكسبها القبول من رب العزة - تبارك وتعالى - وذلك مصداقا لقوله الكريم: **﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ...﴾**[1]، وقد أطلقت على هذه الأشياء «**آداب الدعاء**»، وهى بلا شك من الكثرة بمكان، وقد قمت بعرضها بطريقة شيقة لاتشق على الداعى، وإنما يسهل معها تذكرها والالتزام بها، وهى بصورة مجملة تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهى:

*** الآداب التى تتعلق بالداعى نفسه:**

ومنها ما يكون قبل الدعاء، ومنها ما يكون حال الدعاء، ومنها ما يكون عقيب الدعاء.

*** الآداب التى تتعلق بتحرى أوقات قبول الدعاء :**

ومنها ما يتكرر يوميا أو أسبوعيا، ومنها ما يتكرر سنويا، ومنها ما يدركه العبد بحسه الصادق.

*** الآداب التى تتعلق بتحرى أماكن قبول الدعاء.**

---

(١) سورة فاطر : ١٠.

ويمكننا الآن تفصيل ما أجملناه على النحو التالى:

الآداب التى تتعلق بالداعى نفسه

وهى عبارة عن مجموعة الأفعال والأحوال والسلوكيات التى يجب على الداعى أن يقوم بها فى كل مرحلة من مراحل إقباله على الله والضراعة إليه، وانتهاء بالفراغ من الدعاء وانتظار حصول الفرج أو قضاء الحاجة التى من أجلها كان الدعاء، وكذلك ما ينبغى أن يفعله العبد إذا قضى الله له حاجته، وهذه الآداب تنقسم إلى ثلاث مجموعات فرعية، بيانها كالتالى:

أولاً : الآداب التى تسبق الشروع فى الدعاء

١- أن يكون على طهارة:

فَيُسَنُّ للعبد عند إرادة الدعاء أن يتطهر من الأدران (جمع درن، وهو الوسخ) والأرذال، فيكون على حال طيبة من الطهارة النفسية والبدنية، تنبع من الإيمان الخالص بالله رب العالمين، كإخلاص النية، وحضور القلب، وصفاء النفس، والعمل بما أمر الله فى كتابه العزيز، وبما جاء فى سنة النبى الكريم ﷺ وهذا أمر بدهى يجب أن يقوم الداعى به استعدادا للشروع فى الدعاء، وقد وردت الأحاديث الشريفة التى تبين لنا فضل الطهارة الحسية والمعنوية وأهميتها عند إرادة الدعاء، فالطهارة من الأحداث والأنجاس تضفى على الإنسان صلاحاً وفلاحاً، وسنورد جانبا من هذه الأحاديث الشريفة فيما يلى :

* عن عبد الله بن أبى أوفى قال: قال رسول الله ﷺ : «**من كانت له حاجة إلى الله - تعالى - أو إلى أحد من بنى آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء، ثم ليصل ركعتين، ثم ليثن على الله، ولْيُصَلِّ على النبى ﷺ ثم ليقل : لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، أسألك موجبات**

رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل برّ، والسلامة من كل إثم، لاتدع لى ذنبا إلا غفرته، ولا هما إلا فرجته، ولا حاجة هى لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين»[1].

* وعن أبى موسى الأشعرى أنه قال: إن رسول الله ﷺ دعا بماء ثم توضأ ثم رفع يديه فقال: «اللهم اغفر لعبيد بن عامر»[2].

* عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن، فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقيا من الذنوب»[3].

* عن عثمان بن عفان: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره»[4].

* عن على بن أبى طالب أن رسول الله ﷺ قال: «إسباغ الوضوء فى المكاره، وإعمال الأقدام إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة يغسل الخطايا غسلا»[5].

* وقد ورد أن سيدنا عثمان بن عفان - رضى الله عنه - توضأ وضوءا سابغاً ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئى هذا، ثم قال: «من توضأ وضوئى هذا، ثم صلى ركعتين لايُحَدِّث نفسه فيهما بشىء إلا غفر له ما تقدم من ذنبه».

---

(١) رواه الترمذى، وأخرجه الحاكم فى مستدركه.

(٢) رواه البخارى، ومسلم، والترمذى، والحاكم.

(٣) رواه مالك، ومسلم، والترمذى، وليس عند مالك والترمذى غسل الرجلين.

(٤) رواه مسلم، والنسائى.

(٥) رواه أبو يعلى، والبزار بإسناد صحيح، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.

* عن المهاجر بن قنفد، أنه سلم على النبى ﷺ وهو يتوضأ، فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه، فرد عليه، وقال: «**إنه لم يمنعنى أن أرد عليك إلا أنى كرهت أن أذكر الله إلا على طهارة**»[1].

وفضلا عن هذا وذاك، فإن الطهارة شئ يحبه الله ورسوله، فقد قال الله - تعالى -: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾[2]، وقال أيضا: ﴿... **لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**﴾[3].

* أخرج الترمذى أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم، ولاتشبهوا باليهود**».

٢- الاجتهاد فى فعل المأمورات وترك المنهيات:

من الأمور الهامة، والآداب المفيدة، التى يجب على الداعى أن يلاحظها جيدا، وأن يهتم بها فى كل حال، وبخاصة عند إرادة الدعاء: الاجتهاد فى فعل الطاعات، من نحو أداء الفرائض والواجبات، وأن يلزم نفسه قول الحق والصدق، وأن يقلع عن المعاصى التى ربما يكون مقيما عليها، ويتجنب فعل المنهيات، فكل هذه الأمور تكسب صاحبها درجة التقوى، فمن المعلوم أن قبول الدعاء والأعمال الصالحة مقصور على المتقين، يقول الله - تعالى-: ﴿... **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾[4].

---

(١) رواه أحمد، وابن ماجه بنحوه.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٣) سورة التوبة : ١٠٨.

(٤) سورة المائدة: ٢٧.

٣- تحرى الطيِّب الحلال من المطعم والمشرب:

كما يجب على المسلم أن يكون تقيا نقيا، فإن عليه أن يكون ورعاً كذلك، يحرص دائماً وأبداً أن يكون مطعمه ومشربه وملبسه وكل كسبه حلالا، وهذا عنصر هام جدا، لأنه يجعل دعاء العبد مقبولا، فتحرى الحلال دليل على حسن التوجه إلى الله، وحسن الثقة به، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: **﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا...﴾**[1]، وقال: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾**[2] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبرَ، يمد يديه إلى السماء: «**يارب يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام فأنى يستجاب له؟**»[3].

وقد أوصى النبى ﷺ سعدَ بن أبى وقاص - رضى الله عنه - قائلا له: «**ياسعد أَطِبْ مطعمك تكن مستجاب الدعوة**»[4].

٤- التوبة النصوح ورد المظالم إلى أصحابها:

على العبد أن يتوب إلى الله - تعالى - توبة نصوحاً قبل الشروع فى الدعاء، ولئن كانت التوبة النصوح واجبة على العبد فى كل أحواله فإنها تكون أَوْجَبَ وألزم عند إرادة الدعاء، فقد تضافرت آى القرآن الكريم، والسنة النبوية الطهور على وجوب التوبة على المسلم والإسراع بها؛ لكى يلحق بركب الصالحين، ويسلك طريق الفالحين، وفى ذلك يقول الله تعالى:

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5].

---

(١) سورة المؤمنون: ٥١.

(٢) سورة البقرة: ١٧٢.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه ابن ماجه، والنسائى، وأحمد.

(٥) سورة النور : ٣١.

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[1].

ويقول رسول الله ﷺ :

«يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه؛ فإنى أتوب إليه فى اليوم مائة مرة»[2].

«إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»[3].

والإجماع منعقد على وجوب التوبة؛ لأن الذنوب مُبْعِدَةٌ عن الله، فيجب الهرب منها. سواء أكانت تلك الذنوب من الصغائر أم من الكبائر، ولْيُعْلَمْ أن الإصرار على الصغيرة كبيرة، وأنه لاصغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع التوبة والاستغفار.

ويقول رسول الله ﷺ: «إن الرجل لَيُحَرَمُ الرزقَ بالذنب يُصِيبُه، ولايَرُدُّ الْقَدَرَ إلا الدعاء، ولايزيد فى العمر إلا البر»[4].

ويقول أيضا: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو مال فليتحلله منه اليوم، قبل أن لايكون درهم ولا دينار، إن كان له عمل صالح أُخذ بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أُخِذَ من سيئات صاحبه فيحمل عليه»[5].

وقد روى كعب الأحبار قال: أصاب الناسَ قحطٌ شديد على عهد موسى - عليه السلام - فخرج ببنى إسرائيل يستسقى بهم، فلم يُسْقَوا، فخرجوا ثلاث مرات ولم يسقوا، فأوحى الله إلى موسى: يا موسى إنى لا أستجيب لك ولا

(١) سورة التحريم : ٨.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه ابن ماجه والنسائى وأحمد.

(٥) رواه البخارى عن أبى هريرة.

لمن معك وفيكم نَمَّام، فقال موسى: يارب ومن هو حتى نُخْرِجَه من بيننا؟ فأوحى إليه: ياموسى أأنهاكم عن النميمة وأكون نماما!! فقال لبنى إسرائيل: توبوا جميعاً إلى الله.

ويشترط لقبول التوبة شروط ذكرها أهل العلم، ومنها:

* **الندم على فعل المعصية:** فعن ابن مسعود - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «**الندم توبة**».

* **الإقلاع عن المعصية التى يتلبس بها، ومفارقتها فوراً.**

* **العزم الأكيد على عدم العود إلى معصية أبداً:** بمعنى أن يتدارك ما فات، وأن يصلح ما هو آت، فإن كانت المعاصى تفريطا فى عبادة وجبت عليه، فعليه أن يقوم بأدائها أو قضائها، كالصلاة والزكاة والصيام وسائر العبادات، وإن كانت المعصية خطيئة لاتوجب غرامة كالنظر إلى محرم حَزِن على قيامه بها، فإن فقد أحد هذه الشروط السابقة لم تصح توبته، وكان كالمستهزىء بربه. وكل هذا إذا كانت المعصية فى جانب الله - تعالى -...

* إذا كانت المعصية تتعلق بحق آدمى، فيجب للتوبة منها أن يبرأ العبد من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو متاعاً اغتصبه أو أخذه بغير وجه مشروع، أو تسبب بفعله أو قوله فى ضياعه أو هلاكه، وجب عليه رده إلى صاحبه إن كان ذلك المال موجوداً، أوْ رَدَّ قيمته أو مثله عند تلفه أو فقده إن كان مِثْلِيًّا أو قِيمِيًّا.

وإن كانت المعصية غيبةً استحله منها إن كان صاحبُها عاقلا حليماً، يغلب على الظن أنه إذا جاءه أخوه المسلم نادماً تائباً عفا عنه وسامحه، وإن كان يعلم أن خُلُقَه غير ذلك فليستغفر له. فعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته، تقول: اللهم اغفر لنا وله**».

٥- الاستغفار:

يجب على مريد الدعاء أن يستغفر الله كثيرا قبل الشروع فى الدعاء؛

فالاستغفار مدخل عظيم من مداخل إجابة الدعاء، حيث يعلن العبد فيه أوبته إلى ربه، وإقراره بذنبه، ويُلح فى طلب المغفرة، وفى هذا المعنى يقول الرسول ﷺ فيما يرويه عنه عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما-: «**من لَزِم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق فرجاً، ومن كل هم مخرجاً، ورزقه من حيث لايحتسب**»(١).

ويقول رسول الله - ﷺ -: «**أنزل الله علىَّ أمانين لأمتى. ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(٢)، فإذا مَضَيْتُ تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة**»(٣).

وقد أورد الإمام ابن رجب الحنبلى فى (جامع العلوم والحكم) استغفار مطرف بن عبد الله، والذى يقول فيه: «**اللهم إنى أستغفرك مما تبت إليك منه ثم عدت فيه، وأستغفرك مما جعلته لك على نفسى ثم لم أوَفِّ لك به، وأستغفرك مما زعمتُ أنى أردت به وجهك فخالط قلبى منه ما قد علمت**».

ثانيا: هيئة الداعى أثناء الشروع فى الدعاء:

اعلم - وفقنى الله وإياك لكل خير - أن للدعاء هيئة خاصة، يجب على الداعى أن يتقيد بها؛ لأن الدعاء عبادة، ولكل عبادة هيئة تؤدى عليها، والالتزام بذلك يجعل الدعاء حَرِيًّا بالقبول، وسنورد لك هذه الهيئة فيما يلى:

١- الجلوس والاتجاه إلى القبلة؛ فهذه الجهة مباركة، والدعاء إليها يكتسب القبول بإذن الله.

٢- أن يحمد الله، وأن يصلى على النبى ﷺ وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين.

---

(١) رواه أبو داود، والنسائى، وابن ماجه، وابن أبى الدنيا.

(٢) سورة الأنفال: ٣٣.

(٣) رواه الترمذى.

٣- أن يمد يديه إلى السماء أثناء الدعاء.

وكيفية ذلك أن يدعو الله ببطنى كفيه إن كان ذلك فى طلب حاجة، وإن كان سؤاله لدفع بلاء فإنه يدعو الله بظهرى كفيه، وإنما استحب ذلك للداعى لأن الله - تعالى - قد ذم أقواماً يقبضون أيديهم فقال: ﴿. . . **يَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ**﴾[١]. ويمسح وجهه بكفيه عقيب الدعاء، فقد قال رسول الله ﷺ: «**ادعوا الله ببطون أكفكم، فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم**»[٢].

وفى رواية لأبى داود أيضا: «**لا تستروا الجدر، من نظر فى كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر فى النار، سلوا الله ببطون أكفكم، ولا تسألوه بظهورها، فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم**».

٤- وأن يرفع بصره إلي السماء :

وإنما يفعل الداعى ذلك لأن السماء هى قبلة الدعاء؛ ولأن النبى ﷺ دعا هكذا يوم بدر حتى سقط رداؤه، كما كان يدعو فى مواطن أخرى هكذا ويرفع يديه وبصره حتى يظهر بياض إبطه الشريف ﷺ.

٥- أن يعظم الرغبة :

ويستحب للداعى أن يدعو بالأشياء العظيمة؛ لأن الله لا يعجزه شئ، وقد قال رسول الله ﷺ : «**إذا دعا أحدكم فَلْيُعْظِمِ الطِّلْبَةَ؛ فإنه لا يعظم على الله شئ**».

٦- الجزم في الدعاء :

ينبغى للعبد المؤمن أن يكون ذا ثقة بالله فى وصول الإجابة وحصولها عند الدعاء، يعتقد ذلك، ومهما كان الأمر الذى يدعو من أجله فإن الله - عز وجل - لا يعظم عليه شئ أو أمر، يقول رسول الله ﷺ: «**إذا دعا أحدكم فليجزم المسألة، ولا يقولن: اللهم إن شِئْتَ فأعطنى، فإنه لا مستكرِه له**»[٣].

(١) سورة التوبة: ٦٧.

(٢) رواه أبو داود فى كتاب الدعاء.

(٣) رواه البخارى، ومسلم، وأحمد.

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلمو أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه**»(١).

٧- الإلحاح فى الدعاء:

والإلحاح فى الدعاء ممدوح؛ لأنه لون من ألوان التذلل إلى المولى - عز وجل - ولون من الخضوع لعظمته، ولون من حسن الظن به وبرحمته؛ ولذا فقد حذرنا النبى ﷺ من الاستعجال فى حصول المطلوب؛ لأنه يؤدى إلى ترك الإلحاح، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «**لايزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل، قيل: يارسول الله مَا الاستعجال؟ قال: يقول: دعوت فلم أرَ يستجيب لى، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء**»(٢).

٨- خفض الصوت بالدعاء :

يستحب للداعى أن يخفض صوته بالدعاء، بحيث يكون صوته فى الدعاء بحال بين الجهر والمخافتة؛ ليتحقق له وقار الدعاء، الذى يجعله حريًّا بالرجاء، يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾(٣).

ولقد كان النبى ﷺ ينهى أصحابه عن رفع الصوت بالدعاء، فلقد ورد فى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى قال: رفع الناس أصواتهم بالدعاء، فقال رسول الله ﷺ : «**أيها الناس: أربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لاتدعون أصَمَّ ولا غائبا، إن الذى تدعون سميع قريب**». وفى رواية: «... **إن الذى تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم**».

---

(١) رواه الترمذى، والحاكم.

(٢) رواه مسلم بشرح النووى.

(٣) سورة الأعراف: ٥٥.

ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم، وفى هذا المعنى يقول الحسن - رضى الله عنه -:

كان الرجل قد جمع القرآن (حفظه) وما يشعر به الناس، وكان الرجل قد فَقُهَ الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وكان الرجل يصلى فى بيته وعنده زواره وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدرون أن يعملوه فى السر فيكون علانيةً أبداً، ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم؛ إن الله يعلم القلب التقى، والدعاء الخفى؛ وذلك أنه يقول: ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً** ﴾ وذكر عبداً صالحا رضى فعله فقال: ﴿ **إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا** ﴾[1]، فإذا كان الدعاء المأمور به فى الآية قد اقترن بالتضرع والإسرار، فإن الإخلال بالإسرار كالإخلال بالتضرع، وإن دعاء لاتضرعَ فيه ولا خشوعَ قليلُ الجدوى، وكذلك دعاء لاخفية فيه ولا وقار.

ولإخفاء الدعاء فوائد لخصها الإمام ابن القيم فيما يلى :

١- هو دليل على عظمة الإيمان؛ لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع دعاءه الخفى.

٢- فيه دليل على عظمة الأدب وتعظيم الله : فإذا كان الله يسمع الدعاء الخفى، فلا يليق بالأدب إلا خفض الصوت بين يديه.

٣- إنه أبلغ فى التضرع والخشوع.

٤- إنه أبلغ فى الإخلاص.

٥- إنه أبلغ فى جمع القلب على الله فى الدعاء.

٦- إنه يدل على قرب العبد من الله؛ فإنما ينادى على البعيد.

٧- ليس فيه اجتهاد فيكون أدعى لدوام الطلب والسؤال.

---

(١) سورة مريم : ٣.

٨- أن يختم دعاءه بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، فإن الله - عز وجل - قد تفضل بقبول الصلاة على الرسول ﷺ وهو أكرم من أن يقبل الصلاة فى أول الدعاء وفى آخره على رسول الله ﷺ ويترك ما بينهما.

ثالثاً : استفتاح الدعاء بألفاظ الإجابة، وصِيَغُهَا:

يستحب أن يستفتح الداعى دعاءه بألفاظ وعبارات خاصة وردت السنة بفضلها وبركتها فى الاستفتاح وقبول الدعاء، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنها بدايات طيبة، يستجيب الله عقيبها الدعاء، وقد ورد أن فى بعضها اسم الله الأعظم الذى إذا دعى الله به أجاب وإذا سئل به أعطى، وسنورد لك جانبا منها فيما يلى :

١- «اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد»:

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول : «اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد» فقال النبى ﷺ : «**لقد سأل الله باسمه الأعظم الذى إذا سئل به أعطى، وإذا دعى به أجاب**»(١).

٢- يا ذا الجلال والإكرام:

عن معاذ بن جبل - رضى الله عنه - قال: سمع النبى ﷺ رجلا وهو يقول: يا ذا الجلال والإكرام، فقال: «**قد استجيب لك فَسَلْ**»(٢).

٣- يا أرحم الراحمين:

عن أبى أمامة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه أبو داود، والترمذى وحسنه، وابن ماجه، وابن حبان فى صحيحه، والحاكم إلا أنه قال فيه: «لقد سألت الله باسمه الأعظم» وقال الحافظ المقدسى: وإسناده لا مطعن فيه، ولم يرد فى هذا الباب حديث أجود إسنادا منه.

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن.

«إن لله ملكا موكلا بمن يقول: يا أرحم الراحمين، فمن قالها ثلاثا قال الملك: إن أرحم الراحمين قدْ أقبل عليك فَسَلْ»[١].

٤- «اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، ياحنان، يامنان، يا بديع السموات والأرض، ياذا الجلال والإكرام».

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: مر النبىﷺ بأبى عباس زيد بن الصامت الزرقى وهو يصلى ويقول: اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت ياحنان، يامنان، يابديع السموات والأرض، ياذا الجلال والإكرام. فقال رسول الله ﷺ : **«سألت الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى»**[٢].

٥- لا إلـه إلا الله، والله أكـبر، لا إله إلا الله وحـده لاشـريك له، له المـلك ولـه الحمـد وهـو على كـل شـىء قـديـر، لا إلـه إلا الله ولاحـول ولا قـوة إلا بالله:

عن معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من دعا بهؤلاء الكلمات الخمس، لم يسأل الله شيئا إلا أعطاه: لا إله إلا الله، والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله»**[٣].

٦- يارب ، يارب ، يارب :

عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ : **«إذا قال العبد: يارب، يارب، يارب، قال الله: لبيك عبدى سَلْ تُعْطَ»**[٤].

---

(١) رواه الحاكم.

(٢) رواه أحمد واللفظ له، وابن ماجه، وأبو داود، والنسائى، وابن حبان.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط بإسناد حسن.

(٤) رواه ابن أبى الدنيا مرفوعاً هكذا، وموقوفا على أنس.

٧- رَبِّ ربِّ:

عن أبى الدرداء وابن عباس - رضى الله عنهم - أن رسول الله ﷺ :

قال : «**اسم الله الأكبر: رَبِّ رَبِّ**»[١] .

٨- اللهم إنى أسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك، الأحب إليك، الذى إذا دعيت به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت، وإذا استُرحمت به رحمت، وإذا استفرجت به فرَّجت:

عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم إنى أسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك، الأحب إليك، الذى إذا دعيت به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت، وإذا استرحمت به رحمت، وإذا استُفْرِجْتَ به فرَّجْتَ**» قال: فقال يوماً: «**ياعائشة: هل علمت أن الله قد دَلَّنى على الاسم الذى إذا دعى به أجاب؟**» قالت: فقلت: بأبى أنت وأمى يارسول الله فَعَلِّمْنيه، قال: «**إنه لاينبغى لك ياعائشة**» قالت: فتنحيت وجلست ساعة، ثم قمت فَقَبَّلْتُ رأسه ثم قلت: يارسول الله علمنيه، قال: «**إنه لاينبغى لك ياعائشة أن أعلمك، فإنه لاينبغى أن تسألى به شيئا للدنيا**» قالت: فقمت فتوضأت، ثم صليت ركعتين، ثم قلت: اللهم إنى أدعوك الله، وأدعوك الرحمن، وأدعوك البر الرحيم، وأدعوك بأسمائك الحسنى كلها، ما علمت منها وما لم أعلم، أن تغفر لى وترحمنى، قالت: فاستضحك رسول الله ﷺ ثم قال : «**إنه لفى الأسماء التى دعوت بها**»[٢] .

٩- اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبى، ورحمتك أرجى عندى من عملى:

عن محمد بن عبد الله بن محمد بن جابر بن عبد الله عن أبيه عن جده قال:

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : وَاذُنُوباه، واذنوباه؟! فقال هذا القول مرتين أو ثلاثا، فقال له رسول الله ﷺ :

---

(١) رواه الحاكم وغيره.

(٢) رواه ابن ماجه.

«قل : اللهم مَغْفرتَك أوسع من ذنوبى، ورحمتَك أرجى عندى من عملى، فقالها، ثم قال : عُدْ، فعاد، ثم قال : عُدْ، فَعاد، ثم قال : قم فقد غَفر الله لك»(١).

رابعاً : الآداب التى تعقب الدعاء :

١- الآداب التى تعقب الدعاء وقبل حصول الإجابة:

يجب على المسلم بعد أن يفرغ من دعائه أن يراقب ما يلى :

(أ) الاستمرار فى حال الخشوع التى كان فيها أثناء الدعاء :

فعلى العبد أن يدوم على هذه الحال، وأن يبالغ فى التقرب إلى الله - تعالى - فإن الله لا يُدْرَكُ ما عنده بمثل طاعته، وكما يقول الصالحون: مانزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة، فالدعاء يجاب بإذن الله، وبخاصة إذا كان الداعى موقنا بالله، مصدقا برسوله، مطيعا مخلصا، فالله هو المعطى وهو المانع، بيده النفع والضر، وهو على كل شئ قدير، ففى الحديث القدسى عن الله - عز وجل - : **«من ذا الذى دعانى فلم أجبه؟ وسألنى فلم أعطه؟ واستغفرنى فلم أغفر له وأنا أرحم الرحمين؟!»** وخزائن ربنا - تبارك وتعالى - مَلأى، تفيض ولا تغيض، لاتنقصها النفقة، وخزائن ربنا كلام، **﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾**(٢).

(ب) انتظار الفرج من الله تعالى :

فعلى العبد أن يثق أيضا بأن أفضل العبادة انتظار الفرج من الله - تعالى - والأحاديث فى هذا الباب كثيرة، وبحسبنا أن نذكر جانبا منها فيما يلى:

* روى ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : **«سَلُوا الله من فضله، فإن الله - عز وجل - يحب أن يُسْأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج»**(٣).

* أخرج ابن أبى الدنيا عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: **«انتظار الفرج من الله عبادة»**.

---

(١) رواه الحاكم وقال : رواته مدنيون لايعرف واحد منهم بجرح.
(٢) سورة يس : ٨٢.
(٣) تمييز الطيب من الخبيث، وقد حسن ابن حجر إسناده.

* أخرج ابن أبى الدنيا عن سهل بن سعد الساعدى أن رسول الله ﷺ قال لعبد الله بن عباس: «**واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً**».

ويقول الله - تعالى-: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[1].

(ج) أن يوقن بالإجابة :

روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن رب العزة - تبارك وتعالى-:

«**ياعبادى كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدونى أَهْدكُم، ياعبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم، ياعبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أَكْسُكم، ياعبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفرونى أغفر لكم، ياعبادى لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل واحد منهم مسألته، ما نقص ذلك مما عندى إلا كما يُنْقِصُ المخيط إذا أدخل البحر**».

(د) لا يستبطئ الإجابة:

وذلك على نحو ما ورد بيانه فى هيئة الدعاء سابقا.

٢- الآداب التى تعقب الدعاء إذا قضيت الحاجة وتمت الاستجابة:

ينبغى على العبد إذا أَحَسَّ من نفسه أن الله - سبحانه وتعالى - قد استجاب له وقضى حاجته، فكشف عنه همه وغمه وكربه، وشفى مريضه، أو أعطاه الذى سأله إياه، يجب عليه أن يحمد الله ويشكره على ذلك، فقد روى الحاكم وابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال :

«**ما يمنع أحدكم إذا عرف الإجابة من نفسه، فَشُفِى من مرضه، أو قدم من سفر، أن يقول: الحمد لله الذى بعزته وجلاله تتم الصالحات؟!**».

---

(١) سورة الشرح : ٥ ، ٦.

الفصل الثانى

تحرى الأوقات التى يرجى فيها قبول الدعاء

إذا كان الدعاء مطلوبا فى كل وقت وحين، وعلى كل حال، فإن الله قد خص بعض الأوقات بمزيد الفضل؛ بحيث يُقْبِلُ فيها على عباده الداعين، ويستجيب دعاءهم فضلا منه وكرما، فعلى العبد أن يتحرى هذه الأوقات، ويجتهد فى الدعاء خلالها، رجاء قضاء حوائجه، فعن محمد بن مسلمة أن النبى ﷺ قال: «**إن لربكم فى أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها، لعل أن يصيبكم نفحة منها لا تشقون بعدها أبداً**»[1].

وحتى نأخذ فكرة عن هذه الأوقات فإليك بياناً بها:

١- الأيام التى تتكرر سنويا:

* ليلتا العيدين : عيد الأضحى، وعيد الفطر.

* ليلة الإسراء والمعراج : وهى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب.

* ليلة النصف من شهر شعبان.

* ليلة القدر: وهى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان على أشهر الأقوال.

* يوم عرفة: وهو يوم التاسع من شهر ذى الحجة، ويلحق به ليلتها كذلك.

٢- الأوقات التى تتكرر أسبوعيا:

* يوم الجمعة وليلتها.

الأوقات التى تتكرر بتكرار اليوم والليلة:

* جوف الليل الأخير.

(١) رواه الطبرانى فى الكبير.

* أثناء الوضوء.
* عند النداء للصلاة (الأذان).
* عند إقامة الصلاة وعند استواء الصف.
* بين الأذان والإقامة.
* أثناء السجود.
* عند قول الإمام : ولا الضالين.
* دُبُرَ الصلاة المكتوبة.

٣- الدعاء فى الأوقات الطارئة:

* عند الحاجة والاضطرار.
* عند تلاوة القرآن وعند ختمه.
* عند اجتماع المسلمين فى مجالس الذكر والعلم.
* عند نزول الغيث.
* عند رقة القلب والخشوع لله.
* عند الشرب من ماء زمزم.
* عند الحضور إلى المحتضر (الميت)، وعند تغميض عينيه.
* عند فطر الصائم.

وإليك بيان هذه الأوقات بشيء من التفصيل:

١- يوم الجمعة وليلتها:

عن أبى هريرة مرفوعاً أن رسول الله ﷺ قال:

«خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خُلق آدم وفيه أُهبط، وفيه تِيت عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهى مُصيخَةٌ يَوم الجمعة، من حين تصبح حتى تطلع الشمس، شفقا من الساعة إلا الجن

والإنـس، فيـه ساعـة لايصادفهـا عبـد مسـلم وهو يصـلى يسـأل الله شـيئا إلا أعطـاه إيـاه»[1].

وقد اختلف الناس حول تحديد ساعة الإجابة هذه فى يوم الجمعة على أقوال، وقد بين الإمام ابن القيم هذه الأقوال، وذكر أن أرجحها رأيان، وهما:

* أن هذه الساعة هى من وقت جلوس الإمام على المنبر إلى حين انقضاء صلاة الجمعة، فعن أبى بردة بن أبى موسى أن عبد الله بن عمر قال: سَمِعْتَ أباك يحدث عن رسول الله ﷺ فى شأن ساعة الجمعة شيئا؟ قال: نعم، سمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**هى ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تُقْضَى الصلاة**»[2].

أى أن عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - يسأل أبا بردة بن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنهما - عن شىء سمعه أبو موسى من رسول الله ﷺ بشأن ساعة الإجابة يوم الجمعة، فيجيبه أبو بردة بأنها من ساعة جلوس الإمام على المنبر إلى وقت انقضاء الصلاة من ذلك اليوم.

* والرأى الثانى أنها بعد صلاة العصر:

وهذا أرجح القولين، وهو قول عبد الله بن سلام، وأبى هريرة، والإمام أحمد، وحجتهم فى ذلك ما رواه أبو هريرة أن النبى ﷺ قال: «**يوم الجمعة اثنا عشر ساعة، فيها ساعة لايوجد مسلم يسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر**»[3].

وكان كعب الأحبار يرى أن ذلك فى كل سنة مرة، فقال أبوهريرة: بل فى كل جمعة، فقرأ كعب التوراة، فقال: صدق رسول الله ﷺ.

قال أبوهريرة: ثم لقيتُ عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسى مع كعب، فقال:

---

(١) رواه مالك فى موطئه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الإمام أحمد.

قد علمتُ أية ساعة هى، قلت: فأخبرنى بها، قال: هى آخر ساعة فى يوم الجمعة، فقلت: كيف؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «**لايصادفها عبد مسلم وهو يصلى...**» وتلك الساعة لايصلى فيها؟ فقال ابن سلام: ألم يقل رسول الله: «**من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو فى صلاة حتى يصلى**».

ولابأس بتعدد الآراء فى تحديد هذه الساعة، على أنه يمكننا الاستفادة من تعدد الآراء أن يوم الجمعة بأسره يوم يقبل فيه الدعاء، وإن كانت تلك الساعة هى أرجى أوقات ذلك اليوم بالقبول، ومما يؤيد ما نذهب إليه ونعتقده ما روى أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أقربكم منى يوم القيامة فى كل موطن أكثركم علىَّ صلاة فى الدنيا، من صلى علىَّ فى يوم الجمعة وليلة الجمعة قضى الله له مائة حاجة، سبعين منها من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا، يوكل الله بذلك ملكا يدخله فى قبرى، كما يدخل عليكم الهدايا، يخبرنى من صلى علىَّ باسمه ونسبه إلى عشيرته، فأثبته عندى فى صحيفة بيضاء**»(١).

٢- ليلة النصف من شهر شعبان :

إنها ليلة مباركة، تقترن عودتها كل عام بتذكير الأمة الإسلامية بحادث تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى البيت الحرام بمكة المكرمة، فمكة هى أحب بلاد الله إلى رسول الله ﷺ ولذلك فقد رأيناه بعد الهجرة إلى المدينة المنورة وقد ظل قلبه الشريف متعلقا بمكة ـ مسقط رأسه ـ كما ظلت نفسه تواقة إليها، فهو مرتبط بها ارتباط الإنسان بموطنه الذى شب فيه وترعرع، فقد ارتوى بمائها، واستظل بسمائها، ودرج على أرضها، وفوق هذا وذاك فهى قبلة أبى الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - وفيها يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا** ﴾(٢).

---

(١) أخرجه الأصفهانى فى الترغيب مفرقا فى موضعين. وعزاه عبد الله بن الصديق إلى ابن منده فى فوائده، وضعفه السخاوى.

(٢) سورة آل عمران: ٩٦ ، ٩٧.

والسنة النبوية المطهرة حافلة بالإشادة بذكر هذه الليلة، قاطعة بعلو قدرها، وبعظيم أمرها، وإليك جانبا من النصوص المتعلقة بها:

* روى البيهقى عن عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: **«أتانى جبريل - عليه السلام - فقال: هذه ليلة النصف من شعبان، ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم بنى كلب، لاينظر الله فيها إلى مشرك، ولا إلى مشاحن، ولا إلى قاطع رحم، ولا إلى مُسْبل (مطيل ثوبه حتى يجر على الأرض)، ولا إلى عاق لوالديه، ولا إلى مدمن خمر»**.

* عن معاذ بن جبل، عن النبى ﷺ قال: **«يَطَّلِعُ الله على جميع خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن»**[1].

* عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها، وصوموا نهارها، فإن الله - تبارك وتعالى - ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول: ألا من مستغفر فأغفرَ له؟ ألا من مسترزق فأرزقه؟ ألا من مُبْتَلَى فأعافيه؟ ألا كذا؟ ألا كذا؟ حتى يطلع الفجر»**[2].

* عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ قال: **«إن الله ينزل ليلة النصف من شعبان، فيعتق من النار عدد مَعْزَى ـ أو قال عدد شعر معزى ـ كلب (اسم قبيلة)، وتنزل أرزاق السَّنَة، ويكتب الحاج، ولايترك أحداً إلا غفر له إلا قاطع رحم، أو مشرك مشاحن»**[3].

هدى رسول الله ﷺ بالنسبة لهذه الليلة:

لقد كان رسول الله ﷺ يولى هذه الليلة مزيد اهتمامه، ويتقرب فيها إلى الله - تعالى - فيقوم ليلها، ويصوم نهارها.

---

(١) رواه الطبرانى، وابن حبان.

(٢) رواه ابن ماجه.

(٣) أخرجه أحمد، والترمذى، وابن ماجه.

* عن أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - قالت: قام رسول الله ﷺ من الليل فصلى، فأطال السجود، حتى ظننت أنه قد قبض، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت إبهامه فتحرك. فسمعته يقول فى سجوده:

«أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سَخطك، وأعوذ بك منك إليك، لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسك» فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال: «ياعائشة - أو ياحُمَيْرَاء -: أَظَنَنْتِ أن النبى قد خَاسَ بك؟».

قلت: لا والله يارسول الله، ولكننى ظننت أنك قُبضت لطول سجودك، فقال: **أتدرين أىَّ ليلة هذه؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «هذه ليلة النصف من شعبان، إن الله - عز وجل - يطلع على عباده فى ليلة النصف من شعبان، فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويؤجل أهل الحقد كما هم»**.

* روى ابن ماجه بسنده عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: **«إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها، وصوموا نهارها؛ فإن الله - تبارك وتعالى - ينزل فيها لغروب الشمس إلى السماء الدنيا فيقول: ألا من مستغفر فأغفر له؟ ألا من مسترزق فأرزقه؟ ألا من متبلًى فأعافيه؟ ألا كذا؟ ألا كذا؟ حتى يطلع الفجر»**.

٣- ليلة القدر :

هى إحدى ليالى شهر رمضان، وقد وردت فيها النصوص الكثيرة من القرآن الكريم. ومن السنة النبوية، من هذه النصوص ما يحدد وقتها، ومنها ما يبين فضلها، وسنورد - لك - جانبا من هذه النصوص لتأتنس به فيما يلى:

يقول الله تعالى:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.

ويقول أيضاً : ﴿حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[١].

فالقرآن قد أنزل فى ليلة القدر، وهى الليلة المباركة، وهى إحدى ليالى شهر رمضان، يقول الله - تعالى -: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾[٢].

قال ابن عباس وغيره: أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى السماء الدنيا، ثم أنزل مفصلا بحسب الوقائع فى ثلاث وعشرين سنة، على رسول الله ﷺ.

ومن الأحادث التى وردت فى شأن ليلة القدر نذكر ما يلى :

* عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ: «**قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغَلُّ فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرِم خيرها فقد حرم**».

* وقال رسول الله ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه**».

* ويقول رسول الله ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**».

* وقد ورد أن الله - تعالى - يقول ليلة القدر: «**ياجبريل الطاهر، ويامكائيل الذاكر، ويا إسرافيل الراكع، اختاروا من الملائكة أرحمهم، واقصدوا زيارة العصاة، فينزلون ومع كل منهم سبعون ألف ملك، ومعهم أربعة**

(١) سور الدخان : ١ - ٦.

(٢) سورة البقرة : ١٨٥.

ألوية: لواء الحمد، ولواء المغفرة، ولواء الكرم، ولواء الرحمة، فيسمع كل أهل سماء حتى الحور العين فى الجنان فيقلن: يا رضوان ما هذه الليلة؟ فيقول: ليلة العرض، يُعْرَضُ أزواجكن، فيرفع الحجاب، حتى لينظرن أزواجهن، فتنزل الملائكة، فينصبون لواء المغفرة على قبر النبى ﷺ وينصب لواء الرحمة فوق الكعبة، ولواء الكرامة فوق الصخرة، ولواء الحمد بين السماء والأرض، فلا يبقى بيت فيه مؤمن ولا مؤمنة إلا دخله، فمن كان جالساً سلم عليه الملك، ومن كان ذاكرًا سلم عليه جبريل، ومن كان مُصَلِّيا سلم عليه رب العالمين - تبارك وتعالى».

وهذه الليلة فى رمضان، وهى باقية إلى قيام الساعة:

* قال أبو ذر: قلت: يارسول الله أخبرنى عن ليلة القدر؟ أفى رمضان هى أو فى غيره؟ قال: «**بل هى فى رمضان**» قلت: تكون مع الأنبياء ما كانوا، فإذا قبضوا رفعت؟ أم هى إلى يوم القيامة؟ قال: «**بل هى إلى يوم القيامة**» قلت: فى أى رمضان هى؟ قال: «**التمسوها فى العشر الأول والعشر الآخر**» قلت: فى أى الْعَشْرَيْنِ هى؟ قال: «**ابتغوها فى العشر الأواخر؛ لاتسألنى عن شىء بعدها**» قلت: يارسول الله: أقسمت عليك بحقى عليك لما أخبرتنى فى أى العشر هى؟ فغضب علىَّ غضبا لم يغضب مثله منذ صَحِبْتُهُ، وقال: «**التمسوها فى السبع الأواخر، لا تسألنى عن شىء بعدها**».

٤- يوم عرفة وليلته :

ويوم عرفة هو يوم التاسع من شهر ذى الحجة، وصيامه لغير الحاج يكفر سنتين، وقد ورد فى بيان فضله وفضل ليلته أحادث كثيرة، وهو زمن من أزمنة إجابة الدعاء، فقد أخرج الترمذى عن عمرو بن شعيب عن أبية عن جده - رضى الله عنهم - أن رسول ﷺ قال: «**خير الدعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله، وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير**».

٥- الدعاء عند النداء للصلاة :

أخرج الإمام مالك فى موطئه، وأبو داود من حديث سهل بن سعد - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ثنتان لا يُرَدَّان: الدعاء عند النداء (أى للصلاة، وهو الأذان)، وعند البأس، حين يلحم بعضهم بعضاً».

٦- الدعاء بين الأذان والإقامة :

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُرَدُّ الدعاء بين الأذان والإقامة» قيل: ماذا نقول يارسول الله؟ قال: «سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة»[١].

٧- الدعاء عند الإقامة للصلاة وعند استواء الصَّفّ:

روى جابر - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : «إذا ثُوِّبَ بالصلاة فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء»[٢].

٨- الدعاء أثناء السجود :

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»[٣].

٩- الدعاء دُبُرَ الصلاة المكتوبة :

عن أبى أمامة قال: قيل: يارسول الله: أى الدعاء أسْمَعُ؟ قال: «جوف الليل، ودبر الصلاة المكتوبة».

١٠- الدعاء عقب قول الإمام «ولا الضالين» من سورة الفاتحة فى الصلاة الجهرية:

يقول رسول الله ﷺ: «إذا أَمَّنَ الإمام فأمنوا؛ فإن من وافق تأمينُه تأمينَ الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»[٤].

---

(١) أخرجه النسائى، وابن حبان.
(٢) أخرجه الحاكم وصححه.
(٣) أخرجه مسلم.
(٤) من حديث أبى هريرة.

١١- الدعاء فى الثلث الأخير من الليل :

عن عمرو بن عنبسة أنه سمع النبى ﷺ يقول: «**أقرب ما يكون الرب من العبد فى جوف الليل الأخير، فإن شئت أن تكون ممن يذكر الله فى تلك الساعة فكن**»[١].

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينزل الله - تعالى - كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: من يدعونى فَأَسْتَجِيبَ له؟ من يسألنى فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفر له؟**»[٢].

١٢- الدعاء عند زوال الشمس:

ورد أن رسول الله ﷺ كان إذا زالت الشمس صلى أربع ركعات يُطَوِّلُهُنَّ ويقول: «**هذا وقت تفتح فيه أبواب السماء، فأحب أن يرفع لى فيه عمل صالح**»[٣].

١٣- الدعاء عند فطر الصائم :

أخرج البيهقى من حديث عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن للصائم عند فطره دعوة لاترد**» وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لاترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم**» وفى رواية: «**ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويقول الرب: وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين**».

١٤- الدعاء ساعة الحضور عند الميت وتغميض عينيه:

أخرج الإمام مسلم وأصحاب السنن عن آم سلمة - رضى الله عنها - أنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبى سلمة وقد شُقَّ بصره (أى خرحت روحه) فأغمضه، فقال: «**إن الروح إذا قبض تبعه البصر**» فضج الناس من أهله،

(١) رواه الترمذى وصححه.
(٢) متفق عليه.
(٤) إحياء عليوم الدين ١/ ١٩٤ ط الحلبى.

فقال: «لاتدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون» ثم قال: «اللهم اغفر لأبى سلمة، وارفع درجته فى المهديين، واخلفه فى عقبه فى العابدين، واغفر لنا وله يارب العالمين، وأفسح له فى قبره ونور له فيه».

وأخرج النسائى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا حُضِرَ المؤمن أتت ملائكة الرحمة».

١٥- الدعاء عند ختم القرآن الكريم:

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لصاحب القرآن عند كل ختمة دعوة مستجابة، وشجرة لو طار غراب من أصلها ما بلغ أغصانها حتى يدركه المشيب».

١٦- الدعاء عند صياح الديكة:

جاء فى الصحيحين من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سمعتم أصوات الدِّيكة (جمع ديك، وهو: ذكر الدجاج) فسلوا الله من فضله؛ فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان؛ فإنها رأت شيطانا».

١٧- دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب:

أخرج أبو داود من حديث أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب».

وأخرج الطبرانى من حديث عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «دعوتان ليس بينهما وبين الله حجاب: دعوة المظلوم، ودعوة المرء لأخيه المسلم بظهر الغيب».

يستحب ذلك ولو كان الداعى أقل فضلا من المدعو له، بدليل حديث عمر ابن الخطاب والذى يقول فيه: استأذنت رسول الله ﷺ فى العمرة فأذن لى

وقال: «**أشركنا يا أخي في دعائك، ولاتنسنا**» فقال كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا.[1].

١٨- دعوة الولد لوالده :

عن أبي هريرة : قال رسول الله ﷺ: «**إن الله - تبارك وتعالى - ليرفع الرجل الدرجة فيقول: أنَّى لي هذه؟ فيقول: بدعاء ولدك**»[2].

١٩- الدعاء حال السفر :

ويشترط أن يكون هذا السفر في طاعة الله - تبارك وتعالى - كأن يكون لأداء واجب كالحج، أو يكون مندوبا كالسفر لعيادة المريض أو صلة الرحم.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده**»[3].

ومن حديث عقبة بن عامر الذي أخرجه البيهقي وغيره، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث تستجاب دعوتهم: الوالد، والمسافر، والمظلوم**». وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله بالمسافر لرحيم**».

٢٠- دعوة المظلوم :

دعوة المظلوم مستجابة بصرف النظر عن صلته بالله، حتى لقد قالوا: إن دعوة المظلوم مستجابة ولو كان كافرا أو فاجراً، وهذا من مقتضى عدل الله سبحانه؛ لأن المظلوم مطلقا مضطر، والله سبحانه قد أخذ على نفسه العهد بإجابة دعوة المضطر فقال: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ**﴾[4].

---

(١) أخرجه أبو داود، والترمذي.

(٢) رواه الهيثمي، وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه أبو داود، والترمذي وقال : حسن صحيح.

(٤) سورة النمل : ٦٢.

وكذلك فإنه سيعاقب بمعصيته وفجوره وكفره فى الآخرة.

يقول رسول الله ﷺ: «**اتَّقِ دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين حجاب**»[1].

وأخرج الترمذى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه**».

* * *

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس.


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثالث

تحرى الأماكن التى يرجى فيها قبول الدعاء



لقد اقتضت إرادة الله - خالق الزمان وخالق المكان، ومدبر أمر الأكوان - اقتضت إرادته - تعالى - تَفْضِيلَ بعض خلقه على بعض، لحكم يعلمها اللطيف الخبير، فتلك سنة من سنن الله فى خلقه، يستوى فيها الملائكة المقربون، والبشر العاديون، وكذلك الأنبياء والمرسلون، وتمتد هذه القاعدة لتنسحب على الزمان والمكان، والجمادات والنباتات والحيوانات.

ولعل فى ذلك لله حكماً كثيرة، من أهمها: أن تنكسر حدة الأشياء ورتابتها، وأن يسعى الناس دوماً لتحصيل الخير، واستباق الخيرات، وليشحذوا قرائحهم، ويشمروا عن سواعد الجد للتعرض لنفحات الله - سبحانه وتعالى - فهو الذى يمن بالفضل، ويجزل عليه العطاء والأجر، لأولئك الذين يتحرون عمل الصالحات، ومنها الدعاء فى الأماكن المباركة، والمواطن المشرفة، وهى كثيرة ووفيرة - والحمد لله - وسنذكر جانبا منها فيما يلى :

١- المساجد :

فالمساجد التى يؤدى الناس فيها صلواتهم هى بيوت الله - عز وجل - وحينما نرتادها فإننا ننزل ضيوفا على الله أحكم الحاكمين، ولاشك أننا نحظى فى هذه الضيافة بأطايب الخير وألوان الكرم، ومن بينها أن الله يستجيب فى المساجد دعاء الداعين، وضراعة المتضرعين والمبتهلين، والمساجد أيضا - كأماكن مشرفة ومفضلة لاستجابة الدعاء - تسرى عليها سنة التفضيل فى ثواب العبادة فيها كذلك، والدعاء لون من ألوان العبادة، وتأتى أفضلية المساجد على النحو التالى:

(أ) المسجد الحرام بمكة المكرمة :

وهو أول بيت وضع للناس، ويقع بمدينة مكة المكرمة، وفضل الصلاة فيه عظيم، حيث إن الصلاة فيه تعدل مائة ألف صلاة فى غيره من المساجد.

(ب) المسجد النبوى بالمدينة المنورة:

وهو المسجد الذى شيده رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة عقب الهجرة إليها من مكة المكرمة، والصلاة فيه تعدل ألف صلاة فى غيره من المساجد.

(جـ) المسجد الأقصى بالقدس :

ويقع بمدينة القدس، وأول من بناه إسحاق بن إبراهيم - عليهما السلام - وبينه وبين المسجد الحرام منذ أن رفع إبراهيم قواعده أربعون سنة، وقد جرت إصلاحات وتجديدات متعاقبة.

(د) بقية المساجد فى بقاع الدنيا:

ولاشك أن أفضل هذه المساجد الجامعة أكثرها روّاداً، وأعمقها تأثيرا فى حياة المسلمين، وكل ذلك مشروط بموافقة السنة والابتعاد عن البدعة، فلزوم المسجد للصلاة والتقرب إلى الله يعود على العبد بالخير، ويقربه من ربه - تبارك وتعالى - كما أنه يكون سببا فى قضاء حاجته، فضلا عن فرح الله به، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**ما تَوَطَّن رجلٌ المساجد للصلاة إلا تبشبش الله - تعالى - إليه كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم**»[1].

وفى رواية لابن خزيمة قال: «**ما من رجل كان توطَّن المساجد فشغله أمرٌ أو علَّة، ثم عاد إلى ما كـان إلا يتبشبـش الله إليـه، كما يتبشبـش أهـل الغائب بغائبهم إذا قدم**».

وعن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسـول الله ﷺ: «**مَنْ أَلِفَ المسجدَ أَلِفَه الله**»[2].

(١) رواه ابن أبى شيبة، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط.

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**إن للمساجد أوتاداً، الملائكة جلساؤهم، إن غابوا يفتقدونهم، وإن مرضوا عادوهم، وإن كانوا فى حاجة أعانوهم، ثم قال: جليس المسجد على ثلاث خصال: أخ مستفاد، أو كلمة حكمة، أو رحمة منتظرة**»[١].

عن النبى ﷺ فيما يرويه عنه أنس قال : «**إن عُمَّارَ بيوت الله هم أهل الله - عز وجل**»[٢].

(هـ) عند رؤية الكعبة المشرفة :

إن الدعاء عند رؤية الكعبة مستجاب، فقد روى الطبرانى بإسناد جيد أن النبى ﷺ قال: «**إن الدعاء مستجاب عند رؤية الكعبة**».

ويستحب لمن يرى الكعبة أن يقول: «**اللهم زد هذا البيت تعظيما وتشريفا وتكريماً، ومهابة وبراً، وزد من عظمة وشرَّفه**».

(و) فى نواحى المسجد الحرام:

فقد ثبت فى الصحيحين أن النبى ﷺ لما دخل البيت الحرام دعا فى نواحيه، فالدعاء مستحب على الصفا والمروة، وفى السعى، وعند زمزم، وخلف المقام (مقام إبراهيم)، وعند الملتزم، وتحت ميزاب الكعبة، فعن ابن عباس- رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «**لاترفع الأيدى إلا فى سبعة مواطن: حين تفتتح الصلاة، وحين تدخل المسجد الحرام فتنظر إلى البيت، وحين تقوم على الصفا، وحين تقوم على المروة، وحين تقوم مع الناس عشية عرفة، وتجمع العشاءين (المغرب والعشاء)، وحين ترمى الجمرة**»[٣].

(ز) الدعاء فى مسجد رسول الله ﷺ :

يستحب الدعاء فى مسجد رسول الله ﷺ وبصفة خاصة فى الروضة الشريفة، وهى الموضع المعروف بين المنبر والحجرة، فهى روضة من رياض

---

(١) رواه أحمد، والحاكم.

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط.

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير والأوسط.

الجنة، كما عبر عنها رسول الله ﷺ، وعند أسطوانة أبى لبابة، وأسطوانة عائشة، وعند جميع الأسطوانات القديمة؛ لأنه قد صلى إليها كبار الصحابة وفضلاؤهم، وكذلك يستحب الدعاء عند مكان أهل الصفة، وهو المكان المرتفع خلف الحجرة، وكذلك يستحب الدعاء فى منزل الوحى قريبا من الركن الغربى للحجرة، فتلك مواطن فاضلة يستجيب الله فيها الدعاء، وكذلك عند المحراب الذى صلى فيه النبى ﷺ.

٢- الدعاء فى مجالس الذكر :

وما أعظم أن يُهْرع الناس إلى مجالس ذكر الله - تعالى - إذا حزبتهم أمور الدنيا، ففى مثل هذه اللحظات ينظر إليهم رب العالمين، ويفرح بهم، ويغفر لهم، ويستجيب لهم الدعاء، والأحاديث فى هذا الباب أكثر من أن تحصى، وسنورد جانبا منها فيما يلى :

* عن أنس، عن النبى ﷺ قال: «**إن لله سيارةً من الملائكة، يطلبون حلَق الذكر، فإذا أتوا عليهم حَفوا بهم، ثم بعثوا رائدهم إلى السماء، إلى رب العزة - تبارك وتعالى - فيقولون: ربنا أتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك، ويتلون كتابك، ويصلون على نبيك محمد ﷺ ويسألونك لآخرتهم ودنياهم، فيقول الله - تبارك وتعالى -: غَشُّوهم رحمنى؛ فهم الجلساء لايشقى بهم جليسهم**»(١).

* وروى ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: مر النبى ﷺ بعبد الله بن رواحة وهو يُذَكِّر أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنكم الملأ الذى أمرنى ربى أن أصبر نفسى معكم**» ثم تلا هذه الآية: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾(٢)، ألا إنه ما

(١) رواه البزار.

(٢) سورة الكهف : ٢٨.

جلس عدتكم إلا جلس معهم عدتهم من الملائكة، إن سبحوا الله - تعالى - سبحوه، وإن حمدوا الله حمدوه، وإن كبروا الله كبروه، ثم يصعدون إلى الرب - وهو أعلم بهم - فيقولون: ياربنا: عبادك سبحوك فسبحنا، وكبروك فكبرنا، وحمدوك فحمدنا، فيقول ربنا - جل جلاله - : يا ملائكتى أشهدكم أنى قد غفرت لهم، فيقولون: فيهم فلان وفلان الخطاء، فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»(١).

* عن جابر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس : إن لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر فى الأرض، فارتعوا فى رياض الجنة، قالوا: وأين رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر، فاغدوا وروحوا فى ذكر الله، وذكروه أنفسكم، من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده؛ فإن الله ينزل العبد منه حيثُ أنزله من نفسه»(٢).

* * *

(١) رواه الطبرانى فى الصغير.

(٢) رواه ابن أبى الدنيا، وأبويعلى، والبزار، والطبرانى، والحاكم، والبيهقى.

٣- آدابُ الدعاء شعراً

وَاجْلسْ إلى قِبْلَةٍ بالحمد مُبْتَدئاً ... وَبالصَّلاة على المختار والرُّسُل

وامْدُدْ يَدَيْكَ وسَلْ فالله ذو كرم ... واطْلُبْ كثيراً وَقُلْ : يامُنْجِحَ الأمَل

بِبَسْطِ كَفٍّ خذ الأقوالَ ثالثَها ... عند البلاء بظهر الْكَفِّ فابْتَهِلِ

بِرَفْعِ كفٍّ أم الأطراف قد ذكروا ... قَولين أقواهما رَفْعٌ فَلاَ تُحِلِ

إن السَّماء قبلة الداعين فادْع لها ... كما دَعَا سادةٌ فاخْتَرْه وانْتَحِلِ

وابْدأ بنَفْسك ثم الآل فادْعُ لهم ... وَخُصَّ صَحْبَ رسول الله وامْتَثِلِ

سُبَّ الرَّوافض واذكر فَضْلَ سابقنا ... واطلب لهم رحمة تَسْلَم من الدَّغَلِ

واخْصُصْ أباكَ وبر الأم وادْع كما ... قد رَبَّيَاكَ صغيراً بارحَ العِلَلِ

وَعُمَّ كلَّ أخٍ والمسلمين تُجَبْ ... فالله ذو سَعَة يعطى بلا مَلَلِ

ولا تكن ذا اعتداء فى الدعاء تَنَلْ ... بُغْضَ الإله وراع العَدْلَ إذ تَسَلِ

المعتدى فى الدعا شخصٌ يَصِحُّ به ... وطالبٌ منزلاً كالمرسلين عَلَى

أو طالبٌ فوق حَقٍّ فى ظُلاَمته ... الجَوْرُ ظُلْمٌ فلا تطلب سوى المِثْلِ

وما سألت تَمَهَّلْ فى طلابك هُو ... ولا تَعْجَلْ وكن فى النُّجْح ذا مَهَلِ

كرِّرْ دعاءكَ لا تتركه فى ضَجَرٍ ... قَدْ يَفْتَحُ القرعُ باباً سُدَّ بالقُفُلِ

هذا وباب الذى تدعوه مُنْفَتِحٌ ... على الدَّوام فَطِبْ يا واسِعَ الأمَلِ

الاسم الأَعْظَمُ قيل : الله قَدْ نسبُوا ... لقُطب جيلانهم فاطلب به تَنَلِ

أو اسمه الحيُّ والقيوم سَلْهُ تُجَبْ ... بالله والحي والقيوم وامتَثِلِ

وقيل أخفاه ربُّ الْعَرْشِ خالقُنَا ... بكل أسمائه فاطلبْ بها وَسَلِ

كل الدعاء به قد نالَ فاعلُه ... إحدى ثلاث أتت عن سيد الرُّسُلِ

ودعوة عُجِّلت ما رام طالبها ... ودعوة أخِّرَتْ ذُخْرا إلى أجَلِ

ودعوة حُرِّزَت دفع البلاء فكن ... ببسط كف مدى الأزمان فى شُغُلِ

فى رأى جمهورهم أكل الحلال أتى ... شرط القبول فطب فى الشرب والأكَلِ

وعند بعض بلا شرط يعضده ... إجابة الله سر الخلق فى الأزَلِ

لما دَعَا رَبَّهُ إبليسُ أنْظَرَهُ ... بئس القرين، فكن منه على وَجَلِ

دعاء مضطرنَا تُرْجَى إجابته ... بلا شروط كذا المظلوم فى الدُّوَلِ

كذا اليتيمُ وقد قالوا ودعوته ... تسرى إلى الله فى ليل على عَجَلِ

بعد الأذان ونصف الليل فادع تُجَبْ ... وعند غيث وَصَفٍّ الحرب والعمل

وليل خمس من الأيام فادع به ... ترى القبول وعنه قَطُّ لاَ تَحُلِ

خذ نصفَ شعبان، والعيدين، رابعها ... يوم العروبة لاتترك من المَلَلِ

وليل أول يوم هَلَّ من رَجَب ... وفيه نَصٌّ أتى للشافعى جَلِى

وقت الإجابة فى صبح العروبة أو ... وَقْتَ الغروب وذا عن أكثر نَقْلِ

قال النواوىُّ والتصويب قد حصرت ... من الجلوس إلى التسليم فابتهلِ

وعن عياض فقل فى لحظة خطفت ... تقليلها قد أتى عن سيد الرسلِ

فطر الصيام كلاهم دعوة سمعت ... فاطلب بها جنَّة الفردوس لاتحل

وَقَالَ قوم وَهَتْ فى العلم رتبتهم   ترك الدعاء له الترجيح فى العمل
قالوا: وفى تركه التسليم تم له   فضل الرِّضا بالقضا بالترك لاتَقُلِ
وفى الذى ذكروا حرمان تابعهم   وما رشادُ الورى فى رأى مُعْتَزِلِ
ارغب إلى الله واطلب فضل رحمته   لمن أساء ومن راعاك بالنِّحَلِ

* * *

القسم الثانى

الباب الأول

تفريج كروب الفقر والفاقة

وضيق العيش والحال



إنَّ هذه الدنيا بما فيها وبمن فيها عرض زائل، وظل حائل، يأكل منها البر والفاجر، ومن حكم ربنا البالغة أنه جعل حظوظ العباد فيها متفاوتة، ومقدراتهم منها غير ثابتة، مصداقا لقوله الكريم، فى كتابه الحكيم: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[١]، فمن سننه - تبارك وتعالى - أنه جعل الدنيا دولا بين الناس، يقول - عز من قائل -: ﴿. . . وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾[٢].

ومن العجب العاجب أن البلاء عند إقبال الدنيا على العباد لايقل بحال من الأحوال عنه عند إدبارها عنهم، فكما يقول العارفون: كلما حَلَتْ أَوْحَلَتْ، وكلما انجلت أوْجَلَتْ، ومع هذا فإن الإنسان مجبول على حبها، ومفطور على التعلق بها، والاستكثار منها، وقد يحدث لأمر أراده الله - تعالى - ببعض خلقه أن يضيق حظهم منها فى بعض الأحيان، أو أن ترتحل عن بعضهم بعد طيب مقام، وهنالك فإنهم يتفاوتون فى احتمال هذه الشدائد، ويختلفون فى تحمل تلك الكروب، فمنهم من يلحقه بها همٌّ وغم، ويموت حسرةً وكمداً، ومنهم من يثبته الله فلا تضيع من قدمه الطريق، فلا يلبث أن يستعيد صوابه ورشده، ويستجيب لتوجيهات النبى الأمين ﷺ والتى من بينها: «**مانزل بلاء إلا بذنب،**

(١) سورة الزخرف : ٣٢.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٠ ، ١٤١.

ولا رفع إلا بتوبة» وما ورد فى الحديث القدسى: «إن العبد لَيُحْرَمُ الرزق بالذنب يصيبه».

وسنحاول - بمشيئة الله تعالى - فى هذا الباب تقديم بعض النماذج التى ترينا الأسلوب الأمثل فى الارتباط بالله - تعالى - والتعلق بأهداب رحمته، واللِّيَاذِ ببابه، والعياذ به وحده لرفع كل نقمة، ورفع كل ملمة ومهمة.

صلاة الحاجة ودعاؤها

تعريفها:

هى الصلاة التى يؤديها العبدُمُتَوسِّلاً إلى الله - تعالى - ليقضى حاجتَه بفضله ويذهبَ عنه ما يُهِمُّه من سُوءٍ أو مكروه.

مشروعيتها:

عن عثمان بن حُنَيْف - رضى الله عنه- أنْ رجلاً أعْمَى أتى النبىَّ - ﷺ - قال: إنى أصبْتُ فى بصرى فَادْعُ الله لى، فقال النبى ﷺ: «**اذهبْ فتوضأ وصَلِّ ركعتين ثم قُلْ: اللهمَّ أسألك وأتوجهُ إليك بنَبِيِّكَ محمد نبىِّ الرحمة، يامحمد إنى تَوَجَّهْتُ بك إلى ربى فى حاجتى هذه لتُقْضَى لى، اللهم فَشَفِّعْهُ فىّ**» وفى رواية «**فَإنْ كَانَ لَكَ حَاجَة فَمثْلُ ذَلكَ**» قال عثمان: فوالله ما تفَرَّق بنا المجلسُ حتى دخل علينا بصيراً كأنَّه لم يكن به ضُرٌّ. رواه الترمذى، وابن ماجه، والطبرانى، والبيهقى، والحاكم، وأقر صحته الحافظ الذهبى وابن تيمية والحديث صحيح على شرط الشيخين.

وأخرج الطبرانى فى معجميه - الصغير والكبير - أن رجلاً كانت له حاجةٌ إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان، وما كان عثمان يهْتَمّ بشأنه، فَلَقى الرجلُ عثمان بْنَ حنيف فَشَكَا لَه، فعلمه صلاةَ الحاجة المذكورة، فَفَعَل الرَّجُلُ، ثم أتى عثمان بن عفان فأكْرَمَه وقضَى حاجَتَه، ثم لَقِى هذا الرجلُ عثمانَ بن حنيف

فشكَرَ له ظَنَّـا منه بأنه أوْصَى به عثمانَ بن عفان، فقال عثمان بنُ حنيف للرجل: والله ما كلَّمته، ولكن شَهِدْتُ رسول الله ﷺ وقد أتاه ضرير، وقص عليه القصة السابقة.

كيفية أدائها:

تؤدى هذه الصلاة على نحو ما ورد فى هذا الحديث التالى:

عن عبد الله بن أبى أوْفَى ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كانَتْ لَهُ حَاجَةٌ إلى الله ـ تعالى ـ أوْ إلىَ أحَد منْ بَنى آدَمَ، فَلْيَتَوَضَّأ وَلْيُحْسن الْوُضُوء، ثُمَّ لِيُصَلِّ رَكْعَتَيْن، ثـم لْيُثْنِ عـلى الله، ولْيُصَلِّ على النبى ﷺ ثم لْيَقُلْ: لا إله إلا الله الحكيمُ الكريمُ، سبحان رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، أسْألُكَ موجِبَات رَحْمَتكَ، وَعَزَائمَ مَغْفرَتكَ، والْغَنيمَةَ من كُلِّ برٍّ، والسَّلاَمَةَ مْن كُلِّ إثْم، لاَتَدَعْ لِى ذَنْباً إلاَّ غَفَرْتَهُ، وَلا هَمَّـا إلاَّ فَرَّجْتَهُ، وَلاَ حَاجَةً هِى لَكَ رِضاً إلاَّ قَضَيْتَهَا يَاأرْحَمَ الرَّاحِمينَ» رواه الترمذى.

١- المرأة البدوية الى أتلف الصقيع زرعها

هذا هو النموذج الأول الذى نستفتح به هذه الباقة المباركة من واقع المكروبين، وهو لامرأة بدوية جاء البرد فذهب بزرع لها، فجاء الناس يواسونها فى مصابها هذا، كما هو شأن المسلمين جميعاً عند حلول مثل هذه الأزمات لبعضهم، حتى لايستسلم صاحب المصيبة لأشجانه وأحزانه، ولكى يفكر جديا فى اجتياز محنته، وتخطى شدته، فالحياة لاتتوقف لمثل هذه الأمور، ولا لما هو أعظم منها شأنا، وأكبر خطراً، ولكن هذه المرأة كانت على مستوى الحدث الذى نزل بها، فقد أدركت أنه لاينجيها من هذه الشدة إلا الإقبال على الله – تعالى – بالضراعة إليه، وانتظار الفرج منه، فما كان منها إلا أن رفعت يديها إلى السماء واستغرقت فى هذا الدعاء الضارع: «**اللهم أنت المأمول لأحسن الخلف، وبيدك العوض عما تلف، فافعـل ما أنت أهـله، فـإن أرزاقنا عليـك، وآمالنا منصرفة إليك**» وألحت بهذا الدعاء طويلاً، ففى الأثر: «**إن الله – عز وجل –**

يبتلى العبد وهو يحبه ليسمع تضرعه» وقال سفيان بن سعيد الثورى لجعفر بن محمد: حدِّثنى، فقال: «ياسفيان: إذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار، وإذا ورد عليك أمر تكرهه فأكثر من قول: لا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم. وإذا أنعم الله عليك بنعمة فأكثر من قول: الحمد لله».

ولقد تمثل تفريج كرب هذه البدوية بمرور رجل من أهل الصلاح واليسار، فلما حدثه الناس بما كان من أمرها، وذهاب زرعها ومصدر رزقها، ما كان منه إلا أن وهب لها خمسمائة دينار، وبهذا فقد عوضها الله خيراً كثيراً، ببركة حسن توجهها إليه، وبفضل إخلاصها فى الإقبال عليه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فالحياة بدون اللجوء إلى الله - تعالى - حياة جافة خشنة، يشعر الإنسان فيها بالقسوة، وبالحرارة التى تنبعث من الجوانح فتلفح الجوارح، ولكن هذه الحياة بعينها فى ظل القرب من الله - تعالى - والتقرب إليه، إنما هى واحة فينانة يشعر العبد فى رحابها بالرضا كلَّ الرضا، وكفى بالرضا سعادة وهناءة.

٢- تفريج كرب الأشعريين

الأشعريون : لقب يطلق على جماعة من السابقين إلى الإسلام من أهل اليمن، الذين وفدوا إلى المدينة المنورة مع أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - فى أعقاب فتح خيبر، ويبلغ عددهم بضعة وخمسين رجلا، وكان من بينهم أبو مالك وأبو عامر، وهما أخوان شقيقان لأبى موسى، ويقال لأبى مالك: أبورهم، ويقال لأبى عامر: أبو بردة، ولقد أطلق النبى ﷺ على هذا الوفد (الأشعريين) كما وصفهم وقومهم بأنهم من أرق الناس أفئدة، وكثيراً ما كان يضرب بهم المثل الأعلى لأصحابه فى التكافل الاجتماعى فيقول عنهم: «**إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو، أو قل فى أيديهم الطعام، جمعوا ما عندهم فى ثوب واحد، ثم اقتسموه بالسوية**».

ولقد ذكر الحكيم الترمذى عن زيد بن أسلم قال: «إن الأشعريين: أبا موسى

وأبا مالك وأبا عامر - رضى الله عنهم ـ لما هاجروا فى نفر منهم، قدموا على رسول الله ﷺ وقد أرملوا من الزاد (أى فنى ما معهم من طعام)، فأرسلوا قاصدهم (رجلا منهم) إلى النبى ﷺ يسأله، فلما انتهى ذلك القاصد إلى رسول الله الكريم، وأصبح قريبا منه سمعه يقرأ قول الله ـ تعالى ـ: ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾[1] فجاءته موعظة من ربه فقال: اللهم إن الأشعريين ليسوا بأهون عندك من الدواب، اللهم ارزقنا رزقا طيبا مباركا فيه. ثم رجع إلى أصحابه وقال لهم: أبشروا فقد جاءكم الغوث، فظنوا أنه قد أعلم النبى بحالهم، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجلان معهما قصعة مملوءة خبزاً ولحماً، فأكلوا ماشاء الله، ثم قال بعضهم لبعض: ردوا بقية هذا الطعام على رسول الله ﷺ فردوه، ثم إنهم أتوه فقالوا: يارسول الله لم نر طعاماً أكثر ولا أطيب من طعام أرسلته إلينا، فقال النبى: «**ما أرسلت إليكم شيئا**» فأخبروه أنهم أرسلوا صاحبهم إليه، فسأله النبى فأخبره بما صنع، فقال ﷺ: «**ذلكم شيء رزقكموه الله عز وجل**».

وبهذا فرج الله كربهم، ورزقهم رزقاً حسنا، ببركة حسن التعلق بالله. فجدد ثقتك فى الله، واتخذ من الوسائل والأسباب ما أقدرك عليه، ولتكن ثقتك بما عند الله أشد من ثقتك بما فى يديك.

٣- عمر بن الخطاب وضائقته المعيشية

لقد أخبر عبد الله بن الزبير أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أصابته مصيبة، (أى ضائقة معاشية) فذهب إلى رسول الله ﷺ وطلب منه أن يأمر له بِوَسْقٍ من تمر، فقال لعمر: «**إن شئت أمرتُ لك بوَسق، وإن شئت علمتك كلماتٍ هى خير لك منه؟**» فقال: يارسول الله علمنيهن، ومرْلى بوسق، فإنى ذو حاجة إليه، فأعطاه التمر وعلمه الدعاء حيث قال له قل: «**اللهم احفظنى بالإسلام قاعداً، واحفظنى بالإسلام راقداً، ولاتطمع فِىَّ عدواً ولا**

(١) سورة هود : ٦.

حاسداً، وأعوذ بك من شر ما أنت آخذ بناصيته، وأسألك من الخير الذي هو بيدك كله».

وبهذه المعالجة النبوية الكريمة قد فرج الله همَّ عمر وكربه، فما أجزله من عطاء، وما أطيبه من دعاء، وحرى بنا أن نتشبث به، وأن نروض النفس على الأخذ به، وبخاصة فى هذه الآونة التى طغى فيها سلطان المادة على النفوس، فأصبح الجم الغفير من الناس يتبتلون فى محرابها، ضاربين صفحًا عن كل معنى روحى سام نبيل، فلا الفقير راض بالكفاف من العيش، ولا الغنى قانع بملايينه وملياراته، والكل جامح جانح طامح طامع، والناس فى هذا الخطب سواء.

ولنا أن نقف مع هذه الفاقة التى أدركت الفاروق، وقد كان بوسع النبى ﷺ أن يعطيه وسق التمر من أول لحظة سأله فيها، ولكن للنبى ملحظ عجيب فى تربية أصحابه، فهو يريد أولا وآخراً، ومن قبل ومن بعد أن يربطهم دائماً بالله، يريد أن يربطهم بأسباب الدعاء، واللجوء دوماً إلى بارىء الأرض والسماء، فلما خيره النبى بين أن يأمر له بالوسق أو أن يعلمه الدعاء المذكور، تاقت نفس عمر الأبية إلى تحصيل كلا الخيرين، ففاز بهما والحمد لله، فاز بالوسق يفك به ضائقته الطارئة، وفاز بالدعاء الذى يجعله عدته فى كل أمر وفى كل حال وعلى أى حال.

٤- السيد فاطمة الزهراء تشكو فاقتها لأبيها

السيدة فاطمة الزهراء - رضى الله عنها - هى كريمة رسول الله ﷺ فهى البضعة المباركة، والسلالة المطهرة، الصابرة، الخيرة، أمها السيدة خديجة بنت خويلد - رضى الله عنها - وزوجها الإمام على بن أبى طالب - كرم الله وجهه ورضى الله عنه - وهى أم السبطين الكريمين، سيدنا الحسن وسيدنا الحسين، سيدى شباب أهل الجنة - رضى الله عنهما - وعن أختهما السيدة الشريفة العفيفة نزيلة الديار المصرية، السيدة زينب - رضى الله عنها.

والزهراء الشريفة هى القانتة لربها، القانعة بعطائه، الشاكرة لنعمائه، المخلصة لزوجها فى تفان نادر، فهى معلمة النساء حسن التَّبَعُّل للأزواج، يقول النبى الكريم - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم-: «**كمُل من الرجال الكثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع: مريم ابنة عمران، وآسية زوج فرعون، وخديجة زوج محمد، وفاطمة بنت محمد**».

وقد تعرضت هذه السيدة الفاضلة لشدة وفاقة فى معاشها؛ حيث قد أمضت بضعة أيام لاتذوق فيها طعاماً، حتى غلبت على وجهها الصفرة، وذَبُلتْ فيه النضرة، فذهبت إلى أبيها ﷺ علَّها تجد عنده ما يسد رمقها، وفى هذا المقام يحدثنا الصحابى الجليل عمران بن حصين - رضى الله عنه - فيقول: كنت مع رسول الله ﷺ إذْ أقبلت فاطمة فوقفت بين يديه، فنظر إليها وقد ذهب الدم من وجهها، وغلبت الصفرة عليها من شدة الجوع، فرفع النبى ﷺ يده حتى وضعها على صدرها فى موضع القلادة، وفرج بين أصابعه، ثم قال: «**اللهم مُشْبع الجاعة، ورافع الوضيعة، ارفع فاطمة بنت محمد**».

بهذه الكلمات الحانية حَظِيَتْ بضعة المختار، فأذهب الله همها، وفرج كربها، وجرت دماء المدد الربانى فى عروقها، فما أحست بعد ذلك بجوع قط، ولقد سألها عمران بن حصين راوى هذه الواقعة بعد ذلك فقال: هل جعت بعد هذا الدعاء؟ فقالت له بمنطق الصدق واليقين: «ما جعت بعدها يا عمران».

رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد، فما تزال سيرتكم فواحة العطر والعبير، ومايزال منهجكم فى الحياة يهدى الحيارى فى دروبها المظلمة، فجزاكم الله خير الجزاء لقاء ما تحملتم فى سبيل إرساء دعائم الحق والإيمان.

٥- تفريج كرب الأعرابى ضيق الحال كثير العيال

لقد حدَّث أيوب بن العباس بن الحسن، أن أعرابيا شكا إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب - رضى الله عنه - شدةً لحقته فى معاشه، عن كثرة العيال وضيق الحال، فقال له على: أكثر من الاستغفار، . فالله - عز وجل - يقول:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾[1]. فمضى الرجل وانصرف إلى سبيل حاله، ولكنه عاد مرة ثانية إلى الإمام على وأخبره بأنه استغفر الله كثيراً ولم يَرَ فرجاً مما هو فيه، فقال له الإمام على: لعلك لاتحسن الاستغفار؟ فقال الرجل: علمنى، فقال الإمام على: أخلص نيتك، وأطع ربك، وقل: اللهم إنى أستغفرك من كل ذنب قوى عليه بدنى بعافيتك، أو نالته قدرتى بفضل نعمتك، أو بَسَطْتُ إليه يدى بسابغ رزقك، واتَّكَلْتُ فيه عند خوفى منه على أمانك، ياصاحبى فى شدتى، يامؤنسى فى وحدتى، ياحافظى فى غربتى، ياوليى فى نعمتى، ياكاشف كربتى، يامستمع دعوتى، ياراحم عبرتى، يامقيل عثرتى، ياإلهى بالتحقيق، ياركنى الوثيق، يارجائى للضيق، يامولاى الشفيق، يارب البيت العتيق، أخرجنى من حلق المضيق إلى سعة الطريق، بفرج من عندك قريب وثيق، واكشف عنى كل شدة وضيق، واكفنى ما أطيق ومالا أطيق، اللهم فرج عنى كل هم وغمّ، وأخرجنى من كل حزن وكرب، يافارج الهم، ويا كاشف الغم، ويا منزل القطر، ويامجيب دعوة المضطر، يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، صلِ على محمد خيرتك من خلقك، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وفرج عنى ما ضاق به صدرى، وعيل معه صبرى، وقَلَّتْ فيه حيلتى، وضَعُفَتْ له قوتى، يا كاشف كل ضرّ وبلية، يا عالم كل سر وخفية، يا أرحم الراحمين، ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[2] وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

قال الأعرابى : فاستغفرت بذلك مراراً، فكشف الله عنى الغم والضيق، ووسع علىَّ فى الرزق، وأزال المحنة.

وهكذا تتضح لنا أهمية الإخلاص وطاعة الله فى حسن الاستغفار والتوجه إليه فى كل أمر.

---

(١) سورة نوح : ١٠-١٢.
(٢) سورة غافر : ٤٤.

٦- التوجه إلى الله بحسن التوكل عليه

يروى لنا الرجل العابد مالك بن دينار وقائع قصة رآها، فيقول: كنت أسير فى البادية قاصداً حج بيت الله الحرام، فإذا بى أجد غرابا وفى فمه رغيف من الخبز، فقلت فى نفسى: إن لهذا الغراب لشأنا، فتبعته ببصرى حتى نزل عند فم غار، فذهبت إليه فإذا برجل موثق بالحبال والقيود، وهو مشدود لايستطيع حركة ولا فكاكا، وقد ألقى الغراب رغيف الخبز بين يدى الرجل، فسألته من أنت؟ ومن أى البلاد؟ وأين تقصد؟ فقال: أنا ممن يقصدون حج بيت الله الحرام، وقد أخذ اللصوص مالى، وجردونى من متاعى، وأوثقونى بالحبال كما ترى، فصبرت على الجوع والعطش أياماً، فلما اشتد بى الحال، لم يكن أمامى من ملجأ إلا الله، فأخلصت نيتى وتوجهت إلى ربى بقلبى وقلت: «يا من قلت فى كتابك العزيز: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[1] أنا مضطر فارحمنى. فأرسل الله إلى هذا الغرب بطعامى كما ترى، قال مالك: فحللته من وثاقه، ثم مضينا قاصديْن الحج، فلما أخذنا فى الطريق، إذا بنا وقد نفد منا الماء، فاستبد بنا العطش، فنظرنا فى البادية من حولنا، فرأينا بئرا عليه مجموعة من الظباء، وهو منا غير بعيد، فدنونا منه، فنفرت الظباء ووقفت غير بعيد، فلما وصلنا البئر إذا بنا نجد الماء وقد انخفض مستواه إلى قعره، فاحتلنا لذلك حتى استقينا وشربنا، وعزمت على ألا نبرح هذا المكان حتى نسقى تلك الظباء التى نالها من العطش مثل الذى نالنا، ولولا وجودها بجوار البئر لما اهتدينا إليه، فحفرت وصاحبى حفرةً وملأناها بالماء، ثم تنحينا عنها، فأقبلت الظباء فشربت حتى رَوِيَتْ، فإذا هاتف نسمع صوته ولانرى شخصه يقول: يامالك ابن دينار: دعانا صاحبك (أى الذى أوثقه قطاع الطريق) وتوجه إلينا بقلبه ونفسه فأجبناه وأطعمناه وحللنا وثاقه وسقيناه، وتوكلت علينا الظباء فسقيناها.

(١) سورة النمل : ٦٢.

وبهذا يتضح لنا أهمية وقيمة الأخذ بأسباب الدعاء، والطمع فى الرجاء، عندما تنقطع بنا الأسباب المادية، وصدق رسول الله إذ يقول: «**لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير؛ تغدو خماصاً وتروح بطاناً**».

٧- التوسل إلى الله لقضاء الحاجات بقراءة القرآن الكريم

الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - سادس أول ستة أسلموا، صدقت فيه نبوءة النبى ﷺ إذ قال: «**إنك غلام معلَّم**»، فقد علمه ربه حتى صار فقيه الأمة، وعميد حفظة القرآن جميعاً، فقد أخذ سبعين سورة من فم النبى ﷺ لا ينازعه فيها أحد، وعن هذه المكرمة يقول النبى ﷺ: «**من أحب أن يسمع القرآن غضّاً كما أنزل فليسمعه من ابن أم عبد**» أى ابن مسعود، وكان النبى ﷺ يحب فيه ورعه وفطنته وعظمة نفسه، حتى لقد قال فى حقه: «**لو كنت مؤمِّراً أحد دون شورى المسلمين لأمَّرْت ابن أم عبد**»، لم يفارق الرسول فى سفر ولا فى حضر، شهد المشاهد كلَّها، وحضر الغزوات جميعاً.

رزقه الله البنات، وكان زاهداً فى الدنيا، لانقول مُقلاًّ من مالها، ولكن كان فى عداد المعدمين، هذا فى الوقت الذى تولى فيه إمارة الكوفة، ولقد دخل عليه سيدنا عثمان بن عفان - رضى الله عنه - يعوده فى مرض موته، فعرض عليه عثمان أن يعطيه عطاء من بيت مال المسلمين يستعين به فى تجهيز بناته، فهذا من الأمور التى تسبب لصاحبها كرباً عظيماً، فما كان من ابن مسعود إلا أن رفض هذا الغرض من عثمان، شاكرا له اهتمامه، وقال له: إنى أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة كل ليلة، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً**».

ولا غرو فى ذلك ولاعجب؛ فإن هذه السورة يطلق عليها سورة الغنى، فعن أنس قال: «**سورة الواقعة سورة الغنى، فاقرأوها وعلموها أولادكم**» ولفظ هذا الحديث عن الديلمى: «**علموا نساءكم سورة الواقعة؛ فإنها سورة الغنى**» وعند

القرطبى عن شريح بن يونس بسنده إلى مسروق قال: «**من سره أن يعلم علم الأولين والآخرين، وعلم الدنيا والآخرة، فليقرأ سورة الواقعة**».

فيا كل مكروب، وياكل مهموم: توسل إلى الله لقضاء حاجاتك بتلاوة كتابه، واستعن بدينك على دنياك، وبأولاك على أخراك، تجد ربك أقرب إليك من حبل الوريد، بل تجده - جل فى علاه - أولى بك منك.

٨- شيخ القراء عاصم يستدفع الفقر بالدعاء

روى الحافظ النسفى بإسناده إلى حماد بن سلمة أن الإمام عاصم بن أبى النجود شيخ قراء عصره، وصاحب القراءة القرآنية الشهيرة، قد تعرض لضائقة مالية، شأنه فى ذلك شأن غيره من الناس، فذهب يلتمس تفريج ضائقته هذه عند بعض إخوانه الذين تَوَسَّمَ فيهم الخير والنجدة وإغاثةَ اللهفان، ولكنه رأى فى وجوههم الكراهة، وهو رجل مرهف الحس، مُعايش لكتاب الله - تعالى - تلاوة وتدبرا وعملا، وهنالك تذكر الشيخ الجليل أنه أخطأ الطريق، واستشعر ما قاله الصالحون عن المحن، حيث قالوا: «المحن معها تمحيص من الذنوب، وتنبيه من الغفلة، وتعرض للثواب بالصبر، وتذكير بالنعمة، واستدعاء للتوبة، وفى نظر الله - عز وجل - وقضائه الخيار».

فما كان منه إلا أن خرج إلى مكان بظاهر المدينة التى يقيم فيها، وتوضأ وتطهر، وأقبل على ساحات ملك الملوك، فصلى لله ماشاء أن يصلى، ثم وضع جبهته على الأرض ساجداً لله وقال: «**يا مُسَبِّبَ الأسباب، يامفتح الأبواب، ياسامع الأصوات، يامجيب الدعوات، ياقاضى الحاجات، اكفنى بحلالك عن حرامك، وأغننى بفضلك عمن سواك**» يقول عاصم - رحمه الله -: فو الله ما رفعت رأسى حتى سمعت وقعة شىء بقربى، فرفعت رأسى فإذا حدأة قد طرحت كيسا أحمر، فأخذت الكيس، فإذا بداخله ثمانون ديناراً وجوهرة ملفوفة فى قطنة مندوفة، قال: فبعت الجوهرة بمال عظيم، وبقيت الدنانير، فاشتريت بها عقاراً، وحمدت الله على ذلك.

وهكذا يكون تفريج الكروب مصحوبا بحسن التوجه إلى الله، وحينما نعلن عن تمام عبوديتنا لله بإلصاق الجباه بالتراب فى خشوع وتذلل، **فأكرم بذل عبودية يكون فيها الشرف العظيم، ومن رحابها يشرب العبد كأساً من السرور مترعة مزاجها التسنيم**، فالزم باب مولاك، واسأله كل حاجاتك، فخزائن ربنا ملأى، تفيض بالخير ولا تغيض، ويد ربنا - تبارك وتعالى - سحَّاء الليل والنهار، يبسطها دائما وأبداً بالجود والكرم والخير والرحمة والعطاء، إن رحمة الله قريب من المحسنين.

٩- تفريج كرب الإمام الحسين بدعاء النبى له

أخرج ابن عساكر فى تاريخه، من طريق ابن المنذر هشام بن محمد، أن الإمام الحسين بن على - رضى الله عنهما - كان يأخذ عطاء من بيت المال فى زمن معاوية بن أبى سفيان يتقوى به على الحياة، وَحَبَسَ معاوية هذا العطاء فى بعض السنين، وطال تأخر هذا العطاء، واشتد بالحسين الحال، حتى لقد هم أن يُذَكِّر معاوية بهذا، وأن يستحثه على طلب هذا العطاء، فهو إنما يأخذ معاشه المقدر له من بيت المال، وفعلا دعا الحسين من يحضر له دواة وقرطاساً كى يعرب لمعاوية عن حاله، ولكن نفسه الكبيرة قد أبت عليه ذلك، مؤثراً أن يظل على هذا الحال خيراً من أن يقدم على الكتابة لمعاوية.

ولكن الله الذى ينبت الفرج من الضيق، ويفتح على عباده المؤمنين من أيسر طريق، قد ساق له الفرج القريب، على يدى جده الحبيب ﷺ فبينما هو نائم فى ليلته تلك إذ به يرى رسول الله ﷺ فى منامه، فيسأله جده ﷺ: «**كيف أنت ياحسين؟**» فأجابه الحسين قائلاً: «أنا بخير يا أبت»، ثم أخذ يشكو إليه حاله، وما كان من أمر معاوية معه من إمساك نفقة هذا العام، فقال له النبى ﷺ: «**قل: اللهم اقذف فى قلبى رجاءك، واقطع رجائى عمن سواك، حتى لا أرجو أحداً غيرك، اللهم وما ضَعُفَتْ عنه قوتى، وقصر عنه عملى، ولم تنته إليه رغبتى، ولم**

تبلغه مسألتى، ولم يَجْر على لسانى مما أعطيت أحداً من خلقك من الأولين والآخرين من اليقين فَخُصَّنى به يارب العالمين».

فاستيقظ الإمام الحسين من نومه، وقد حفظ هذا الدعاء المبارك، ودعا الله به، يقول: فو الله ما ألححت أسبوعاً حتى بعث إلى معاوية ألفاً وخمسمائة ألف، فقلت: الحمد لله الذى لاينسى من ذكره، ولايخيب من دعاه. فرأيت رسول الله ﷺ بعد ذلك فى المنام فقال: «**ياحسين كيف أنت؟**» فقلت: بخير يارسول الله، وحدثته بحديثى، فقال: «**يابنى هكذا من رجا الخالق.ولم يرج المخلوق**».

١٠- قضاء دين معاذ بن جبل

لقد كان من عادة النبى ﷺ أن يتفقد أصحابه فى أوقات صلاة الجماعة، وبخاصة صلاة الجمعة، وهذه إحدى فوائد صلاة الجماعة والترغيب فى أن تكون فى المسجد، ولقد تفقد النبى ﷺ أصحابه فى صلاة إحدى الجمع، فلم يجد فيهم معاذ بن جبل - رضى الله عنه - وما هى إلا فترة يسيرة حتى أتى معاذ، فقال له النبى ﷺ: «**يامعاذ: مالى لم أرَكَ؟**» فقال معاذ: يارسول الله كان على دين ليهودى ومقداره أوقية من تبر (ذهب) فخرجت إليه فحبسنى عنك. أى أن معاذا كان مدينا لأحد يهود المدينة بما قيمته أوقية من ذهب، وقد حل وقت سداد هذا الدين، ولم يكن عنده وفاء لذلك الدين، فذهب إلى دائنه يطلب منه إنظاره إلى ميسرة، ولكن دون جدوى، فقد ظل يراجعه حتى فاتته صلاة الجمعة خلف النبى ﷺ وبهذا فقد أضاف ذلك كربا إلى نفس معاذ على كربه من جراء الدين، ونزل بساحته هم وغمّ لايقدر على تفريجه إلا من أمره بين الكاف والنون، وناهيك بالدين هما وغما أن يكون من قبل لئيم.

وهنا أدرك النبى ﷺ ما نزل بالصحابى معاذ بن جبل من جهد عظيم فأراد أن يعرفه أبواب القبول، ويدله على طريق الوصول، فأخذ يرغبه فى الدعاء قائلا له: «**يامعاذ: ألا أعلمك دعاء تدعو به، لو كان عليك من الدين مثل صَبّر** أداه الله

عنك؟» وصبر هذا: جبل معروف من جبال اليمن، وإنما مثل له النبى بهذا الجبل ولم يمثل له بأحد، ربما لأن صبرا هذا كان أعظم حجما من أحد، أو لأن معاذاً كان باليمن ويعلم ضخامة جبالها ومنها هذا الجبل، فما كان من معاذ إلا أن تاقت نفسه، واشتدت رغبته في تعلم هذا الدعاء، كما اشتاقت رغبتنا إليه كذلك، فقال له النبى ﷺ: «**يامعاذ قل: اللهم مالك الملك، تؤتى الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء، بيدك الخير إنك على كل شىء قدير، تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل، وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى، وترزق من تشاء بغير حساب، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، تعطى منهما من تشاء، وتمنع من تشاء، ارحمنى رحمة تغنينى بها عن رحمة من سواك**».

فما كان من معاذ إلا أن جأر إلى الله بهذه الضراعة وناجاه بهذه المناجاة، وأقبل على ساحات ملك الملوك، وأغنى الأغنياء، معلنا ذله ومسكنته، وافتقاره إلى من لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء، حتى فرَّج الله عنه ما أهمَّه وأغمَّه من أمر هذا الدين الذى شكل له بالفعل هما بالليل وغمّاً بالنهار.

١١- قضاء الدين بالتسبيح والاستغفار

أخرج الإمام مالك - رضى الله عنه - فيما حدث به عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ يشكو إليه كربا نزل به، وقد تمثل كرب هذا الأعرابى فى إدبار الدنيا عنه وارتحالها بعد طيب مُقَام، وقد شكل له ذلك الأمر همّاً وغمّاً، ولكن بفضل الله لم يفقد فيه صوابه، ولم يستسلم لهواجس نفسه، ونحن حينما ننظر إلى هذا الأعرابى نجد أن هذا الأمر يحدث فى الدنيا كثيراً، فبعض أصحاب النعمة والثراء، قد يصبح الواحد منهم بين عشية وضحاها لايملك عقداً على نقد، بعد أن كان غارقاً فى النعيم حتى الأذقان، لايعرف لثروته عداً، ولا يحيط بها حصراً، فهذه الدنيا بما فيها، وبمن فيها

عرض زائل، وظل حائل، يأكل منه البر والفاجر، ومن حكمة ربنا - تبارك وتعالى - أن جعل حظوظ العباد منها متفاوتة، وأقدارهم فيها غير ثابتة، فمن سنته فيها أنه جعلها دُوَلاً بين الناس، والبلاء عند إقبالها لايقل بحال عن البلاء عند إدبارها، فكما يقول العارفون: كلما حلت أوحلت، وكلما انجلت أوْجَلَت، ومع هذا فإن قلوب العباد قد جبلت على حبها، والاستكثار منها.

فلما عرض الأعرابى أمره على رسول الله ﷺ قال له: «**أين أنت من صلاة الملائكة، وتسبيح الخلائق، وبه يرزقون؟!! قل عند طلوع الفجر: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، ثم استغفر الله مائة مرة تأتك الدنيا صاغرة**» فما أعظمها من تذكرة، يمزج العبد فيها خوفه من ربه بحسن الرجاء فيه، إنها تتكون من التسبيح والاستغفار اللذين يستمطر بهما العبد مدد العزيز الغفار، فما كان من هذا الرجل إلا أن أخذ هذه الوصفة النبوية، ورجع إلى أهله يرددها فى وقت الفجر، ويلح فى طلب الخير بها من الله - تعالى - فمكث مدة يسيرة، ثم عاد إلى النبى ﷺ مرة ثانية، ووجهه يتهلل بشراً، وقلبه قد ازداد ارتباطا برب العالمين، فأخبر النبى ﷺ قائلاً: «يارسول الله لقد أقبلت على الدنيا، فما أدرى أين أضعها؟!!» وهذا بحسن إقباله على الله، وصدق استجابته لرسول الله ﷺ.

ولاتعجب قارئى العزيز، إن التعامل مع الله بصدق ويقين لايعدله شىء فى هذا الوجود، ذلك لأن أوامر الله فورية وحاسمة، فأمره بين الكاف والنون، وخزائن ربنا - سبحانه وتعالى - مليئة بكل خير، وخزائن ربنا كلام، وهو الذى لايعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء، وهو الذى يؤدب عباده المؤمنين بإزواء الدنيا عنهم، حتى لاتتعلق قلوبهم بها، وحتى يصفيهم من الأكدار، فيقبلوا على الله إقبال المحبين الذين يغمرهم بِرُّه، ويغشاهم فضله ونواله.

١٢- عندما يصبح توصيل الدين للمستحق كربا

إذا كان الناس قد ألفوا فى حياتهم أن قضاء الدين هو الكرب الذى يقلقهم، فإننا نعيش لحظات مع كرب رجل تمثل فى توصيل دينه لمستحقه، ولكن بحسن نيته، وصدق طويته هيأ الله الأسباب، إنه رجل من بنى إسرائيل نزلت به ضائقة مالية، فسأل رجلا من قومه أن يسلفه ألف دينار، فأبى أن يسلفه إلا فى حضرة شهود أو ضامن، فأحاله المحتاج إلى الله، وقال له: ليس عندى شهود إلا الله، وليس لى كفيل إلا الله، فرق الدائن لحاله، وأقرضه المبلغ إلى أجل معلوم، فانصرف المدين وأمله فى السداد قوى، ورغبته فيه أكيدة، ولما حان وقت سداد هذا الدين، تمثل كرب هذا الرجل وشدته فى الكيفية والطريقة التى يستطيع بها توصيل الدين لصاحبه يوم استحقاقه؛ ذلك لأنه بينهما بحر لابد لعبوره من سفينة، ولم تكن السفن متاحة بالقدر الكافى آنذاك، فلما عز عليه العثور على سفينة وهو على شاطئ البحر، ما كان منه إلا أن لجأ إلى الله ـ تعالى ـ فسهل له أمر السداد.

ويصحبنا الإمام أبو هريرة فى حديثه الذى يرويه الإمام البخارى، فعن رسول الله ﷺ أنه ذكر رجلا من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يُسلفه (أى يقرضه مالا) ألف دينار، فقال: ائتنى بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدا، قال: فأتنى بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج فى البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبا يركبها، يقدم عليه للأجل الذى أجله، فلم يجد مركبا، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زَجَّجَ موضعها أى أحكم مكان غطاء النقرة حتى لا يتخلل الماء منه، ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أنى كنت تسلفت فلانا ألف دينار، فسألنى كفيلا، فقلت: كفى بالله كفيلا، فرضى بك، وسألنى شهيداً، فقلت: كفى بالله شهيداً، فَرضى بك، وإنى جهدْت أن أجد مركباً أبعث إليه الذى له فلم أقدر، وإنى أستودعكها، فرمى بها فى البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف، وهو فى ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده، فخرج

الرجل الذى كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التى فيها المال، فأخذها حطبا لأهله، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذى كان أسلفه، فأتى بالألف دينار، فقال: والله مازلت جاهدا فى طلب مركب آتيك بمالك، فما وجدت مركبا قبل الذى أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إلىَّ بشىء؟ قال: أخبرك أنى لم أجد مركبا قبل الذى جئت فيه، قال: فإن الله قد أدى عنك الذى بعثت فى الخشبة، انصرف بالألف دينار راشداً».

وبهذا تتضح لنا هذه الحقيقة الهامة التى وردت فى حديث الرسول الكريم «**من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله**»، كما يتضح لنا أن من أُعْطِىَ بالله فعليه الوفاء بما عاهد عليه الله، وأنه إذا صدقت النوايا فإن الله يهئ من الأسباب ما يعين على السداد والقضاء، ولو أن الناس راضوا أنفسهم على هذا المنهج أصبح للحياة طعم ومذاق طيب، حيث تصبح الدنيا حيئذ داراً للكرامة ومحلاً للمقامة، فتهدأ النفوس، وتقنع القلوب، وتسخو الأيدى بالعطاء وتجود، وفى ذلك كله من أسباب سعادة البشر ما فيه، وأنعم بها من تجارة رابحة تأتلف فيها الفطرة البشرية، ولا تختلف، وهى المخرج الوحيد من براثن ركام المادية البغيض الذى عصف بالقيم وأطاح بالأرواح، فأصبح الأخذ والإعطاء سيوفا مسلطة على الأعناق والرقاب.

١٣- دعاء لدفع العكس فى الأرزاق

المحارَف:

هو الإنسان الذى لا يحالفه التوفيق فى الحصول على رزقه، فهو لايصيب خيراً من أى وجه يتوجه إليه، وقد يبتلى بالمحارفة كثير من الناس، وقد أرشدت السنة المطهرة إلى بعض الأدعية التى يدفع الله بها هذا العكس فى الأرزاق.

ولقد تعرض للمحارفة بدر بن عبد الله الفزارى، فكان محارفاً فى رزقه، ولاينمو ماله، فلما استشعر الضيق من هذه الحال ما كان منه إلا أن ذهب إلى

رسول الله ﷺ يطلب منه تفريجا لهذه الأزمة، وحلا لهذه الشدة، ولقد أخرج أبو نعيم فى حليته قال: روى بدر بن عبد الله الفزارى قال: قلت: يارسول الله إنى رجل محارب أو محارف، لاينمى مالى، فقال رسول الله ﷺ : «**قل إذا أصبحت: اللهم رضنى بما قضيت لى، وعافنى فيما أبقيت، حتى لا أحبَّ تأجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجلت، فكنت أقولهن، فأثمر الله مالى، وقضى عنى دينى، وأغنانى وعيالى**».

فما أطيب هذا الدعاء النبوى المبارك، وما أحرانا أن ندعو الله به، سواء أكان العبد منا محارباً أو محارفاً فى رزقه أم لا، فهو نوع من التحصين ضد هذه النوازل، وصدق الرسول الكريم، إذ يقول: «**الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل**».

١٤- تفريج كرب أبى أمامة بن عبد المنذر

لقد تعرض الصحابى الجليل «أبو أمامة بن عبد المنذر» الأنصارى لضائقة مالية، حيث قد أثقلته ديونه، ولم يجد لها وفاء، فما كان منه إلا أن أوى إلى المسجد وانقطع للعبادة فيه.

ولقد جاء تفريج كربه على يدى النبى ﷺ بدعاء علمه إياه، ونحن نترك الصحابى الجليل أبا سعيد الخدرى يروى لنا هذه الواقعة فى حديث أخرجه أبو داود، فعن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له: أبو أمامة، فقال: «**يا أبا أمامة: مالى أراك جالسا فى المسجد فى غير وقت صلاة؟ قال: هموم لزمتنى وديون يارسول الله، قال: أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك؟ قلت: بأبى يارسول الله، قال: قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال**» قال: فقلت ذلك فأذهب الله - تعالى - همى وغمى، وقضى دينى.

١٥- قضاء دين السيدة عائشة رضى الله عنها

عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: دخل علىَّ أبو بكر - رضى الله عنه - فقال: سمعت من رسول الله ﷺ دعاء علَّمنيه، قلت: ما هو؟ قال: كان عيسى ابن مريم يعلم أصحابه قال: لو كان على أحدكم جبل ذهب دينا فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه: (اللهم فارج الهم، كاشف الغم، مجيب دعوة المضطرين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، أنت ترحمنى، فارحمنى برحمة تغنينى بها عن رحمة من سواك).

قال أبو بكر: وكان علىَّ بقية من الدين، وكنت للدين كارها، فكنت أدعو الله بذلك فأتانى الله بفائدة فقضى عنى دينى.

قالت عائشة: «كان لأسماء بنت عميس علىَّ دينارٌ وثلاثة دراهم، وكانت تدخل علىَّ فأستحى منها أن أنظر فى وجهها؛ لأنى لا أجد ما أقضيها، فكنت أدعو بذلك الدعاء، فما لبثت إلا يسيراً حتى رزقنى الله رزقاً، ما هو بصدقة تُصدِّق علىَّ، ولا ميراث ورثته، فقضاه الله عنى، وقسمتُ فى أهلى قسما حسنا، وحليت ابنة عبد الرحمن بثلاث أواق من ورِقٍ (فضة) وفضل لنا فضل حسن»(١).

١٦- تفريج كرب المقداد بن عمرو

المقداد بن عمرو هو أحد أفراد قبيلة «بَهْراء» اليمنية، وكان والده من الشيوخ المبرزين فى هذه القبيلة، وكان المقداد قوى البدن، يصرع خصومه وأقرانه، ولقد جرَّت عليه فتوته هذه كثيراً من الصعاب فى مستقبل حياته، ولقد انتهى به المطاف إلى أن لجأ إلى الأسود بن عبد يغوث بمكة ولاذ به، حتى إنه ألحقه فى نسبه إليه، لما اتصف به من الشجاعة والإخلاص والأمانة، فكان يدعى «المقداد بن الأسود»، وما إن أعلن النبى ﷺ دعوته حتى ذهب إليه المقداد وأعلن إسلامه، وكان من السابقين الأولين، وقد هاجر إلى الحبشة، ثم عاد بعد إسلام عمر بن الخطاب، كما هاجر إلى المدينة، وقد امتدت به حياة حافلة

(١) رواه البزار، والحاكم، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

بالجهاد والعطاء والتفانى فى خدمة الإسلام إلى عهد عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ . . .

ولقد تعرض المقداد لأحد المواقف الحياتية التى شكلت كرباً شديداً؛ حتى لقد خشى على نفسه الهلاك، وتتمثل وقائع هذا الكرب فيما أخرجه مسلم والبيهقى من رواية المقداد بن الأسود والتى يقول فيها: «كنت أنا وصاحبان لى قد بلغ منا الجهد، فعرضنا أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ فلم يقبلنا (أى لم يفطن) أحد منهم إلى شكوانا فيستضيفنا فأتينا النبى ﷺ فانطلق بنا إلى أهله، فإذا ثلاثة أعنز، فقال: احتلبوا منها لبنا يكون بيننا (أى أشرب منه أنا وأنتم)، فكنا نحلب ونشرب، ونرفع للنبى ﷺ نصيبه، فيجئ من الليل ويشربه، فوقع فى نفسى ذات ليلة أنه ﷺ يأتيه الأنصار بلبن يشربه، فلا حاجة له بهذه الجرعة فشربتها، ثم ندمت خشية أنه إذا لم يجدها يدعو علىَّ فأهلك، فلم أنم، ونام صاحباى، فجاء النبى ﷺ كعادته، فكشف الإناء فلم يجد فيه شيئا، فرفع بصره إلى السماء، فقلت: يدعو علىَّ، فسمعته يقول: «**اللهم أطعم من أطعمنى، واسق من سقانى**» فأخذت الشفرة وانطلقت إلى الأعنز لأذبح ماسمن منها، فإذا هى حُفَّلٌ باللبن (أى أن ضروعها ممتلئة لبنا) فحلبت فى إناء حتى علت الرغوة، وجئت به إليه ﷺ فشرب ثم ناولنى، فلما علمت أنه روى وأصبت دعوته، ضحكتُ حتى استلقيتُ (أى من كثرة الضحك) فقال ﷺ : إحدى سوءاتك يامقداد (أى إنك فعلت شيئا يضحك) فما هو هذا الذى فعلت؟ فقلت: كان منى كذا وكذا، فأخبره النبى بأن هذا اللبن الذى حلبه المقداد هو رحمة من الله ونفحة من نفحاته، حيث قال: «**ماهى إلا رحمة من الله، لو كنت أيقظت صاحبيك فأصابا منها؟**» فقلت: والذى بعثك بالحق ما أبالى إذا أصبتها ـ أى الدعوة ـ وأصبت فضلتك (أى من اللبن) من أخطأها من الناس».

وبهذه النهاية السعيدة فرج الله كرب هذا الصحابى الجليل، وتبددت مخاوفه ببركة دعوة النبى ﷺ فهو لم يشرب نصيب النبى أولا اجتراء على رسول الله، ولكنه تأول فيه فأخطأ، ومن هنا فقد أدركته رحمة الله، وجاءه الفرج القريب.

الباب الثانى

تفريج الكروب التى تحدث في محيط الأسرة


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأسرة هى الوحدة البنائية للمجتمع، وتتوقف الحالة النفسية لأفرادها على هدوء البال وراحة الأحوال، ومع هذا فإن هناك من الشدائد والكروب، والأزمات والخطوب ما يحدث فى محيط أية أسرة فيعكر صفوها، وما لا يمكن معه أن يوجد للكثير من هذه المنغصات علاج عند الأطباء أو فى الصيدليات، وإنما يقتصر تفريجه على اللجوء إلى الله واستمطار رحماته بالضراعة والدعاء، كحالات البغضاء التى تحدث بين الزوجين، أو كالغيرة التى كثيراً ما تستبد بالعنصر النسائى، ولا يخلو منها بعض الرجال، وما إلى ذلك من بعض المواقف الطارئة التى قد تحدث لشك أو ريبة أو اتهام بالباطل، هذا فضلا عن حالات الفراق لطلاق أو ظهار، ومن الأمور المقلقة والمفزعة التى إذا خيمت على أية أسرة فإنها تسبب لطرفيها الكثير والكثير من المنغصات كحالات العقم عن الإنجاب، أضف إلى ذلك ما يسببه عقوق الأبناء للآباء من كروب مفزعة، وخطوب مقذعة، تستحيل معها الحياة جحيما فى كثير من الأحيان، ويأتى فى نهاية المطاف، وفى نهاية هذه القائمة من هموم الأسرة لوعة الفراق لزوج أو ولد.

ونحن نرى أن هذه الأمور جميعاً لا يُنْجى فيها حذر من قدر، ولاينفع فى تفريجه إلا التشبث بأهداب رحمة الله، واستمطار رحماته، واللجوء إليه عن طريق الدعاء؛ ولذلك فإننا نقدم لك - أخى القارئ - باقة طيبة من هذه المعالجات الواقعية لكثير من الحالات التى حدثت فى محيط الأسرة المسلمة والتى استطاع أصحابها - بفضل الله - التغلب عليها بواسطة الدعاء، واستحالت حياتهم إلى حياة سعيدة، بل إن سعادتهم بها قد أضحت أفضل من سعادتهم

بحياتهم السابقة عليها، لأنهم استشعروا فيها حلاوة المدد الربانى، فهم يعيشون لذة العطاء وهناءته وسعادته، نقدم ذلك لكى تنهج الأسرة المسلمة فى حاضرها ما نهجه الأولون فى ماضيهم، والله سبحانه وتعالى هو الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

١- تفريج كرب العقم بالنسبة لنبى الله زكريا - عليه السلام

إن عاطفة الأبوة وغريزة الإنجاب من الصفات المركوزة فى أفراد عالم الإنسان، وذلك لما فيها من الحفاظ على النوع الإنسانى واستمراره واستقراره، ومما لاشك فيه أن عملية الإنجاب مرهونة بفترة زمنية من عمر الإنسان، فهى قد تطول فى الذكر وتقصر فى الأنثى، وإذا ما تعرض الزوجان لمثل هذه الحالة إذا ما تجاوزا هذه المرحلة بدون إنجاب، فإنهما يشعران بالكثير من الكروب والأزمات والشدائد النفسية، بدافع من الخوف على حمل اللقب، أو ميراث الثروة، وما إلى ذلك من مثل هذه الهواجس.

والأنبياء والمرسلون - عليهم الصلاة والسلام - باعتبارهم أفراداً من البشر، الذين جعلهم الله قدوة لأممهم، يحدث لبعضهم من هذه الأمور ما يحدث لغيرهم، وذلك ليتأسى الناس بهم فى حسن تصرفهم فى مثل هذه المواقف.

ولقد تعرض سيدنا زكريا - عليه السلام - لكرب من هذا القبيل، وهذا النبى هو زكريا بن يوحيا الذى ينتهى نسبه إلى سليمان بن داود - عليهم السلام - فقد تعرض هذا النبى الكريم لهذه الحالة؛ حيث قد تجاوزت به السن، وتقدم به وبزوجه العمر، فتجاوز التسعين عاماً من عمره، وتجاوزت زوجه فترة اليأس من الإنجاب، حتى عُدَّت عاقراً، كل ذلك وهما راضيان بقضاء الله وقدره، يؤديان دورهما فى الحياة بكل هدوء واطمئنان، ويؤدى زكريا رسالة ربه بكل حزم، لايلوى على شئ إلا على ابتغاء مرضاة الله، ولقد شاءت الأقدار أن يضطلع بكفالة مريم البتول؛ فهى ابنة أخت زوجته، فكان يذهب إليها بطعامها فيجد

عندها قوتها طازجاً كل يوم، فكان يسألها قائلاً: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾[1] فتجيبه قائلة ﴿هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1] فلما رأى أن الله يرزقها الفاكهة النضيجة فى غير حينها، فيجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء، تاقت نفسه إلى الإنجاب، وقال فى نفسه: إن الذى قدر على أن يفعل مع مريم هذا من غير سبب ولا فعل أحد لقادر على أن يصلح لى زوجتى، ويهب لى ولدا على الكبر، وزكريا بطبيعة الحال لم يكن فى شك من ذلك؛ فتلك حقيقة يعلمها كل نبى ورسول، ولكن كما يقولون: إذا أراد الله أمرا هيأ له أسبابه؛ ولذلك فقد تحركت فى نفسه هذه الرغبة بقوة وإلحاح، أضف إلى ذلك أن أمر خلافته فى النبوة لبنى إسرائيل قد شغله شغلا عظيما، فما كان منه إلا أن طرق باب الكريم الوهاب، المعطى بلا أسباب عطاءه بالأسباب، فقال ما حكاه عنه القرآن الكريم: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[2] كما شكا إلى الله ضعف قوته فقال ما حكاه القرآن كذلك: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[3] وبهذا الدعاء الضارع، من هذا العبد الصالح، الذى شكا إلى الله حاله، فقد وهن عظمه، وشاب رأسه، وخشى انقطاع الرسالة من بعده، وقد جاء منه هذا الدعاء لربه خفية وسرا، فدعاء السر والمناجاة أرجى للقبول، وأبعد عن الرياء والسمعة.

ولقد تمثل تفريج كربه فى هذه البشارة السارة التى جاءه بها الملك: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[4]، ويقول الله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا

---

(١) سورة آل عمران : ٣٧.
(٢) سورة آل عمران : ٣٨.
(٣) سورة مريم : ٢ - ٦.
(٤) سورة آل عمران : ٣٩ :

نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾[١]، فما كان منه إلا أن: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[٢]، وليس فى هذا السؤال فى حد ذاته شك فى حدوث الإنجاب، ولكنه استفهام عن الكيفية التى سيتم عن طريقها الإنجاب، فكأنه يقول: يارب: هل تجعلنى وامرأتى شابين قادرين على الإنجاب؟ أم أننا سننجب مع كبرنا؟ أم أنك سترزقنى الولد من زوجة أخرى غير زوجتى هذه؟ وكانت الإجابة الشافية والكافية من الله له بأنه سبحانه يفعل ما يشاء، فقد وهبه الله الغلام الطيب الذى قرت به عينه، وأصلح الله له زوجه ليكونا فى دنيا الناس آية تذكرها الأجيال بالخير والبركة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[٣].

٢- تفريج كرب السيدة فاطمة عندما غاب عنها الحسن والحسين

السيدة فاطمة الزهراء - رضى الله عنها - هى بضعة المختار ﷺ وقد رزقها الله بسيدنا الحسن وسيدنا الحسين - رضى الله عنهما - ولقد كان النبى ﷺ يحبهما حبًّا جمًّا، وكان بين ولادتهما فارق زمنى يقدر بعام؛ فقد وُلد الحسين بعد حول من مولد الحسن، ومما يدلنا على عظيم منزلة هذين السيدين ورفيع مكانتهما ما رواه لنا حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - حيث قال: رأيت رسول الله ﷺ آخذا بيد الحسين بن على وهو يقول: «**أيها الناس: هذا حسين بن على فاعرفوه، فوالذى نفسى بيده لجد الحسين أكرم على الله من جد يوسف ابن يعقوب، هذا الحسن جده فى الجنة، وأبوه فى الجنة، وأخوه فى الجنة، وهو فى الجنة**» ولقد كان الحسين أحب إلى رسول الله

(١) سورة مريم : ٧.
(٢) سورة آل عمران : ٤٠.
(٣) سورة الشورى : ٤٩ ، ٥٠.

ﷺ من أهل بيته جميعا، لا يدانيه فى هذا الحب أحد إلا أخوه الحسن، ولقد حدث ذات مرة أن كان الحسين والحسن يصطرعان، فكان رسول الله ﷺ يقول: «**وَيْهًا يا حسن**» وكلمة «ويها» كلمة تحريض على الفعل، فقالت السيدة فاطمة الزهراء - رضى الله عنها - : يارسول الله لم لاتقول: ويها ياحسين؟ فقال النبى ﷺ: «**إن جبريل - عليه السلام - يقول : ويها ياحسين**» فابتسمت الزهراء حين عرفت ذلك، والحديث عن حب هذين السبطين، وقربهما من رسول الله ﷺ يطول.

ولقد تعرضت السيدة فاطمة الزهراء - رضى الله عنها - لموقف من مواقف الشدة والكرب، ونحن نترك سيدنا عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - يروى لنا وقائع هذا الموقف وكيف جاءها من الله الفرج، فيقول: «كنا مع رسول الله ﷺ وإذا بفاطمة - رضى الله عنها - قد أقبلت تبكى، فقال لها النبى ﷺ: «**ما يبكيك لا أبكى الله لك عينا**» فقالت: يا أبت : إن الحسن والحسين قد ذهبا منذ اليوم ولم أعلم أين ذهبا، وإن عليا مشى على الدابة منذ خمسة أيام ليسقى البستان، وقد استوحشت لهما، فقال النبى ﷺ : **لاتبكي؛ فإن خالقهما ألْطفُ بهما مني ومنك.** ثم قال لأبى بكر: اذهب فاطلبهما، وأنت ياسلمان ، فلم يزل يوجه حتى مضت طائفة فى طلبهما، فرجعوا ولم يصيبوهما، فاغتم النبى ﷺ ثم قام ووقف على باب المسجد وقال: إلهى بحق إبراهيم خليلك، وبحق آدم صفوتك، إن كان قرتا عينى فى بر أو بحر أو سهل أو جبل فاحفظهما وسلمهما لأمهما فاطمة سيدة نساء العالمين، فنزل الأمين جبريل وقال: السلام عليك يارسول الله، الحق يقرئك السلام، ويقول لك: لاتحزن، ولاتغتم، الغلامان هما الفاضلان فى الدنيا والآخرة، وهما سيدا شباب أهل الجنة، وإنهما فى حديقة بنى النجار، وقد وكلت بهما ملكا يحفظهما إن قاما أو قعدا، أو ناما أو استيقظا. ففرح النبى ﷺ فقام ومعه أصحابه حتى دخل الحديقة فوجدهما نائمين، فجثا (أى نزل على ركبتيه)

النبى ﷺ على ركبتيه، وانكب عليهما يقبلهما ويقول: حبيبىَّ، حبيبىَّ، حتى استيقظا، فحملهما النبى ﷺ على كتفيه، الحسن على عاتقه الأيمن، والحسين على عاتقه الأيسر، وكان يقول كلما قبلهما: **«من أحبكما فقد أحبنى، ومن أبغضكما فقد أبغضنى» فقال أبو بكر - رضى الله عنه:- أعطنى أحمل أحدهما يارسول الله، قال النبى ﷺ: «نِعْمَ الْمَطىُّ مَطيُّهُمَا، ونعم الراكبان هما»**، ولم يزل النبى ﷺ سائرا بهما حتى دخل المسجد، وبعث بهما إلى ابنته، فأخذتها الفرحة وتولاها السرور».

وبهذا فقد فرج الله كرب الزهراء، ورد إليها ابنيها الكريمين، ببركة دعوة الرسول الأمين، واستجابة من الله العلى القدير.

تقول أسماء بنت عميس - رضى الله عنها -: بعد حول من مولد الحسن ولدت السيدة الزهراء الحسين، فجاء النبى ﷺ فقال : يا أسماء هات ابنى فدفعته إليه ﷺ فى خرقة بيضاء، فاستبشر به، وأذن فى أذنه اليمنى، وأقام فى اليسرى، ثم وضعه فى حجره وبكى، قالت أسماء: فقلت: فداك أبى وأمى، مم بكاؤك؟ قال: على ابنى هذا، قلت: إنه ولد الساعة، قال يا أسماء: تقتله الفئة الباغية، لا أنَاَلَهُمُ الله شفاعتى.

٣- تفريج كرب المهاجرة بدينها (أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط)

إن مُفارقات هذه الحياة كثيرة ومتنوعة، فهذه فتاة تدعى «أم كلثوم» ووالدها هو «عقبة بن أبى معيط» كافر مشهور بكفره وبعدائه للإسلام وللمسلمين، وأخواها هما «عمارة» و «الوليد» يقيمان على الكفر الذى يقيم عليه أبوهما، أما أم كلثوم، فقد شاءت لها الأقدار أن يخالط الإيمان بالله شغاف قلبها، ولقد شكل لها هذا الجو الذى تقيم فيه بمكة شدة وكربا عظيما، فهى تخفى إيمانها عن أهلها، فقد أسلمت بمكة قبل الفتح، وقبل صلح الحديبية، فخشيت على

نفسها من بطش أهلها إذا علموا بإسلامها، فلما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة والمؤمنون بالله معه ازدادت أشواقها للعيش الكريم والحياة الحرة فى رحابه بالمدينة المنورة، ولكن كيف السبيل لذلك، والمسافة شاسعة، والأخطار محدقة بها من كل جانب؟!!

فما كان منها إلا أن فكرت وقدرت، واستخارت الله واستشارته، فهداها رب العالمين لهجرة متميزة وممتازة، إنها هجرة فتاة فى ريعان الشباب وفى مقتبل العمر، بدأت رحلتها هذه وحيدة فريدة، لا أنيس معها ولا معين إلا ما تحمله بين جنبيها من إيمان يتوهج فيعطيها ذلك المدد والسند، فتستعذب العذاب، وتستعلى على الصعاب، وقبيل بزوغ فجر إحدى ليالى مكة ما كان من هذه الفتاة إلا أن أسلمت نفسها للمجهول، ممتطية طرقات الصحراء الموحشة المقفرة، فهى تنقلب من ظلمة ليل إلى هجير نهار، إلى أن وصلت بحمد الله سالمة وأعلنت إسلامها من جديد بين يدى رسول الله ﷺ كما طلبت منه أن يحميها، فهى لاترغب فى العودة إلى أهلها ثانية، فهى تعلم أنهم ربما يتمسكون بشروط صلح الحديبية لاستردادها، وقد كان من بنود هذا الصلح: أن من جاء من مكة مسلما إلى المدينة فإن على رسول الله ﷺ أن يرده إلى أهل مكة، فلم يكد يمضى على إقامتها بالمدينة أيامٌ حتى جاء أخواها فى طلبها، ولك أن تعجب أيها القارئ العزيز من هذا الموقف، ومن تلك المواجهة التى يعجز عن تصويرها أى بيان، فلقد ازداد موقف هذه الفتاة حرجا، فلئن كانت قد اجتازت كثيراً من المخاطر التى تتهددها فى رحلتها، من نحو لحاق أهلها بها، أو من تعرض قطاع الطريق وشذاذ الآفاق، أو أن تضل فى مسالك الصحراء، ودروبها التى لا عهد لها بها ضلالا يودى بحياتها، فإنها اليوم قد أصبحت فى حكم العائدة لامحالة بمقتضى شروط صلح الحديبية، فها هى الآن فى مجلس يضُم أخوين يلمع الشر فى وجهيهما، وتغلى مراجل الانتقام فى قلبيهما، فيفكران فى كيفية الخلاص من هذه الصابئة عن دين أبيها

وأهلـها، فلئـن كانت قد نجت من الوأد فى حالة الصغر لسبب من الأسباب، فقد أصبحت مبررات الخلاص منها فى نظر أخويها وشيكة الحدوث. إنها فى وضـع لاتحـسد علـيه، ماذا تصـنع؟ بمـن تسـتنجد؟ إنها فى كنف رسول الله ﷺ وفى شرف ضيافته، ما كان منها إلا أن تقدمت إلى رسول الله ﷺ وقالت له: يارسول الله : إن عمارة والوليد قد جاءا لتنفيذ شروط صلح الحديبية، وهـذه الشـروط قاسـية على الرجال، أما النساء فما لهن من تحملها من نصيب، أى إن النسـاء لايقـدرن علـى ذلك، وهنالك يشير إليها النبى ﷺ أن تجلس دون أن يذكر لها أو لأخويها شيئا، فهو لايستطيع أن ينقض عهداً أبرمه على نفسه . . .

وهنا اشتد بها الكرب، وتكالبت عليها الهموم من كل جانب، ولم تجد من ملجأ إلا إلى الله، فقالت بصوت متهدِّج: «**يا ألله، يامَنْ آمنت بك بظهر الغيب، ضراعتى إليك أن تنجينى**».

بهذه الكلمات الموجزات المرسلة، غير المنمقة، والتى خرجت من فمها إعلانا عن حالها، وترجمة لشدة كربها، ما لبثت أن تفتحت لها أبواب السماء، وجاءها الفرج القريب من الله المجيب، الذى أخبر بأنه أقرب إلى عبده من حبل الوريد، فإذا بالأمين جبريل ينزل على قلب النبى الكريم بقول الله - تعالى-: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**[1].

فما أن سُـرِّى عـن رسـول الله ﷺ حتـى تبـددت مخاوفهـا، وأبدلهـا الله

(١) سور الممتحنة : ١٠.

بالشـدة فرجـاً، وبالعـسر يسـراً، وإذا بهـذا البيـان الربانـى يأتى تتويجـا لكفـاح هذه الفتاة المسكينة، ويأتى ختاما طيبا لكل ما تحملته من مشقات فى سبيل عقيدتـها الصادقـة، وكـأن الله قـد كافأهـا عـلى بطولتهـا الفـذة، وشجاعتـها النـادرة بأن أجرى للأمة هذا الحكم على يديها، وليبين لنا أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، فهذا القلب الطاهر، المفعم بالإيمان الصادق لفتاة أموية ترعرعت فى بيت يأخذ تقديسُ الأصنام فيه موقع الصدارة، يبين للدنيا أن الإيمان الصادق تنبت حباته فى جميع الأجواء، وأن عقبة بـن أبـى معيـط وولديـه عمـارة والوليـد قد ازدادت حسرتهم بهذه اللطمة، أضف إليها أن هذا الحكـم الشرعـى الـذى حطـم أغلال هـذا القيد فـى ذلك الصلح سيجعل هذه القصة تروى تلقائيا عند بيان هذا الحكم فى كل جيل وفى كل قبيل.

٤- فالله خير حافظا

لقد كان من عادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أن يجلس فى مكان يراه الناس فيه، حتى يتمكن كل صاحب حاجة من الوصول إليه، والدخول عليه، وقد حدَّث زيد بن أسلم عن أبيه قال: بينما عمر بن الخطاب يَعْرِض للناس إذ مرَّ به رجل معه ابن له يحمله على عاتقه، وكان عمر صاحب فراسة قوية، فنظر إلى الرجل، ونظر إلى الولد، فأدرك ما بينهما من تطابق فى الشبه، إنه تطابق شديد، فقال عمر قولته الشهيرة: ما رأيت غراباً بغراب أشْبهَ من هذا بهذا؟!! أى: ما رأيت ولداً أشبه بوالده من هذا الولد بوالده، فتقدم الرجل إليه، وسلم عليه وقال: ياأمير المؤمنين: إن لهذا الغلام قصة غريبة عجيبة، فقد ولدته أمه وهى ميتة، فقال عمر: ويحك، وكيف حدث هذا؟! فقال الرجل: يا أمير المؤمنين أثناء حمل أمه به خرجت مع المجاهدين فى بَعْث كذا وكذا مجاهداً فى سبيل الله، وكنت أود الإقامة مع زوجتى حتى

تضع حملها، ولكننى فضلت الاستجابة لداعى الله على البقاء معها، وقد شكل هذا الموقف لى نوعاً من الكرب، فهدانى الله - سبحانه وتعالى - إلى وضع هذه الوديعة عند الله، الذى لاتضيع عنده الودائع، ولايخيب الرجاء فيه، فما كان منى إلا أن تضرعت إلى الله قائلاً: «**اللهم إنى أستودعك ما فى بطنها**» ثم انطلقت مع المجاهدين، ولم أفكر فى هذا الأمر بعد، فوديعتى فى مكان أمين.

فلما فرغنا من هذه المهمة ورجعت إلى المدينة المنورة، إذا بى أمام موقف لا أحسد عليه، فلقد ماتت زوجتى قبل أن تضع حملها، وأسدل الستار عليها وعلى جنينها، ولكننى لم أفقد الأمل فى الله بعد، فخرجت إلى البقيع ذات ليلة، وجلست بعض الوقت مع ابن عم لى، فنظرت فإذا بى أرى ضوءاً يشبه المصباح فى المقابر، فقلت لابن عمى: ما هذا الضوء الذى نراه؟ قال: لاندرى، غير أننا نرى هذا الضوء كل ليلة عند قبر فلانة، وهو قبر زوجتك، وهنا بدأت تباشير الفرح والفرج تلوح فى سماء نفسى، ولم يخامرنى شك فى أن هذا الضوء هو بشير خير لفك طلسم سر زوجتى وولدى، فأحضرت فأساً ثم انطلقت نحو القبر، فإذا بى أجد القبر مفتوحاً، وإذا بهذا الغلام وهو طفل فى حجر أمه، فدنوت منه، فنادانى مناد: «**أيها المستودع ربك : خذ وديعتك، أما إنك لو استودعت أمه لوجدتها**» فأخذت ولدى فى لهفة، فهو هدية من السماء إلىَّ، وبعد ما أخرجته انضم القبر.

ونظرا لغرابة هذا الحديث وتلك القصة، فإن أبا جعفر يقول: سألت عثمان بن زفر عن هذا الحديث، فقال: قد سمعته من عاصم بن محمد ابن زيد بن عبدالله بن عمر، وهو متَّفقٌ على توثيقه، وقد أخرجه له الجماعة.

أرأيت قارئى العزيز كيف تفعل الثقة بالله فعلها فى تفريج الكروب، وكيف

يصل التوكل على الله بصاحبه إلى حد إظهار الكرامات والآيات البينات؟!! فهذا الرجل الذى استودع الله ما فى بطن زوجته من ولد كان موفقا كل التوفيق؛ ذلك لأن الله هو خير الحافظين وهو أرحم الراحمين، وصدق الله إذ يقول: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[1].

فالثقة بالله، والاطمئنان إلى موعوده، والعيش فى رحابه، وفى رحاب التسليم المطلق له يصنع بالعبد الأعاجيب، ويحقق له من الأمور ما لايقدر هو على تحقيقه لنفسه؛ ذلك لأن قوة العبد محدودة، وقوة الرب - عز وجل - ما لها من حدود، وليس عليها من قيود؛ فهى قدرة ذات طلاقة، فهو الذى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى، وكل شىء أمام قدرته يسير، فما خَلْق النملة عنده بأيسر من خلق الفيل، فأمره فى كل شىء بين الكاف والنون.

فهذا درس طيب من دروس إجابة المضطرين يقتضينا أن نتعامل مع الله، وفى ملك الله، على هذا النحو من التسليم المطلق فى كل شىء، ففى الحديث القدسى: **«عبدى اطلبنى تجدنى، فإن وجدتنى وجدت كل شىء، وأنا أحب إليك من كل شىء وإن فُتُّنى فاتك كل شىء»**.

حتى نسعد كما سعد هؤلاء الأخيار الأبرار، فذلك خير وأبقى للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المضعفون، واضعين فى اعتبارنا أن أمة الإسلام تحظى من الله بالخير العظيم، فإذا كان القرآن الكريم دستور هذه الأمة، قد جعله الله مهيمنا على الكتب السماوية السابقة عليه، فإن كرامات هذه الأمة مهيمنة على كرامات الأمم السابقة، فإذا كان هناك من الأنبياء والمرسلين السابقين من أحيا الموتى بإذن الله، فهذا واحد من أمة الحبيب أخرج الله له الحى من الميت بقدرته وعظمته، وما ذلك على الله بعزيز.

---

(١) سورة يوسف : ٦٤.

٥ـ تفريج كرب يوسف - عليه السلام -

فى غيابة الجب

من الكروب التى كثيراً ما يتعرض لها الناس فى دنياهم تلك الكروب التى تنشأ من الغيرة، وبخاصة تلك التى تحدث بين الأهل والإخوان، فهى ليست بالأمور السهلة، ولا الكروب اليسيرة؛ ذلك لأنها إذا استحكمت فى النفوس، واستولت على مجامع القلوب، لاتلبث أن تؤجج فيها نيران الحسد، وكفى بنيران الحسد خطرا، إنها نيران باردة، ولكنها - والعياذ بالله - ساحقة ماحقة، تقضى على ما بين الناس من علائق الود والمحبة، فتجردها من كل مظهر كريم، وتعصف بها عصف النار فى الهشيم.

ولقد تعرض نبى الله يوسف ـ عليه السلام ـ فى باكورة صباه إلى لون من هذه الشدائد والضائقات، فلقد غار منه إخوته لأبيه، وكانوا أحد عشر رجلا، فحسدوه لمكانته المرموقة من الحب فى قلب أبيهم وأبيه، وكان من جراء ذلك أن وقعت تلك الأسرة فى سلسلة من الكروب المتلاحقة، التى يمسك بعضها بحجز بعض، والتى بدأت أولى حلقاتها بإلقاء يوسف فى غيابة الجب، ليقضى الله أمرًا كان مفعولا، ولكى يكون فى ذلك عظة وعبرة لكل أب وأم كى يعدل فى حبه بين بنيه، وأن يحرص على المساواة بينهم فى كل شىء بقدر الطاقة والوسع حتى فى العواطف والميول، ما استطاع لذلك سبيلا.

ولك أن تعجب معى من أمر هذا الفتى الرسول!! الذى ما يزال ينظر إلى الدنيا بعينين ملؤهما براءة الأطفال، فوالده لايطيق فراقه ثانية من ليل أو من نهار، يتمثل كربه فى تلك النوايا السيئة التى يبيتها له إخوته، الذين كانوا أهل رعى فى البوادى والقفار، فيطلبون من أبيهم نبى الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ـ عليهم السلام ـ أن يسمح لهم فى اصطحاب أخيهم يوسف إلى أماكن

الرعى، حيث الهواء الطلق، حتى يسرى عن نفسه باللهو واللعب والسمر معهم، كما حاولوا انتزاع الخوف من نفس أبيهم عليه من أذى الوحوش والسباع بأنهم عصبة من الرجال الأقوياء الأشداء، وأن أخاهم إن خلص إليه مكروه وهو معهم وفى صحبتهم فإن ذلك هو الضلال المبين، والعجز الواضح الفاضح.

فلما أذن لهم أبوهم باصطحاب أخيهم، خرج معهم يودعهم، وقلبه لايطاوعه، حيث قال لهم: «يابنىَّ: أوصيكم بتقوى الله، وبحبيبى يوسف، أسألكم بالله إن جاع فأطعموه، وإن عطش فاسقوه، وقوموا عليه ولا تتعبوه ولا تخذلوه، وكونوا متواصلين متراحمين. قالوا: نعم يا أبانا، كلنا لك ولد، وهو أخونا كذلك كأحدنا، بل إن له الفضل علينا بحبك إياه، فقال: نعم يابنى، الله خليفتى عليكم، مع أنى خائف أن أكون قد ضيعته، ثم أقبل على يوسف فالتزمه وضمه إلى صدره، وقبَّل مابين عينيه، ثم قال: استودعتك الله ربَّ العالمين، ثم انصرف راجعا».

وانطلق يوسف مع إخوته، تراوده الأحلام العِذَاب، جَرْىٌ، لهو، لعب، فرح ومرح، وهناك فى البرية، وعلى مسافة تبلغ ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب، إذا يهؤلاء الإخوة يكشرون عن أنياب الشر، ويظهرون ليوسف كل القسوة والغدر، من تلك التى تموج بها مراجل الحقد والحسد فى نفوسهم، وتتأجج نيرانها فى صدورهم، وهناك بدأت أحلام الفرح والمرح والسرور تتبخر من نفسه، وتنقشع سحائبها عن دنياه، ليجد نفسه فى وضع لايحسد عليه، فما كان من إخوته إلا أن ضربوه وعذبوه، فاستغاث بهم فلم يرحموه، وجاع وعطش فما سقوه ولا أطعموه، وطرحوا وصية أبيهم خلفهم ظهريا، وتنصلوا لعلاقة الأخوة بينهم فجعلوها نسيا منسيا، وأخيرًا وليس بآخر، فقد نفذوا أمرًا تحت جنح الظلام بيتوه، فعمدوا إلى بئر يقال له: «جُبُّ الأحزان»، وهو من الآبار القديمة العتيقة فى هذه المنطقة والذى يرجع تاريخ إنشائه إلى عهد سام بن نوح، فألقوه فى

هذا الجب، وهو بئر مظلم موحش فى غاية السوء، أسفله واسع وأعلاه ضيق، ماؤه ملح أجاج، ويقع فى طريق القوافل بين مصر والشام، وتدل الأخبار على أن من يطرح فيه فإنه لاشك مفقود، وهيهات هيهات أن يرى للحياة أثراً، ولم يكتفوا بذلك كذلك، وإنما أخذوا يتشفون فيه قائلين: ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا تُلْبسُك وتؤنسك!!.

إنهم بهذا يشيرون إلى الرؤيا التي رآها وأخبر بها والده، والتى يحكيها لنا القرآن الكريم فيقول: ﴿ **إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾[1] فما هى إلا برهة أو تكاد، وإذا بيوسف البرئ، وقد تقاذفته أيدى الشر إلى تلك الأغوار السحيقة، عريانا، وحيدًا، ظامئا وجائعا كذلك، وإذا بجيوش الهموم والغموم تزحف على نفسه من كل صوب وحدب، مع أول تجربة له فى البعد عن ساحة أبيه، ولكن جريا على سنة الله فى حفظ أهله ورعايتهم، إذا بالفرج ينشق وينبت من الضيق، فإذا بالجب يستضىء، وإذا بمائه الملح الأجاج يتحول بقدرة الله عذبا فراتا سائغا للشاربين، وإذا بملك يأتيه بسفرجلة من الجنة يطعمه إياها؛ لأن السفرجل يقوى القلب، ويدخل السرور على النفس، وكأن هذا الجب قد استحال روضة من رياض الجنة، كما استحالت من قبل النار على جده الخليل، وكما استحال تابوت الكليم وهو فى النيل، وظل عنده ملك يؤنس وحدته ووحشته طوال النّهار، فلما هم بالانصراف ليلا قال ليوسف: «إذا هِبْتَ شيئا، أو خفته على نفسك، فقل هذا الدعاء: **ياصريخ المستصرخين، ياغياث المستغيثين، يامفرج كرب المكروبين، قد ترى مكانى، وتعرف حالى، ولا يخفى عليك شىء من أمرى**».

---

(١) سورة يوسف: ٤، ٥.

فما كان من يوسف إلا أن دعا بهذا الدعاء فبعث الله إليه سبعين ملكا يحفون به، وآنسوه فى البئر ثلاثة أيام، وبهذا فقد فرج الله عنه بعض همه، وأذهب عنه من الغم ماكاد يتقطع له نياط قلبه. . .

ومع هذا كله فما يزال لسان حاله يقول مقالة كليم الله موسى: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[1].

وفى اليوم الرابع جاءه جبريل ـ عليه السلام ـ وقال له: يا يوسف، أتحب أن تخرج من هذا الجب؟ قال: نعم، قال: فقل هذا الدعاء:

«اللهم يا صانع كل مصنوع، وياجابر كل مكسور، وياحاضر كل ملأ، وياشاهد كل نجوى، وياقريبا غير بعيد، ويامؤنس كل وحيد، وياغالبا غير مغلوب، وياعلام الغيوب، ويا حيًا لايموت، ويامحيى الموتى، لا إله إلا أنت سبحانك، أسالك أن تصلى على محمد وعلى آل محمد، وأن تجعل لى من أمرى ومن ضيقى فرجا ومخرجًا، وترزقنى من حيث أحتسب، ومن حيث لا أحتسب».

ولقد تمثل تفريج كربه وإخراجه من الجب ونجاته من كيد إخوته فى ترديد هذا الدعاء المبارك، وآتاه ملْكَ مصر، وأوحى الله إليه وهو فى البئر: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[2] فانظر يارعاك الله، وتأمل كيف يحوط الله عباده الصالحين بخفى ألطافه؟!! وكيف يكون فرجه لهم أرحب وأوسع من مضايق الشدة، وكيف تأتيهم المنح مغلفةً بالمحن؟!!

فاللهم انزع الغل والحقد والحسد من قلوبنا، واجعلنا إخوةً متحابين، وعلى طريق الخير متعاونين، يا أملنا إذا انقطعت الآمال، ويارجاءنا إذا عز الرجاء، وياغوثنا إذا انقطعت الأسباب، وحيل بيننا وبين الأهل والأحباب والأصحاب، إلا سببا موصولا بك وبرحمتك، يا عزيز ياوهاب.

(١) سورة القصص: ٢٤.
(٢) سورة يوسف: ١٥.

٦- تفريج كرب نبى الله يعقوب ـ عليه السلام ـ برد ولديه إليه

من سنن الله الماضية فى أنبيائه ورسله أنهم دائما وأبدًا أهل تمحيص واختبار وتخليص، فالذهب النضار لايظهر للعين بريقه إلا إذا فُتِنَتّ خامته بالنار، فَنَدَرَ أن نجد فيهم واحدًا مرت حياته من الناحية النظرية فى راحة وهدوء بال، ولعل لله فى ذلك من الحكم ما يتلمسه الأتقياء من عباد الله والأخيار، من نحو اقتداء أممهم بهم، فلا تضعف عزماتهم أمام سلطان الباطل، فالمؤمن لايصيبه نصب ولا وصب، ولا أدنى أذى ـ حتى الشوكة يشاكها ـ إلا حَطَّ اللهُ بها من خطاياه.

وآل يعقوب ليسوا بِدْعًا فى ذلك كذلك، فقد كانت حياتهم سلسلة من هذه المواقف الشاقة، واللافت للنظر فى حياة هذه الأسرة أن الذى أوردها هذه المصاعب جميعًا إنما هو تسرب آفة الغيرة والحسد إلى نفوس بعض أفرادها، فهذا نبى الله يعقوب ـ عليه السلام ـ بعد فقده ولديه: يوسف وبنيامين، إذا به يستسلم لأحزانه، حتى كُفّ بصره، وخارت قوته، ولكنه مع ذلك كله لم يفقد ثقته فى ألطاف ربه، فهو القائل: ﴿ **فصبر جميل** ﴾[1] وهو القائل: ﴿ **عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ السميع الْعَلِيمُ** ﴾[2]، ومع ثقته فى الله، وطمعه فى رحمة مولاه، إلا أنه كان كلما تذكر يوسف هاجت أحزانه، وقال: ﴿ **يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾[3].

---

(١) سورة يوسف: ١٥.

(٢) سورة يوسف: ٨٣.

(٣) سورة يوسف : ٨٤.

ولقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لم تعط أمةٌ من الأمم عند المصيبة: (إنا لله وإنا إليه راجعون) إلا أمة محمد ﷺ ألا ترى قول يعقوب حين أصابه على ابنه ما أصابه من الحزن لم يسترجع، وإنما قال: يا أسفا على يوسف؟!**».

ولقد أخرج الإمام النيسابورى عن عبد الله بن السمط قال: سمعت أبى يقول: «بلغنا أن رجلا قال ليعقوب: ما الذى أذهب بصرك؟ قال: حزنى على يوسف، قال: فما الذى قوَّسَ ظهرك؟ قال: حزنى على أخيه (أى بنيامين) فأوحى الله إلى يعقوبَ: يايعقوب أتشكونى؟ وعزتى وجلالى لا أكشف ما بك حتى تدعونَى، فقال عند ذلك: ﴿ **إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ** ﴾[1]، فأوحى الله إليه: وعزتى وجلالى لو كانا ميِّتَيْنِ لأخرجتهما لك حتى تنظر إليهما».

وهنا نجد الأحداث متلاحقة، سريعة الخطى، حتى لقد عبر عنها يعقوب - عليه السلام - فقال: «إنا أهل بيت موكل بنا البلاء» فلما رجع أبناؤه إليه وأخبروه بأن ابنه بنيامين قد سَرَقَ، ما كان منه إلا أن كتب إلى عزيز مصر رسالة مطولة، بدأها بقوله: «من يعقوب إسرائيلُ الله، إلى عزيز مصر، المظهر العدل، والموفى للكيل، أما بعد: فإنا أهل بيت لانسرق، ولا نلد سارقا، فإن رددته على وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من الولد؟ فلما قرأها يوسف بكى وعيل صبره (أى: نفد صبره)، وكشف لإخوته عن هويته، ثم إنه سأل إخوته عن أبيه، فقالوا له: ذهبت عيناه، فأعطاهم قميصه وقال لهم: ﴿ **اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾[2] قال السُّدى: قال يهوذا ليوسف: أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب، فأعطنى اليوم قميصك لأخبره أنك حى فأفرحه كما أحزنته. قال الضحاك: كان ذلك القميص من نسيج الجنة، وكان فيه ريح

---

(١) سورة يوسف: ٨٧.

(٢) سورة يوسف: ٩٣.

الجنة، وهو القميص الذى كُسِيَهُ الخليل حينما ألقى فى النار، وكسيه يوسف حينما ألقى فى الجب عريانا، لايقع على مبتلى ولاعلى سقيم إلا صح وعوفى، وهنالك أدرك يعقوبَ فرجٌ الله القريب، وآذنت رياح همومه بالمغيب، فقال: ﴿ **إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَن تُفَنِّدُونِ** ﴾[1] فما هى إلا لحظة قصيرة من عمر الزمن، حتى وصل البشير ﴿ **فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾[2] فاستشعروا الندم وطلبوا من أبيهم الصفح والغفران، فما كان منه إلا أن قام للصلاة فى سحر ليلة عاشوراء، ثم رفع يديه إلى الله - عز وجل - وقال: «اللهم اغفر لى جزعى على يوسف، وقلة صبرى عنه، واغفر لولدى ما جَنَوْهُ على أخيهم يوسف. فأوحى الله إليه: إنى قد غفرت لك ولهم أجمعين».

وعندما ضمهما اللقاء على أرض الكنانة وتعانقا وبكيا قال يوسف: يا أبت بكيت علىَّ حتى ذهب بصرك، ألم تعلم أن القيامة تجمعنا؟ قال: بلى، ولكن خشيتُ أن تُسْلَبَ دينك فيحال بينى وبينك يوم القيامة.

٧ـ برُّ أبى هريرة بأمه

الصحابى الجليل عبد الرحمن بن صخر الدوسى، الذى كنَّاه النبى ﷺ أبا هريرة، ينتهى نسبه إلى قبيلة «الأزد» أعظم وأشهر قبائل اليمن، وقد ولد ونشأ باليمن، وكان يرعى الغنم لأهله، وقد توفى والده وهو ما يزال صغيرًا، فنشأ لذلك يتيما، وقاسى شظف العيش، حتى مَنَّ الله عليه بالإسلام على يد الطفيل ابن عمرو الدوسى، فهاجر إلى المدينة، وصحب رسول الله ﷺ أربع سنوات فى حله وترحاله، وقد اتخذ من الصُّفَّة مُقَامًا له، كما جعله النبى ﷺ عريف أهل الصفة، فإذا أراد أن يجمعهم لطعام ونحوه فإنه يطلب من أبى هريرة أن يجمعهم؛ لأنه أعرف بهم وبمنازلهم، ولقد استفاد أبو هريرة من الدخول فى

---

(١) سورة يوسف: ٩٤.

(٢) سورة يوسف: ٩٦.

الإسلام، ومن صحبة النبى ﷺ فوائد جمة، فى دينه ودنياه، فى أولاه وأخراه، فمن ذلك أنه كان يُدْعَى فى الجاهلية «عبد شمس»، فلما اعتنق الإسلام سماه النبى ﷺ عبد الرحمن، ولقد كان يحب النبى ﷺ حبا جما، ويحفظ مايقوله عن ظهر قلب، وقد صبر على الفقر طويلا، حتى رزقه الله مالا وفيراً، وكان دائما وأبدًا يذكر أيام فقره، ويدعو الناس إلى الصبر والشكر، وقد ولاه عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ على البحرين، وولاه معاوية بن أبى سفيان على المدينة فترة من الزمن.

وقد كان أبو هريرة يحب أمه حبا شديدًا، وكان يتمنى من كل قلبه أن يمن الله عليها بالهداية فتدخل الإسلام، فكان يدعوها إلى الإسلام، ولكنها كانت تأبى، فدفعه بره بها إلى عدم اليأس فى دعوته إياها للإسلام، بالرغم من أنها كانت تنهره وتزجره زجرا قاسيا عنيفا، فكان يلتمس لها فى ذلك الأعذار، ويعلل النفس بقول القائل: من جهل شيئا عاداه، ومن عاداه افترى عليه، ولكن الأمور قد تأزمت بينهما إلى حدّ لم يطق أبو هريرة أن يتحمله، بل إنه شكل له كربا وضيقا شديدًا، انهمرت معه دموعه على أثره، ولقد تمثل ذلك الكرب فيما رواه الإمام مسلم من أن أبا هريرة كان حريصًا على إسلام أمه، فدعاها للإسلام فأبت، وأسمعته مايكره فى حق النبى ﷺ فأتاه وهو يبكى، وقال: «إنما كنت أدعوها للإسلام فتأبى، فدعوتها اليوم فأسمعتنى فيك ما أكره» وإنما بكى أبو هريرة لذلك الموقف الغريب على نفسه، فهو يحب أمه، ويحب رسول الله حبا يفوق كل شيء، فإذا به يجد أحبَّ خلق الله إليه يناله السوء من أمه التى يرجو ببره لها الخير، ولو كان أحد غير أمه هو الذى فعل ذلك لسارت الأمور فى طريق آخر، ولكن هكذا يَصْهَرُ الإسلامُ أتباعه، حتى يصفيهم من الذاتيات والأنانيات، فيستعلى الواحد منهم على جراحه، أملا فى الفوز بالمقصد الأسنى.

وهنالك لاذ أبو هريرة برسول الله قائلا: ادع الله أن يهديها، فأجابه النبى إلى ما طلب وقال: «**اللهم أهد أمَّ أبى هريرة**» فخرج أبو هريرة من عند النبى ﷺ مستبشراً بهذا الدعاء الطيب، فما شك لحظة فى استجابته.

ولقد تمثل تفريج كرب هذا الصحابى الجليل فيما كان من شأن أمه عندما رجع إلى منزله، حيث يقول: فلما أتيت الباب سَمِعَتْ أمُّه خشف (صوت) أقدامه فقالت: مكانك يا أبا هريرة، فسمعت صبَّها الماء، فاغتسلت ولبست درعها وخمارها، وفتحت لى الباب، فلما دخلت قالت: يا أبا هريرة إنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، فرجع أبو هريرة إلى رسول الله ﷺ فرحًا وقال: أبشر يارسول الله، فقد أجيبت دعوتك، وهدى الله أمى للإسلام، ثم حمد الله وقال: يارسول الله ادع الله أن يحببنى أنا وأمى إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا، فقال النبى ﷺ: «**اللهم حبب عبدك هذا وأمه إلى عبادك، وحببهم لهما**» فكان لايسمع به أحد ولايراه إلا أحبه.

وهكذا تأتى عاقبة الإخلاص فى الدعوة إلى الله، وتكلل المساعى الحميدة بالتوفيق والسداد والفلاح.

فياكل فتًى، وياكل فتاة، أمامكم بِرُّ أبى هريرة بأمه، إنه نموذج عملى فتمثلوه فى بر أهليكم، حتى تسعدوا وتسعد بكم الأوطان، اصحبوا الأخيار، وتجنبوا صحبة الأشرار، زينوا أنفسكم بمكارم الأخلاق، فأنتم معقد آمال أمتكم، فكونوا عند حسن الظن ،فها قد وضح الطريق، فسيروا على بركة الله والله يرعاكم.

٨ـ تفريج كرب من له غائب

لقد وقع أحد سكان بغداد فى كرب عظيم، واسم هذا الرجل: خليل الصياد، ولقد تمثل كربه فى سفر ابن له إلى بلدة «الأنبار»، وقد غاب غيبة طويلة، وانقطعت معها أخباره عن أهله وعشيرته، حتى إن أمه قد حزنت عليه حزنا شديدًا، فلم يكن من أبيه إلا أن اتجه إلى رجل من الصالحين فى زمانه، واسم هذا الرجل الصالح «معروف الكرخى» وهو أحد العباد النساك، وأهل الصلاح والفلاح، فهو من أولئك الذين أجرى الله على أيديهم الخير الكثير لعباده فكانوا مفزع الخائفين، ونجدة للمكروبين، وكان يعمل مؤذنا، ولقد بلغ من صدقه مع ربه، وخوفه منه، أنه كان إذا قام يؤذن يقف شعر لحيته وصدغيه كأنه قد زرع، وكان مستجاب الدعوة.

فذهب خليل هذا إلى معروف وقال له: يا أبا محفوظ إنى أعرض عليك أمرًا أرجو الله أن يجعل تفريجه على يديك، إن ابنى قد ذهب إلى الأنبار ولم يعد، حتى انقطعت عنا أخباره، وقد وَجدَتْ أمه عليه وجدًا شديدًا، وإنى أريد أن تدعو بدعوة صالحة يرده الله علينا ببركتها، فما كان من معروف ـ رضى الله عنه ـ إلا أن رفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم إن السماء سماؤك، والأرض أرضك، وما بينهما لك، فردً هذا الولد إلى أبويه».

يقول خليل الصياد: فخرجت من عند معروف الكرخى، وأتيت باب الشام من بغداد، فوجدت عجبا لايقدر على فعله إلا الله ـ تعالى ـ لقد وجدت ابنى قائما بنهر فعانقته عناق الفرح، وسألته متى جئت؟ فقال لى: لقد جئت الساعة لتوى من الأنبار. فقد أجرى الله الخير على يدى هذا العبد الصالح، وفرج بدعائه كرب هذه الأسرة.

ونحن إذا ما تأملنا منهج حياة معروف هذا لوجدنا أن له منهجا طيبا وصادقًا فى التعامل مع الله ومع الناس، استحق يه أن يصل إلى مقام إجابة الدعاء، فقف معى متأملا وصيته هذه لأحد أصحابه، والتى يقول له فيها:

«توكل على الله حتى يكون جليسك وأنيسك وموضع شكواك، وأكثر ذكر الموت، حتى لا يكون لك جليس غيره، واعلم أن الناس لاينفعونك ولا يضرونك، ولا يعطونك ولا يمنعونك، وخف الله تملأ مهابتك القلوب، وعليك بالصلاة فى وقت السحر، لكى تشهد لك الملائكة، فوالله مانفع الصالحين مثل كثرة الأذكار والصلاة فى الأسحار، وأخرج الدنيا من قلبك، فلن تصح لك سجدة وحب الدنيا بين جوانحك».

٩ـ تفريج كرب أم سلمة لما مات أبو سلمة

لقد تعرضت الصحابية الجليلة أم المؤمنين أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ لموقف صعب، وذلك حينما مات زوجها الصحابى الجليل أبو سلمة، واسمه عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ولقد كانت وفية له وفاء منقطع النظير، أحبته الحب كله، فهالَتْها لحظة الفراق، وكاد الأسى

يعصف بنفسها عصفا، فقد استشعرت تلبد سموات نفسها بغيوم وحدة لاطاقة لها بها، إنها لحظات تجل عن الوصف، ويقصر دونها تصوير البلغاء والفصحاء، ولكن اقتضت حكمة الله سبحانه ألا يترك أولياءه نهبا لهواجس الكروب والشدائد، وإنما ينزلهم من المنازل ما تقر به أعينهم؛ لكى يشهدوا بعين الحقيقة قدرة الله على دفع الشرور عنهم.

ولقد تمثل تفريج كربها فيما أورده الإمام ابن كثير عن أم سلمة قالت: أتانى أبو سلمة يوماً من عند رسول الله ﷺ فقال: لقد سمعت من رسول الله ﷺ قولا سررت به، قال: «**لايصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول: اللهم أجرنى فى مصيبتى، واخلف لى خيراً منها، إلا فعل ذلك به**» فما لبثت مليا إلا أن رددت هذا الدعاء وقالت: ﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾[1]، واحتسبت زوجها عند الله فى الصادقين، ولاذت بالصبر الجميل، رجاء أن يمنحها الله إياه، ففى الحديث: «**ومن يتصبر يصبره الله**» ولكنها مع هذا التسليم والرضا قد خطر ببالها خاطر، حيث استغربت أو استبعدت أن تجد زوجاً خيراً من أبى سلمة، وفى هذا يقول ابن كثير: فقالت: مِنْ أين لى خير من أبى سلمة؟! ثم إنها أبعدت هذه الخواطر عن تعكير صفوها، واستغرقت فى إقبالها على الله – تعالى –...

وقد شاءت لها الأقدار أن يصدق عليها وفيها قول الرسول الكريم ﷺ حيث تقول: «فلما انقضت عدتى استأذن عليَّ رسول الله وأنا أدبغ إهاباً لى، فغسلت يديَّ من القرظ، وأذنت له، فوضعت له وسادة أدم حشوها ليف فقعد عليها، فخطبنى إلى نفسه، فلما فرغ من مقالته قلت: يارسول الله: ما بى ألا يكون بك الرغبة، ولكنى امرأة فيَّ غيرة شديدة، فأخاف أن ترى منى شيئا يعذبنى الله به، وأنا امرأة قد دخلت فى السن، وأنا ذات عيال، فقال: أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عز وجل، وأما ما ذكرت من العيال، فإنما عيالك عيالى، قالت: فقد سلمت لرسول الله ﷺ ثم قالت: أبدلنى الله بأبى سلمة خيراً منه رسول الله ﷺ.

---

(١) سورة البقرة : ١٥٦.

١٠- تفرج كرب الصحابية التى مات ولدها الوحيد

إذا كانت الغربة - كما يقولون - كربة، فإن كربة الغربة تشتد على من يجد نفسه وحيدا فى أرض لم يعهدها، لاسيما إذا كان ذلك الغريب امرأة، ولقد بين لنا الصحابى الجليل أنس بن مالك - رضى الله عنه - لونًا من هذه الشدائد فيما رواه عنه الإمام البيهقى، فيروى أن إحدى الصحابيات المهاجرات قد انتابها شىء من هذه الشدائد، حتى إنها مثلت لها كرباً شديداً، ولقد تمثل هذا الكرب وتلك الشدة فيما كان من أمرها، حيث كان لها ولد، وكانت تهتم به وتعده لغد مُرتقب، حتى أدرك وبلغ سن الرشد، ولكنها فوجئت به وقد مرض فأصابه وباء بالمدينة، وهذا أمر قد حدث لكثير من المهاجرين الذين نشأوا فى جو مكة، وهذا الوباء هو عبارة عن نوع من الحميات، والذى أطلق عليه «حمى المدينة» أو «وباء المدينة».

مرض هذا الفتى عدة أيام، فما كان من أمه إلا أن جاءت به إلى رسول الله ﷺ وهو عند الصفة مع أصحابه، فتركت ولدها معهم، ولكن أجله قد حان، ففاضت روحه بعد أن تم تمريضه فى هذا المكان أياماً، فلما مات الفتى أغمض النبى ﷺ عينيه، وأحضر له جهازه من الكفن ونحوه، وقبل أن يتم تغسيله رأى النبى ﷺ أنه من الأوفق إعلام والدته بما حدث له، فقال لأنس: «**يا أنس إيت أمه فأعلمها**» فما كان منها إلا أن حضرت وهى تحمل على رأسها من هموم الدنيا ما لا طاقة لمخلوق على حمله، ولكنها مع كل هذا الكرب، ومع كل تلك الشدة لم تفقد ثقتها بالله، ولم تيأس من روحه ورحمته، فنظرت إلى ابنها وحيدها، وقد غطى النبى ﷺ وجهه بثوبه، فما كان منها إلا أن جلست عند قدمى ابنها المتوفى، فأخذت بهما، ثم رفعت وجهها وكفيها إلى السماء، وهتفت من أعماق نفسها بدعاء لم تتعلمه من أحد، وإنما ألهمها الله إياه، لكى تتضح حقيقة القرب من الله - تعالى - ولكى تتضح كرامة الصالحين عند الله، حتى ولو كان ذلك فى إجراء الخوارق للعادات، فقدرة الله لاحدود لها، ولا قيود عليها، فالله هو الفعال لما يريد، فقالت:

«اللهم إنى أسلمت لك طوعاً، وخلعت الأوثان زهداً، وهاجرت إليك رغبة، اللهم لاتشمت بى عبدة الأوثان، ولاتحملنى من هذه المصيبة ما لا طاقة لى بحمله» وحينئذ جاء الفرج القريب من الله المجيب، وحدث ما لم يكن يدور بخلد أحد أو يخطر على باله، يقول أنس: «فوالله ما انقضى كلامها حتى حرَّك قدميه، وألقى الثوبَ عن وجهه، وعاش حتى قبض الله رسوله، وحتى هلكت أمه، فكان ذلك كرامة لها، ومعجزة للنبى ﷺ حيث وقعت فى حضرته، ولواحد من أمته».

١١- السيدة عائشة وتفريج كرب الإفك

لقد تعرضت الصديقة بنت الصديق، السيد عائشة - رضى الله عنها - لحادث الإفك، وذلك فى السنة الخامسة من الهجرة، وفى أعقاب غزوة بنى المصطلق على أرجح الأقوال، فقد كان من عادة النبى ﷺ إذا أراد سفرًا أن يجرى القرعة بين نسائه، فأيتهن وقعت القرعة عليها خرج بها معه، وفى هذه الغزوة كانت القرعة لعائشة، فخرجت معه، بعدما أنزل الله الأمر بالحجاب، فلما فرغ الرسول من الغزو وقفل راجعاً آذن ليلة بالنزول للاستراحة حينما دنا من المدينة، فما كان من السيدة عائشة - رضى الله عنها- إلا أن قامت لحاجة لها حين آذنوا بالرحيل، حتى جاوزت الجيش، فلما قضت حاجتها أقبلت إلى رحلها، فلمست صدرها فإذا عقد لها من جزع أظفار قد انقطع، فرجعت تلتمسه، فأبطأت فى طلبه، وجاء الأفراد المكلفون بحمل هودجها فوضعوه على راحلتها، ولم يشعروا بأنه ليس به أحد؛ لأن النساء آنذاك كُنَّ خفيفات الأوزان، وسار الجيش وترك موقع راحته، فجاءت ولم تجد هناك من أحد، فبحثت عن الموضع الذى كان فيه هودجها، ظنًّا منها أنهم سيفقدونها فيرجعون إليها، فغلبها النوم فنامت.

وكان صفوان بن المعطل السلمى قد عرَّس وراء الجيش (أى بات خلف الجيش) فأدلج، فأصبح عند المكان الذى فيه عائشة، فرأى سواد إنسان نائم،

فأتاها فعرفها حين رآها؛ لأنه كان يراها قبل الحجاب، فأخذ يردد: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فاستيقظت باسترجاعه، فَخَمَّرَت وجهها بجلبابها، ثم تقول عائشة: والله ما يكلمنى بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته فركبتها، فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش، بعد ما نزلوا معرسين، قالت: فهلك فى شأنى من هلك، وكان الذى تولى كبر هذا الإثم «عبد الله بن أبى بن سلول» فقدمت المدينة، فاشتكيت بها شراً (أى المرض)، والناس يفيضون فى قول أصحاب الإفك ولا أشعر، وكان الذى يريبنى فى وجهى أنى لا أرى من النبى ﷺ اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى، إنما يدخل فيسلم ثم يقول: «**كيف تيكم؟**» ثم ينصرف، فكان ذلك يريبنى منه، ولكن لم أكن أشعر بالشر حتى تماثلت للشفاء، فلما تبينت الخبر من أم مسطح ابن أثاثة ازداد ألمى، وازددت مرضاً على مرضى، فلما رجعت إلى بيتى، ودخل علىَّ رسول الله وقال: «كيف تيكم؟» فقلت: ائذن لى أن آتى أبوى، وأنا حينئذ أريد أن أستبين الخبر، فلما أتيتها وعلمت الخبر منها ظللت ثلاث ليالٍ أبكى، ولا أذوق نوماً ولا راحة.

ولنا أن نتصور الألم النفسى الذى خيم على بيت النبى ﷺ وبيت صديقه أبى بكر، وكذلك الألم الذى ألم بالصحابى الجليل «صفوان»، لقد كلف هذا الحادث أطهر النفوس فى تاريخ البشرية كلها آلامًا لا تطاق، وكلف الأمة الإسلامية كلها تجربة من أشق التجارب فى تاريخها الطويل، واستمر ذلك شهراً كاملاً، وتلك القلوب النقية تعيش آلام الشك والقلق، ومدافعة هذه الأهوال، حتى أنزل الله - سبحانه وتعالى - براءة هذه السيدة الفاضلة، وأعاد الاستقرار إلى هذه النفوس المعذبة.

ولقد تمثل تفريج كرب السيدة عائشة فيما يرويه لنا أنس - رضى الله عنه - فيقول: كنت جالساً عند عائشة - رضى الله عنها - أبشرها بالبراءة، فقالت: «والله لقد هجرنى القريب والبعيد، حتى هجرتنى الهرة، وما عُرِضَ على طعام ولاشراب، فكنت أرقد وأنا جائعة، فرأيت فى منامى فتى فقال: مالك؟ قلت:

حزينة مما ذكر الناس، فقال: ادعى بهذه الكلمات يفرج الله عنك، فقلت: وما هى؟ قال: قولى: «**ياسابغ النعم، ويادافع النقم، ويافارج الغمم، ويا كاشف الظلم، ويا أعدل من حكم، وياحسيب من ظَلَمَ، ويا ولىَّ من ظُلم، ويا أولا بلا بداية، ويا آخراً بلا نهاية، ويا من له اسم بلا كنية، اجعل لى من أمرى فرجاً ومخرجاً**» قالت: فانتبهت وأنا ريانة شبعانة، وقد أنزل الله - تعالى - فرجى.

ولم تكن السيدة عائشة - رضى الله عنها - تشك - بينها وبين نفسها- لحظة فى البراءة، ولكن الذى كانت تشك فيه هو أن ينزل الله فى شأنها قرآنا يتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد كانت تتصور أن براءتها ستأتى فى صورة رؤيا يراها النبى ﷺ ولكن الذى اختارها لنبيه زوجة لم يكن ليخذله فيها، وإنما رد لها اعتبارها كأحسن ما يكون، فهو العليم بذات الصدور.

ومما يروى أن ميمونة - رضى الله عنها- أخذت تتحدث مع عائشة بعد براءتها فقالت لها: ماذا قلت حين ركبت ناقة صفوان؟ فقالت لها: قلت وأنا أهم بركوب هذه الناقة: ﴿**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾[1]، فقالت لها: لقد دعوت بدعاء المؤمنين، فكم لهذا الدعاء من أسرار فى تفريج الكروب، فقد قاله الخليل حينما ألقى فى النار فصارت عليه برداً وسلاماً، وقاله محمد ﷺ فى بدر الصغرى، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم.

١٢- كرب الغيرة لدى النساء

إن النفس البشرية غريبة الأشكال، متعددة الأطوار، تنتابها أحاسيس الخير، كما تنتابها هواجس الشرور، وهى إذا ما تعرضت لنوازع الخير حينا، فقد تستبد بها هواجس الشرور والأخطار أحياناً كثيرة، وصدق الله إذ يقول: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّى إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[2]، ويقول

(١) سورة آل عمران : ١٧٣.

(٢) سورة يوسف : ٥٣.

رسول الله ﷺ: «**قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**».

والنساء بما حباهن الله من رقيق المشاعر، وجمٍّ العواطف، فإنهن أشد عرضة لهذه التغيرات، وتلك التقلبات، ومن أظهر وأشهر ما تتعرض النساء له فى هذا الصدد موضوع الغيرة، وغالبا ما تكون الغيرة فى صورة خوف على الأزواج من أن يرتبط الزوج بامرأة أخرى، أو أن تحاول امرأة أخرى أن ترتبط بهذا الزوج، ومع كون هذا الأمر مشروعاً فى الإسلام، وهو المعروف بالتعدد إذا ما استوفى شروطه، إلا أن ذلك يسبب للزوجة الأولى نوعاً من الألم النفسى، وبخاصة إذا كانت حسنة العشرة لزوجها، وقد أطلقت الشريعة الإسلامية على الزوجة الثانية «الضرَّة»، لأنها تدخل الضرر على الزوجة الأولى، والغيرة إذا كانت فى حدودها المعقولة والمعتدلة بل والمتزنة فإنها ضرورية ومحمودة؛ لأنها تشكل لونا من ألوان التعاطف والترابط الأسرى، وتشعر أطراف هذه العلاقة بأهمية كل منهما للآخر، وحرصه على استمرار هذه العلاقة بصورة طيبة، ولكننا نرى فى كثير من الأحيان أن الغيرة قد تخرج عن حدودها المألوفة لدى بعض النساء، وقد تحدث عند الرجال كذلك، الأمر الذى يشكل لهن ولهم الضيق والألم بصورة تهدد سير العلاقات الأسرية بصفة عامة، فكثيراً ما نسمع عن بعض الأسر التى اشتعلت فيها نيران الغيرة، فشب فيها لهيب الدمار والخراب ـ والعياذ بالله - فوقعت الخلافات المستحكمة التى فككت الأواصر، وقوضت الدعائم، ونتج عنها من الفساد الاجتماعى ما لا تحمده عقباه.

ونحن نود أن نقدم هنا بعض النماذج التى يمكن أن نترسم خطاها، حتى نتغلب على تلك المشكلة عند حدوثها، والكيفية الصحيحة التى ينبغى أن يسير عليها من يجد فى نفسه شيئاً من ذلك الإحساس المدمر، أملا فى تخفيف حدتها، وكسر شدتها، حفاظا على استقرار البيوت، واستمرار العلاقات القائمة على المودة والرحمة والمحبة، فذلك خير وأبقى من الاسترسال فى هذه الهواجس النفسية، والاستماع لأقوال المرجفين، الذين ربما يشيرون بالتوجه إلى السحرة والمشعوذين الذين يزينون لهؤلاء الناس ما يتعارض مع الدين والقيم

والأخلاق فى كثير من الأحوال، كى يبتزوا ما فى جيوبهم من نقود، وفى النهاية لاجدوى من وراء هذه الترهات جميعاً.

١٣- دعاء نبوى لتفريج كرب غيرة إحدى النساء

طالعتنا السنة النبوية المطهرة، فيما رواه ابن السنى، عن ميمونة بنت أبى عسيب، أن امرأة من بنى حدس قد استبدت بها الغيرة، واشتعلت نيرانها بفؤادها، حتى شكل لها ذلك ما يشبه الأزمة النفسية، فارْتَحَلَتْ بَعيرَها، وَجَدَّتْ فى المسير إلى رسول الله ﷺ فلما وصلت إلى هناك نادت السيدة عائشة - رضى الله عنها - قائلة: يا عائشة أغيثينى بدعوة من رسول الله ﷺ لتسكنينى بها، وتطمئنينى بها، فأخبرتها عائشة بما تعلمته من رسول الله ﷺ فى مثل هذا الشأن، فقالت لها: «**ضعى يدك اليمنى على فؤادك، فامسحيه وقولى: باسم الله، اللهم داوئى بدوائك، واشفنى بشفائك، وأغننى بفضلك عمن سواك، واحدر عنى أذاك**» وتقول هذه المرأة: لقد جربت هذا الدعاء فوجدته جيدا والحمد لله.

ونحن نرى أن هذه المرأة قد اتجهت الوجهة الصحيحة؛ حيث إنها لما استبدت بها هذه الهواجس وتلك الخواطر، فما كان منها إلا أن قصدت بيت النبى ﷺ ولما كان هذا الأمر من الأمور التى تتعرض لها النساء كثيراً فإنها طلبت من عائشة أن تغيثها بهذه الدعوة، فهى تعلم أن صيدلية الحبيب ﷺ لا يمكن أن تخلو من علاج لمثل حالتها، فما كان من عائشة - رضى الله عنها - إلا أن أغاثتها بهذه الدعوة النبوية المباركة، فما كادت المرأة تسمعها حتى حفظتها، وتوجهت بها فى صدق وتجرد إلى الله رب العالمين، فما كادت تفرغ منها حتى أحست برد السكينة والاطمئنان والاستقرار يسرى فى جنبات نفسها، فأصبحت ترى الدنيا بعينين غير اللتين كانت تراها بهما منذ لحظات، ولقد علقت على ذلك بقولها: «لقد جربت هذا الدعاء فوجدته جيداً والحمد».

١٤- تفريج كرب بغض الزوجة لزوجها

لقد أشار القرآن الكريم فى معرض الحديث عن الأسرة إلى أن المودة والسكن والرحمة التى يسبغها الله على كل من الزوجين هى من أهم وأبرز مكاسب هذه العلاقة، يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، فكل هذه العوامل النفسية تدعو إلى التفاؤل والأمل، فضلا عن كونها تعين على الانطلاق والتقدم فى محيط العمل، ففى ظلها تتعدى علاقة الزواج مجرد الارتباط بين فردين، لتحقق الامتزاج بين نفسين وروحين، فلا تلبث أعلام السعادة، ويبارق الأمل أن ترفَّ على هذا البيت السعيد، فيمتلىء سرورًا وحبورًا.

ولكن عندما تتبدل الأحوال، وتظهر الغيوم فى سموات بعض الأسر، فقل على الدنيا العفاء، فإذا استحالت الرحمة والمودة بغضا وقسوة - والعياذ بالله - فإن ذلك كله ليشكل لتلك الأسرة كربا ثقيلاً تنوء الجبال الراسيات بحمله، وقد يحدث هذا لأسباب بعضها قد يكون ظاهراً للزوجين، ومشاهداً رأى العين، وبعضها الآخر قد لايعرف أى منهما له سببا، من نحو الحسد والنظرة وما إلى ذلك.

ونحن نسوق لك - أيها القارئ العزيز - هذا النموذج لنرى معًا كيف تم تفريج هذه الشدة التى مثلت كربا؟!

روى البيهقى عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن امرأة وقعت فى كرب من هذا القبيل، حيث أدت الخصومة بينها وبينه إلى بغضه، فأتت النبى ﷺ تشكو زوجها، فقال لها النبى ﷺ: «**أتبغضينه؟**» قالت: نعم يارسول الله، بل إنها بالغت له فى بغضها لزوجها - على حد ما جاء فى رواية الطبرانى عن جابر - حيث قالت: «هذا زوجى، والذى بعثك بالحق ما فى الأرض أبغض إلىَّ منه»

(١) سورة الروم : ٢١.

فاستدعاه النبى ﷺ فقال الرجل : «هذه امرأتى، والذى بعثك بالحق ما فى الأرض أبغض إلىَّ منها» نعوذ بالله من ذلك، إنه بغض مستحكم متبادل، ولو لم يكن الأمر معروضاً على سيد ولد آدم لكان حكم التفريق بينهما أول ما يتبادر إلى أذهان المنصفين والعقلاء، فما كان من الصادق المعصوم ﷺ إلا أن أمرهما بالجلوس أمامه متواجهين، مشيرا عليهما بقوله الكريم : «**أَدْنِيَا رءوسكما**» فوضع جبهتها على جبهة زوجها، ثم دعا الله قائلا: «**اللهم ألف بينهما، وحبِّب أحدهما إلى صاحبه**».

إنها كلمات من نور، ونفحات من طيب وعبير، سرت من فم رسول الله الطاهر، فانقشعت أمامها سحب العداوة والبغضاء التى ألمت بهذين الزوجين، فإذا بكل منهما ينظر إلى صاحبه نظرة الحب والود، والعطف والرحمة، فقد أعيدت صياغتهما نفسيا من جديد، فلم يفترقا من مجلس رسول الله ﷺ حتى قالت المرأة : والذى بعثك بالحق ما خلق الله شيئاً أحبَّ إلىَّ منه، وقال الرجل: والذى بعثك بالحق ما خلق الله شيئا أحب إلىَّ منها. ثم إن النبى ﷺ رآها بعد فترة من الزمن فسألها قائلا: «**كيف أنت وزوجك؟**» قالت: والذى أكرمك، ما طارف ولا تالدٌ ولا والدٌ أحبَّ إلىَّ منه، فقال الرسول الكريم: «**أشهد أنى رسول الله**» وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه-: «وأنا أشهد أنك رسول الله».

فإلى كل أسرة مسلمة نزف هذه البشرى، إذا ما صدقت النوايا، وتدخل فى فض النزاع وحل الخلاف - أيا كان حجمه - أهل التقى والصلاح إلا زال الكرب، ففى القول المأثور، **اللهم لا كرب وأنت الربّ**.

١٥- تفريج كرب الظهار
(خَوْلَة بِنْت ثعْلَبَة)

إن «خَوْلَةَ بِنْتَ ثعلبة» هى زوجة «أوْس بن الصامت»، وقد كان رجلا به لَمَمٌ (أي : ضعف عقلى)، ولكنها كانت تحبه، وقد أنجبت منه أولاداً، فكانت تعمل لتعوله وتعول أولادها، وقد احتسبت أجرها على الله - تعالى - وكانت

حياتها تسير على هذه الوتيرة، ولكنها فى يوم من الأيام قد فوجئت بزوجها يكثر جدالها ويُغْلظ لها فى القول، حتى احتدم الجدال بينهما، وتصاعدت حَمِيَّةُ الغضب فى رأسه، فإذا به يصيح بأعلى صوته قائلاً: «أنت علىَّ كظهر أمى» وهنا تأزم الموقف وَوَجمَتْ خولةُ، وانتابها من جراء هذه الكلمة هَمٌّ وغمٌّ عظيمان، فلا يدرى، بحالها إلا الله، وقد ضاعف من ضيقها وكربها أنها تعرف أن الظهار كان يعنى التحريم المؤبد بين الرجل وزوجته، كما هالها أن يكون أوس أول من يظاهر فى الإسلام، فلما هدأت النفوس من ثورتها، وظهر الندمُ على ملامح وجه أوس والإشفاق لما رأى من حال زوجته، إذ به يقول لها: ما أراكِ إلا قد حَرُمْتِ علىَّ؟!! ولكن خولة حملقت فيه بعينين تهميان بالدمع الغزير، وقد استشعرت مايتعرض له بيتُها وكيانها وحياتها وأولادها من هُوج العواصف، والرُّعود والقواصف، فقالت: إنك يا أوس ما ذكرت طلاقاً. . . . نعم، ولكننى ظاهرت، وإنى لنادم على ذلك، ومما زاد من كربها كذلك أن زوجها قد أبدى اعتذاراً عن سؤال رسول الله ﷺ فى حكم مقالته، متعللا بخجله وعدم استطاعته مواجهة النبى فى ذلك، فكان على هذه الزوجة المسكينة التى أتتها المصائب من كل صوب وحدب، ما كان منها إلا أن حملت قضيتها فى يدها، وليست خولة فى هذا الخطب وَحْدَها، فكثيراً ما نواجه فى هذا الزمن رجالا يحلفون بالطلاق، ويظاهرون، ويتركون المرأة تبحث عن حل لهذه المعضلات، وربما تتردد إحداهن بسؤالها على أكثر من فقيه تستفتيه؟!! فما إن وصلت تلك الزوجة الصابرة إلى رسول الله ﷺ حتى قامت بعرض شكواها: «يارسول الله: إن أوساً مَنْ قد عَرفْتَ، أبو ولدى، وابن عمى، وأحبّ الناس إلىَّ، وقد عَرفْتَ ما يصيبُه من اللَّمم، وعجز مقدرته، وضعف قوته، وَعَىِّ لسانه، وأحقُّ من عاد عليه بشىء أنا إن وجدته، وأحق من عاد علىَّ بشىء إن وجده هو، وقد قال كلمة - والذى أنزل عليك الكتاب - ما ذكر طلاقًا، قال: أنت علىَّ كظهر أمى». فأطرق الرسول لحظة، ولكنه لم يجد لها حلا، فقال: **«ما أراك إلا قد حَرُمْتِ عليه»** فأخذت هذه المسكينة تجادل رسول الله وتراجعهُ مراراً مؤكدة له أن زوجها لم يقصد طلاقاً ولم يِرُدْهُ، فلما يئستْ من جدال النبى ﷺ ما كان منها إلا أن

رفعت بصرها إلى السماء ضارعة لربها: «اللهم إنى أشكو إليك شدة وجدى، وما شقَّ علىَّ من فراقه، اللهم أنزل على لسان نبيك ما يكون لنا فيه فرج».

وما هى إلا لحظات حتى نزل الوحى على رسول الله ﷺ فلما سُرِّىَ عنه إذا به يبتسم، فقالت خولة: اللهم خيراً، فإنى لم أبغ من نبيك إلا خيراً. فقال لها النبى ﷺ: «**يا خولة: قد أنزل الله فيك وفيه قوله الكريم: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝١ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[1]. ثم التفت النبى إليها وقال: «**مريه أن يعتق رقبة، فإن لم يجد فليصم شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فليطعم ستين مسكينا**» فقالت خولة: إنه لايستطيع شيئا من ذلك، فقال لها النبى: مريه فليأت أمَّ المنذر بنت قيس فليأخذ منها شطر وسق من تمر (نصف أردب بالكيل المصرى) فليتصدق به على ستين مسكيناً» وبهذا فقد فرج الله عن خولة بنت ثعلبة كربها، وعادت البسمة إلى وجهها، وسارت حياتها مع زوجها سيرة طيبة، وفرج الله عن الأمة الإسلامية بهذا البيان الذى جاء على يديها. فلله الحمد والمنة على كل ما يسديه لعباده من خير وكرم.

١٦- حديث شريف يُنقذ لصًا

لقد خلق الله الزوجين : الذكر والأنثى، وجعل العلاقة بينهما علاقة تكاملية لا تصادمية؛ فكل منهما محتاج للآخر، ولا يستقيم حاله إلا فى وجوده، وحينما

(١) سورة المجادلة ، الآيات : ١-٤.

تدفع الأقدار المرأة لكى تعيش حياة الوحدة، فإن من أهم الكروب التى تنتابها فوق وحدتها ألا تكون فى مأمن من سطو الأشقياء المفتونين الذين استحوذ عليهم الشيطان فزين لهم طريق الجريمة.

ولقد طالعتنا كتب السنة أن امرأة صالحة كانت تسكن المدينة المنورة على عهد رسول الله ﷺ وقد مات عنها زوجها، فترمَّلت على أطفالها، ترجو معونة الله على حسن تربيتهم، وقد حدث ذات ليلة أن سطا على منزلها أحد اللصوص، فأخذ يتجول فى رحابه ويجوس خلاله، حتى لقد دخل عليها حجرة نومها، وهى الوحيدة الضعيفة، ولكن هذا اللص قد خرج من المنزل بدون أن يأخذ منه شيئا أو يعبث بشىء من متاعه، فما كان من المرأة إلا أن أحست به، فألقى فى روعها أن هذه الزيارة كانت زيارة استكشاف واستطلاع، ولابد أنه يرتب لشر مستطير، فما كان منها إلا أن ذهبت إلى النبى ﷺ عند فراغه من صلاة الصبح فى مسجده الجامع، وقصت عليه ما كان من أمرها، فما كان منه ﷺ إلا أن أشفق لحالها، ودعا الله لها قائلا: «**اللهم إن كان حاضراً معنا (أى إن كان هذا اللص حاضراً معنا) فاهده إلينا، ولا تُخْجِلْهُ منا**» فلم يكد الرسول ﷺ يتم دعاءه حتى تقدم إليه هذا اللص فى شجاعة نادرة فقال: هأنذا يارسول الله، فمر بما تشاء، إن نفسى قد تمردت على، وقادتنى إلى احتراف السرقة والسطو والإجرام، ولكنى كنت مع هذا ألازم الصلاة معك، وأحياناً أستمع إلى شىء من العلم الذى تعلمه الناس، وفى اليوم السابق على ليلة سطوى على منزل هذه المرأة، استمعت إليك وأنت تقول: «**والذى نفس محمد بيده ما ترك عبد شيئاً حرمه الله عليه إلا منحه الله له فى الحلال**»، فكنت كلما تجولت فى بيتها ووجدت شيئاً من طعام أو شراب أو مال وقفت أمامه حائراً، ثم أتركه طمعاً فى نواله فى الحلال، وأخيرا انصرفت وحضرت الصلاة معك، فتبسم النبى ﷺ وقال له: ألك زوجة؟ فقال: لا، لقد ماتت زوجتى منذ عدة شهور، ثم سأل المرأة: ألك زوج؟ فقالت: لازوج لى يارسول الله، فقد مات منذ سنين، وخلَّف لى أطفالا صغاراً أقوم على تربيتهم، فزوجها النبى ﷺ هذا الرجل وقال

لأصحابه: أشهد أني عبد الله ورسوله، وأشهد أن وعده حق، واقرأوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1] ولم تطلع الشمس إلا وقد متع الله كلا منهما بالآخر في الحلال.

ولقد جاء تفريج هذه الكروب جميعاً ببركة رسول الله ﷺ أولا، وببركة حسن توجه هذه المرأة وصلاحها، وأخيراً ببركة ملازمة هذا الرجل للصلاة خلف رسول الله ﷺ وسماعه العلم النافع، وإن كانت ثمرة ذلك كله بالنسبة له قد جاءت بعد حين، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[2]، كما بين رسول الله ﷺ ذلك المعنى حينما سئل عن رجل يصلي ولكنه لا ينتهي عن الفحشاء والمنكر، فقال: «**ستنهاه صلاته يوماً عن الفحشاء والمنكر**». فإلى كل من تمردت عليه نفسه، وجمحت به، عليه أن يلجأ إلى الله بأن يرفع عنه معاناته، وأن ينفعه بهذا الدين القويم، الذي جاءنا به سيد المرسلين ﷺ فبه الهداية، ومنه التوفيق.

١٧- تفريج كرب إفساد الزوجة على زوجها

من المخاطر الاجتماعية التي تحدث في محيط الأسرة، والتي يقع فيها كثير من الناس إلا من رحم الله: خطر إفساد الزوجة على زوجها، أو إفساد الأبناء على آبائهم، وذلك عن طريق توجيههم إلى أمور تجر عليهم المتاعب التي هم في غنى عنها، فكثيراً ما نجد أسرة من الأسر التي تعيش عيشة سعيدة بالرغم من رقة الحال التي هي فيها، وذلك بفضل القناعة التي أودعها الله قلوب أفرادها، وبفضل ما يصرفه عنها من التطلع إلى ما في أيدي الغير، فيعيشون حياة هانئة

(١) سورة النجم: ١ – ٤.
(٢) سورة العنكبوت: ٤٥.

رتيبة، ينظر كل فرد فيها إلى ما هو فيه من سعادة فيرى كأن الدنيا قد حيزت له بحذافيرها، وفجأة تهب رياح التدمير والتغيير، كنوع من الاستجابة لنصيحة مغْرض أو واشٍ، فلا يلبث ذلك الهدوء والرضا والقناعة أن يتحول إلى سخط وتمرد وضجر، فإن لم تتدارك هذه الأسرة رحمة الله وفضله، ويمسحها ربها بجناح من عطفه، فإنها تتحول إلى أسرة من الأشقياء التعساء.

ولقد تعرض التابعى الصالح «أبو مسلم الخولانى» إلى واحد من هذه الكروب الأسرية، وهو من هو ورعا وزهداً وصلاحاً، واستجابة دعاء، فقد أخرج ابن أبى الدنيا بسنده: «أن أبا مسلم الخولانى كانت له زوجة صالحة، وكانت حياته معها تسير سيرة طيبة، تليق ببيت رجل قريب من الله، مستجاب الدعاء، وكان تصرفه معها تصرفا مثاليا يحتذى، فكان إذا دخل منزله سلَّم ائتماراً بأمر الله إذ يقول: **﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾**[1]، فإذا بلغ وسط الدار كبر، فلا تلبث امرأته أن تكبر بتكبيره، فيدخل أبو مسلم، فينزع رداءه وحذاءه، وتأتيه زوجه بطعام، فيأكل ويحمد الله.

وقد شاءت الأقدار لهذا البيت أن تتلبد غيومه، وأن تلوح علامات التمرد على هذه المعيشة المتواضعة، فدخل أبو مسلم ذات ليلة، فسلم وكبر كعادته، فلم تجبه زوجته، لا برد سلام ولا تنكت به، وإذا به يجد البيت مظلما ليس فيه سراج، وإذا بامرأته جالسة بيدها عود تنكت به الأرض، فسألها عن حالها، فقالت: الناس بخير (أى فى معيشة رغدة)، وأنت أبو مسلم، لو أنك أتيت معاوية بن أبى سفيان وسألته فيأمر لنا بخادم، ويعطيك شيئا من المال نوسع به على أنفسنا؟!

وهنا أدرك أبو مسلم أن وراء هذا التغير وشاية واش، أو حديث خبيث، فما كان منه إلا أن رفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم من أفسد عليَّ أهلى فأَعْمِ بصره» وكانت جارة لهم قد أتت إلى زوجة أبى مسلم وأفهمتها ما قالته لزوجها،

---

(١) سورة النور: ٦١.

فبينما هذه المرأة فى منزلها والسراج يزهر (يضيء)، إذ أنكرت بصرها، وقالت: طفيء السراج؟ فقالوا لها: لم يطفأ السراج. فعلمت أن بصرها قد كُفَّ، فأقبلت كما هى على أبى مسلم، فلم تزل تناشده الله، وتطلب إليه أن يعفو عنها، فما كان منه إلا أن توجه إلى الله ضارعاً، داعيا، وقال: «اللهم إن كانت صادقة فى توبتها فرد عليها بصرها» فرد الله عليها بصرها فى الحال، وهنا أدركت زوجته أنها مخطئة فى تصرفها، فتابت إلى الله متاباً، وعاد الهدوء والاستقرار إلى بيت أبى مسلم.

فإلى كل من تسول له نفسه - من ذكر أو أنثى - أن يقتحم على الناس قناعاتهم بغرض الإفساد والتمرد على هذه القناعات نقول: تب إلى الله متابا، واحذر دعاء الصالحين، وإلا فاحذر دعوة مظلوم أو مكلوم، فهناك من عباد الله الأتقياء الأصفياء، فالله قد أخفى العبد الصالح بين الناس، ولله فى خلقه شئون يبديها ولا يبتديها، واحذر عقاب الله فى قوله: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[١].

١٨- تفريج كرب صَبْوَةِ الشباب

إن الشباب فى كل أمة هم أملها فى غدها المرتقب، وعُدَّتها التى تواجه بها تحديات الحياة، فى السعى والعمل، والذود عن الأهل والوطن، وقد حظى الشباب من رسول الله ﷺ بكل العناية والرعاية؛ لما رأى فيهم من رقة القلوب ولين الأفئدة، فقد أوصى بهم خيراً فى كثير من توجيهاته الحكيمة، فهو القائل: «**استوصوا بالشباب خيراً**»؛ حتى إن الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا إذا دخل عليهم الشباب هشوا فى وجوههم وبَشُّوا لهم، وقالوا: مرحبا بوصية رسول الله ﷺ...

ومما لاشك فيه أن للشباب مشاكلهم الخاصة بهم، وكروبهم التى ربما تستبد بهم فى بعض الأحيان، ففيهم من القوة والفتوة والحيوية ما يُعنِّتهُمْ، ولقد كانت

(١) سورة الأنعام: ٤٤، ٤٥.

حكمة النبى ﷺ فى تخفيف أزماتهم، ومحاولاته لتفريج كروبهم أمثلة تحتذى، فقد كان رائده فى ذلك كله الرفق والرحمة بهم، وبذل الموعظة الحسنة لهم، ونسوق لك أيها القارىء العزيز نموذجا من معاملاته الرحيمة، يتجلى لنا من خلاله هذا الأسلوب الحكيم، والعمل على تفريج كروب صبوة الشباب، واستحكام سلطان الشهوة على نفوسهم.

لقد أخرج الإمام أحمد فى مسنده قصة شاب مسلم وقع فى شدة وضيق وحرج، فقد كان ذا صَبْوة تُلح عليه، حتى لقد شكلت له كربا شديداً، فعن أبى أمامة - رضى الله عنه - أن فتى شابـًّا أتى النبىَّ ﷺ فقال: يارسول الله: ائذن لى فى الزنا، فأقبل القوم فزجروه، وقالوا له: مه (أى ما هذا الذى تقوله، وما هذا الذى تطلبه فى حضرة النبى ﷺ؟) فقال ﷺ: «**ادنُهْ**» أى تعال، فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال النبى ﷺ: «**أتحبه لأمك؟**» قال: لا، جعلنى الله فداءك، قال النبى ﷺ: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**» قال: «**أفتحبه لابنتك؟**» قال: لا، والله يارسول الله جعلنى الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**» قال: «**أفتحبه لأختك؟**» قال: لا، والله جعلنى الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**» قال: «**أفتحبه لعمتك؟**» قال: لا، والله جعلنى الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**» قال: «**أفتحبه لخالتك؟**» قال: لا والله جعلنى الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**» قال أبو أمامة: فوضع النبى ﷺ يده عليه وقال له: «**اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه**» فلم يكن هذا الفتى يلتفت بعد ذلك إلى شىء من هذا الذى هَمَّ باستئذان النبى ﷺ فيه.

فنحن نجد من هذا الحوار الذى دار بين النبى ﷺ وبين هذا الفتى النموذج الأسمى للديمقراطية الحقة، فإذا كان الصحابة قد أنكروا على هذا الفتى مجرد الجهر بهذا السؤال، وهو سؤال مستنكر مستغرب على كل حال، فإن رسول الله ﷺ قد اتسع صدره لكى يضرب لهم المثل فى الحوار الهادىء والهادف معاً،

فقد قربه منه وأدناه، حتى لا يتشتت فكره، ولا يختلط عليه أمره، وأطال معه النقاش حتى ينفره من الزنا عقلا وطبعا وشرعاً، فهو يستثير فيه عوامل النخوة والشهامة؛ لأنه إذا لم يكن يحب هذا الأمر، أو يرضاه لأحد من محارمه، كأمه وابنته وعمته وخالته وأخته، فليعلم أنه إن زنى فإنما يزنى بمحارم غيره، والناس يكرهون هذا الفعل لذويهم، وهذا أمر مذموم شرعاً وطبعاً، فلما حصل النبى ﷺ منه على هذه القناعات الفطرية، بأسلوبه الدَّعَوىِّ الآسر، ما كان منه إلا أن نفحه دعوة كريمة استلت من نفسه حرارة تلك الصبوة المحرمة، وهى دعوة نبوية كريمة، تمثل فيها تفريج كرب هذا الفتى، وهى دعوة ترتكز على ثلاثة أسس، أحدها: أن يغفر الله لهذا الفتى ذنبه، فقد هم بالاستئذان فى معصية، بعد أن حدثته نفسه بها، والثانى: أن يطهر الله قلبه من هواجس الشر جميعاً، والثالث: أن يحصن الله فرجه، وأن يحفظه من كل خطأ وريبة.

نزلت هذه الدعوة الكريمة على هذا الجسد الفائر الثائر، فكانت برداً وسلاماً، فسرت فى كيانه، فما لبثت أن أعادت ترتيب وجدانه على أساس من الطهر والعفاف، وغفران الذنوب، وطهارة القلب، وتحصين الفرج، فلم يكن ذلك الفتى يلتفت بعد ذلك إلى شيء من هذه السفاسف والرذائل.

وهذه الواقعة تشكل لنا أحد مناهج التعامل مع الشباب، حتى فى مثل هذه القضايا الحرجة التى لايمكن لعاقل أن يطلب الإذن بها من صاحب الشريعة ﷺ فهذه من الأمور المنكرة شرعاً وطبعا وعرفا، حتى فى المجتمعات والأوساط التى تمتلك عقولا سليمة، وإن كانت لاتدين بدين، ولا أدل على ذلك مما ورد فى قصة يوسف - عليه السلام - مع امرأة عزيز مصر، يوم أن سرى خبر مراودتها إياه عن نفسه فى الأوساط النسائية، فما كان من هؤلاء النسوة إلا أن قلن فى استنكار واستغراب ما حكاه القرآن الكريم عنهن: ﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾[1] فانظر إلى تَعْقِيبهِنّ على ذلك ﴿**إِنَّا لَنَرَاهَا فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾[1] إن منهج

(١) سورة يوسف : ٣٠.

رسول الله ﷺ فى هذا الشأن منهج يرد الشارد إلى صوابه، ويعيد من تعبث به الشياطين إلى حظيرة الحق، فلنتق الله فى شبابنا حتى ننتشلهم من سعار المادة التى تأتى على الأخضر واليابس، ولْنُضَمِّنْ برامج الحوار معهم هذه النماذج الصادقة، حتى يترسموا هذه الخطى الخيرة، ولنكف عنهم كل عوامل الإثارة والفتنة التى تحرفهم وتجرفهم، فإنهم أمانة فى أيدى الأمة، وفى أيدى الآباء والمربين، وسائر قطاعات المسئولين.

١٩- من كروب الشباب عقوق الوالدين

إن عقوق الوالدين يمثل ويشكل أحد الكروب الخطيرة التى تلحق ببعض الأبناء من الشباب، ويزداد خطر العقوق والتمادى فيه حينما يكون الوالدان أو كلاهما صالحيْن صابريْن، ويبلغ الأمر ذروته، والمصاب غايته، حينما ينفد صبر الآباء، فيستغيثون بالله، ويسلطون على العاق سيف الدعاء إلى الله، ونحن فى هذا الصدد نقدم نموذجاً من هذه النماذج لكل فتى وفتاة، لكل شاب وشابة، أن يحذروا العقوق، وأن يلتزموا السمع والطاعة، فهذه قصة شاب بلغ فى عقوق والده الغاية، وأشرف فى ذلك على النهاية، ولم تأخذه بوالده رحمة فأشبعه ضرباً، حتى استثار حفيظته فدعا الله عليه، وهو متعلق بأستار الكعبة، فاستجاب الله، فكيف تم تفريج هذا الكرب؟

بينما أمير المؤمنين على بن أبى طالب - رضى الله عنه - يطوف بالكعبة المشرفة ليلا، ومعه ابنه الحسين - رضى الله عنه - إذ به يسمع رجلا بالمطاف يردد أبياتاً من الشعر تدل على شدة ضيقه وبالغ كربه، فكان يقول بصوت حزين متهدج:

يا من يجيب دعاء المضطر فى الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا ... وأنت يا حى ياقيوم لم تنم
هب لى بجودك ما أخطأت من حُرَمٍ ... يا من يجود على العاصين بالنعم
إن كان عفوك لا يرجوه ذو سفه ... فمن يجود على العاصين بالكرم؟

فالتفت الإمام على إلى ابنه الحسين، وقد أحزنه قول الرجل وآلمه بكاؤه، وقال لابنه: أما تسمع النادب ذنبه، والمعاتب ربه؟ امض إليه فَأْتِنى به، فأسرع الحسين فى خطاه حتى أدركه، فقال له: أجب أمير المؤمنين، فلما جلس بين يديه إذا هو رجل جميل الوجه، نَقِىُّ البَدن، نظيف الثياب، طيب الريح، إلا أنه قد شل جنبه الأيمن، فلا يمشى إلا ثقيلاً متباطئًا، فأخذ الإمام على يلاطفه، ثم سأله عن شأنه وقصته، وعن شكاته التى تنم عن كرب شديد لحق به، وحزن عميق ألم به، فقال له: شأنى شأن من أخذ بالعقوبة لعقوق والديه، فقد كنت مشهوراً باللهو والفسق والمجون، وكان والدى لين الجانب، رقيق القلب، كثير الرحمة والشفقة بى، وكان دائم النصح لى، ولكنى كنت أعصيه، وأسخر منه ومن نصحه، إلى حد أننى قمت إليه فى بعض الليالى وضربته ضربا مبرحا، وكلما ألحَّ علىَّ فى نصحه بالغت فى ضربه وإهانته، فلما يئس من برى له، ومن طاعتى لأمره، قال: والله لأصومن ولا أفطر، ولأقومن الليل ولا أنام، ولأدعون عليك ربى، وقد واصل صيامه وقيامه حتى جاء موسم الحج، فتوجه إلى بيت الله الحرام حاجًّا، وقال: والله لأفِدَن إلى بيت الله، ولأستعدين الله عليك، وفى ليلة عرفة تعلق بأستار الكعبة، وجعل يجأر بالبكاء ويقول:

يا من إليه أتى الحجاج من بُعُد ... يرجون لطف عزيز واحد صمد
هذى منازل ما قد خاب قاصدها ... فخذ بحقىَ يارحمان من ولدى
وَشُلَّ منه بجود منك جانبه ... يا من تقدس لم يولد ولم يلد

فوالذى رفع السماء، وأنبع الماء، ما أتم دعاءه حتى شُل جانبى الأيمن، وظللت كالخشبة الملقاة بأرجاء الحرم، ثم خرجت فى طلبه أتَرَضَّاه فلم أدركه إلا بعد أن أتم دعاءه[1]، وهو متعلق بأستار الكعبة، وقد حدث من الأمر ما حدث، وكان الناس يقولون عنى: هذا الذى أجاب الله فيه دعاء أبيه، ومازلت به أحاول أن أترضاه حتى وعد خيراً، ولكن فى موسم الحج القادم، ولكن المنية أدركته قبل أن يفد إلى الحرم ثانية، قال ذلك الفتى: ومنذ ذلك الحين وأنا

(١) وهذا يدل على أن الرجل وولده كانا من سكان مكة.

أتحامل على نفسى وأحج بيت الله وأسأله المغفرة والعفو والصفح والمعافاة من هذا البلاء.

فرق الإمام عليٌّ لحاله وقال له: إن شئت أن يعافيك الله مما أنت فيه فقل إذا أصبحت وإذا أمسيت:

«اللهم إنى أسألك يا عالم كل خفية، ويا من السماءُ بقدرته مبنية، ويا من الأرض بعزته مدحوَّة، ويا من الشمس والقمر بنور جلاله مشرقة ومضيئة، يا مقبلا على كل نفس مؤمنة زكية، يامُسَكِّنَ رعب الخائفين وأهل التقية، يا من حوائج الخلق عنده مقضية، يا من نجى يوسف من رق العبودية، يا من ليس له بواب ينادى، ولا صاحب يفشى سره، ولا غيره رب يُدعى، ولايزداد على كثرة الحوائج إلا كرماً وجوداً، أعطنى سؤلى إنك على كل شيء قدير» وقال له: تمسك بهذا فإنه كنز من كنوز العرش.

فقالها الفتى مراراً، وواظب عليها بصدق وإخلاص، فاستجاب الله دعاءه، وأزال عنه بلاءه، حتى إن الإمام عليا ليقول: لقد رأيته سليما معافى كأن لم يكن به سوء. وبهذا فرَّج الله كربه، وأذهب عنه همه وغمه.

إنها صورة واقعية، تبين لنا ما يفعله العقوق بصاحبه، كما تبين لنا أهمية الإخلاص فى الدعاء، وقبول النصيحة من الأتقياء، فاحذر أيها الشاب، واحذرى أيتها الفتاة، احذروا أن ينزلق أى منكم إلى هذا المنعطف الخطير، منعطف عقوق الوالدين، تحت أى دعوى وأى مسمى، من دعاوى ومسميات التغريب، واجتثات الفروع عن الأصول، فإن الأمر جد لا هزل فيه، وقد أخبرنا حبيبنا سيدنا محمد ﷺ أن دعوة الوالد على ولده سريعة الاستجابة.

فاحفظنا اللهم من مصيبة العقوق، واجعلنا من الأبرار الأخيار، ياعزيز ياغفار.

٢٠- تفريج كرب مَازِن بن الغَضُوبَة

مازن بن الغضوبة رجل من أهل عمان، وقد نزلت به شدة جاء تفريجها على يدى رسول الله ﷺ فقد روى الطبرانى عن مازن بن الغضوبة قال: كنت أسْدن صنما (أى أخدم صنما) يقال له (باجر) بقرية بعمان يقال لها (سمائل) فَعَتَرْنا ذات يوم عنده عتيرة (أى : ذبحنا عند هذا الصنم ذبيحة) فسمعت صوتا من الصنم يقول:

يامازن اسمع تسر ... ظهر خير وبطن شر
بعث نبى من مضر ... بدين الله الأكبر
فدع نحيتا من حجر ... تسلم من حر سقر

قال: ففزعت لذلك، وقلت: إن هذا لعجب، ثم عترت بعد أيام عتيرة، فسمعت صوتا من الصنم يقول:

أقبل إلىَّ أقبل ... تسمع ما لا تجهل
هذا نبى مرسل ... جاء بحق مُنْزَل
فآمِنْ به كى تعدل ... عن حر نارٍ تشتعل
وقودا بالجندل

فقلت: إن هذا لعجب، وإنه لخير يراد بنا، فبينا نحن كذلك إذ قدم رجل من الحجاز، فقلت: ما الخبر؟ فقال: ظهر رجل يقال له أحمد، يقول لمن أتاه: «أجيبوا داعى الله» قلت: هذا نبأ ما قد سمعت، فسرت إلى الصنم فكسرته أجذاذاً، وركبت راحلتى، فقدمت على رسول الله ﷺ فشرح لى الإسلام، فأسلمت وقلت:

كسرت باجراً جذاذا وكان لنا ... ربا نُطيفُ به عميا لضلاَّل
بالهاشمى هدينا من ضلالتنا ... ولم يكَن دينه مِنِّى على بال

يا راكــبا بلغــنْ عمـراً وإخوتـــــه وإنـى لِمَـنْ قَـالَ: ربـى باحـر، قَـالِ

يعنى عمرو بن الصلت وإخوته بنى خطامه.

قال مازن: فقلت: يارسول الله : إنى امرؤ مولع بالطرب، وبشرب الخمر، وبالهلوك، (قال ابن الكلبى: والهلوك الفاجرة من النساء)، وألحت على السنون، فأذهبت الأموال، وأهزلت الذرارى والعيال، وليس لى ولد، فقال النبىﷺ : **«اللهم بدله بالطرب قراءة القرآن، وبالحرام الحلال، وبالعُهْرعفة الفرج، وبالخمر ريا لا إثم فيه، واتئه بالحيا (النماء)، وهب له ولداً»**.

قال مازن: فأذهب الله عنى ما كنت أجد، وأتانا الحيا، وتعلمت شطر القرآن، وحججت، ووهب الله لى حبان بن مازن، وأنشأ يقول:

إليك يارسول الله خَبَّتْ مطيتى تجوب الفيافى من عمان إلى الْعَرْجِ
لتشفع لى يا خير من وطىء الحصى فيغفر لى ربى فأرجع يا لْفَلْجِ
إلى معشر خالفت والله دينهم فلا رأيهم رأيى ولا شرجهم شرجى
وكنت امرأً بالطرب والخمر مولعا شبابى حتى آذن الجسم بالنهج
فبدلنى بالخمر خوفاً وخشية وبالعهر إحصانا فحصن لى فرجى
فأصبحت همى فى الجهاد ونيتى فللــه صومـى وللـــه حجـــى



الباب الثالث

أدعية لتفريج كرب الظلم بمختلف أشكاله وألوانه



الظلم ودوافعه وأخطاره على المجتمع :

إن ظلم الإنسان لأخيه الإنسان يعتبر من أبشع الذنوب، فالظلم من أشد الكروب التى تقع على النفس البشرية، فيشعر المظلوم بالإحباط الذى قد يسلمه إلى اليأس والقنوط، فتضيق عليه الأرض بما رحبت، وبخاصة فى الحالات التى لايجد فيها المظلوم من يتفهم قضيته، أو يستمع إلى شكواه من خلق الله، ومن أجل هذا وغيره معه فقد وردت النصوص الشرعية صريحة بتحريم الظلم، وتوعد الظالمين بالهلاك والبوار، فى عاجل أمرهم وآجله، وقد حرم الله الظلم على نفسه قبل أن يحرمه على عباده، فهو القائل فى الحديث القدسى الصحيح: **«يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا»** كما شدد النكير على الظالمين، وتوعدهم بكثير من ألوان المؤاخذات، فهم بظلمهم قد استوجبوا من الله اللعنة والإضلال، والخسْران المبين، وسرعة الانتقام فى العاجل والآجل، يقول الله تعالى: ﴿ **أَلا لَعْنَةُ اللَّه عَلَى الظَّالمينَ** ﴾[1] ويقول: ﴿**إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾[2]، ويقول: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمينَ** ﴾[3]، ويقول الرسول الكريم ﷺ: **«ينادى مناد وراء الصراط: معشر الطغاة الأشقياء، إن الله يحلف بعزته أن لا يجاوز هذا الجسر ظالم»**، وفى الحديث القدسى: **«وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم فى عاجله وآجله»**.

ويقول القائل نظماً:

لاتظلــــمن إذا ما كنـت مقتـدرا فالظلــم يأتيـك عقبـاه بالنـدم

(١) سورة هود: ١٨

(٢) سورة يوسف: ٢٣.

(٣) سورة المائدة: ٥١.

تنام عيناك والمظلوم منتبه   يدعو عليك وعين الله لم تنم

والأمور التى تدفع إلى الظلم وتغرى به كثيرة، ومتعددة بتعدد مطالب الحياة، ومتنوعة بتنوع تنافسهم عليها، فقد يكون الباعث على الظلم الطمع فيما فى أيدى الغير من أسباب الرزق والخير، وقد يكون الباعث على ذلك الحسد على النعمة أيا كانت، من نحو جاه أو وجاهة بين الناس، أو الحصول على درجة عالية من العلم وذكاء الفهم، أو محاولة الاسترسال فى مطامع النفس ومطامحها، بمحاولة إلصاق التهمة بالأبرياء، أو يكون الباعث على الظلم عاملا من عوامل الوشاية والوقيعة بين الناس، ومرد هذا الخلق الحسد والحقد كذلك، أو أن يكون الظلم ناشئا عن الاعتداد بالقوة المادية والاعتزاز بها، أو أن الظلم قد يقع على كرام النفوس إذا ما حاولوا الانتصار للحق، ودفع الأباطيل عن الشرفاء، وما إلى ذلك من الأسباب الكثيرة والوفيرة.

وقد حاولت فى هذا الباب إلقاء الضوء على هذا الخلق المرذول، لما له من أخطار وأضرار على المجتمع وأفراده، من نحو إشاعة روح الاستكانة والوضوخ للأمر الواقع، وهذا روح شرير ما تمكن من أمة إلا فَتَّ فى عضدها، وأصبح وبالا على أهلها، وبخاصة وأن الله ـ تعالى ـ قد أخبر فى كتابه العزيز فقال: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، فمن رحمة الله أنه أكرم أهل طاعته ووعدهم بعظيم المنازل، كما أذل أهل معصيته، ومن تمام كرمه لأهل طاعته أنه امتحنهم ببعض الشدائد ليعظم لهم الحظ الجزيل من كرامته، ولكى ينيلهم بذلك أسنى المراتب من نعمته.

ولقد أخبرنا النبى ﷺ عن الدنيا فقال: «**الدنيا دار بلاء، ومنزل بُلْغَة وعناء، قد نزعت عنها نفوس السعداء، وانتزعت بالكره من أيدى الأشقياء، فأسعد الناس فيها أرغبهم عنها، وأشقاهم بها أرغبهم فيها، فهى الغاشَّةُ لمن انتصحها،**

(١) سورة المنافقون: ٨.

والمغوية لمن أطاعها، الفائز من أعرض عنها، والهالك من هوى فيها، طوبى لعبد اتقى فيها، وقدم توبته، وغلب شهوته».

وليتذكر الظالمون هذا الحديث الشريف: «ينادى يوم القيامة من بطنان العرش:ليقم من كان أجره على الله، فلا يُرَى إلا المتفضلون، والكاظمون الغيظ والعافون عن الناس».

١ ـ تفريج كرب الصحابى أبى معلق

يقول الصحابى الجليل أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ: «كان رجل من أصحاب النبى ﷺ يكنى «أبا معْلق»، وكان تاجراً يتجر بمال له ولغيره، يضرب به فى الآفاق، وكان ناسكا ورعًا».

ولقد خرج أبو معلق ذات مرة متاجرًا، فلقيه لص مقنع ومدجج بالسلاح، وقال له: ضع ما معك فإنى قاتلك، فقال أبو معلق: وما الذى تستفيده من قتلى؟! هذا هو المال فخذه، فقال له اللص فى تحد سافر، وحب للشر: أما المال فهو لى، ولا أريد إلا قتلك، فقال له أبو معلق. أما إذ أردت ذلك فذرنى أصل أربع ركعات لله، فقال اللص: صل ما بدا لك، فقد استقر فى روع هذا اللص أنه سيظفر بمطلوبه حتما، فالظروف كلها فى صالحه، فالطريق غير مسلوك، وأبو معلق لايستطيع مقاومته، وهكذا يخطئ كل الجبارين، حينما يستبد الشر بهم، فيرى الواحد منهم نفسه على كل شىء قديرًا، ولا يدور فى خلده ولو للحظة أن الله من ورائهم محيط، يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، فلتصل يا أبا معلق ماشئت من صلاة.

توضا أبو معلق فأحسن الوضوء، وصلى لله أربع ركعات، لاتسل عن مدى إتقانهن، فقد غلب على ظنه أنهن آخر ركعات له فى الحيأة، ولقد ألهمه الله ـ تعالى ـ دعاء دعا به فى آخر سجدة من هذه الصلاة، حيث قال: «ياودود، يا ذا العرش المجيد، يافعال لما يريد، أسألك بعزك الذى لايرام، وملكك الذى لايضام، وبنورك الذى ملأ أركان عرشك، أن تكفينى شر هذا اللص، يامغيث

أغثنى، يامغيث أغثنى، يامغيث أغثنى» دعا بهذا الدعاء ثلاث مرات، وحين فرغ من صلاته فإذا هو بفارس قد أقبل وبيده حربة وضعها بين أذنى فرسه، فلما بصر به اللص أقبل نحوه فى استخفاف، فطعنه ذلك الفارس فقتله، ثم أقبل نحو أبى معلق الذى لم ينهض بعد من جلسته، وقد أتم صلاته، فقال له: قم، قال أبو معلق: من أنت بأبى أنت وأمى؟ فقد أغاثنى الله بك اليوم، قال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة، فلما دعوت بدعائك الأول سمعت لأبواب السماء قعقعة، ولما دعوتَ بدعائك الثانى سمعتُ لأهل السماء ضجةً، ثم لما دعوت فى المرة الثالثة قيل لى: دعاءُ مكروب، فسألتُ اللهَ أن يولينى قتل هذا اللص، فنزلتُ، وكان مارأيتَ.

وبهذا فقد فرج الله كرب هذا الأنصارى العابد الورع، الذى يتحرى الدقة ويتحرى الحلالَ فى تجارته، ولاغرو فهو من الأنصار الذين قال الله فى حقهم: **﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾**[1].

وهذه الواقعة ترينا أن الله ينصر عبده المؤمن بالسبب الضعيف، كما أنه يرزقه من حيث لا يحتسب.

وهكذا ستظل رحلة الحياة حافلة بالمكروبين المكدودين؛ لكى ترى الدنيا من خلال هؤلاء وأولئك النماذج الوضيئة والمضيئة، من الذين تَفَجِّرُ شدائد الكروب والخطوب فى نفوسهم طاقات الأمل والرجاء فى الله، فلا تلبث تلك الكروب أن تتبدد أمام ألطاف الله وفرجه، وستظل تلك الوقائع مشاعل هداية تنير للناس دنياهم كلما ادلَهَمَّت عليهم دروب الحياة، وتوعرت مسالكها، ولكى تعرف الدنيا فى حاضرها وفى مَاضيها أن الله هو الحق المبين.

ومن الأمور التى يجب التنبيه عليها أن الدعاء الذى ألهمه الله أبا مِعْلق هو

---

(١) سورة الحشر: ٩.

من الأدعية النافعة والمفيدة، وشاهدنا على ذلك ما عقَّب به أنس - رضى الله عنه - على هذه الواقعة وعلى هذا الدعاء بقوله: «من توضأ وصلى أربع ركعات، ودعا بهذا الدعاء استُجيب له، مكروبا كان أو غير مكروب».

٢- تفريج كرب الجارية المتهمة بالسرقة

مما لاشك فيه أن إلصاق التهم الباطلة، وتوجيه التهم الملفقة للأبرياء الشرفاء، وافتراء الكذب عليهم لأمر يغضب له جبار الأرض والسماء؛ ذلك لأن هؤلاء الأبرياء إذا نزلت بساحاتهم مثل هذه الشدائد والكروب فلاشك فى أن يأسهم من عدل العباد سيدفعهم دفعا إلى التشبث بفرج الله القريب، الذى يعلم بواطن الأمور، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

ولقد أورد الإمام البخارى فى صحيحه حديثا عن أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - تقول فيه: «إن وليدة عربية (جارية) كانت سوداء لحى من العرب، فأعتقوها فكانت معهم عسيفة (أجيرة)، فخرجت صبية لهم عليها وشاح أحمر من سيور، فوضعته أو وقع منها، فمرت بها حدياة (طائر) وهو ملقًى فحسبته لحما فخطفته، قالت: فالتمسوه فلم يجدوه، فاتهمونى به، فعذبونى، فأراد الرجال تقتيشها فقالت: يامغيث أغثنى» وفى رواية: «فلما خِفْتُ الشر منهم رفعت رأسى إلى السماء وقلت: يارباه أغثنى، والله إنى لقائمة معهم إذ مرت الحدياة فألقته (أى الوشاح) فوقع بينهم، فقلت: هذا الذى اتهمتمونى به، زعمتم وأنا منه بريئة، وهو ذا هو».

وبهذا فقد أثبت الله براءتها، واستجاب لها وفك كربتها، فما كان منها إلا أن تركت هؤلاء القوم، وأتت رسول الله ﷺ فأسلمت وأقامت بجوار مسجده المبارك، فى خباء لها، أو بيت صغير، وكانت تأتى نساء النبى ﷺ تخدمهن أو تزورهن، تقول عائشة - رضى الله عنها -: فكانت تأتينى تتحدث عندى، فلا تجلس مجلسا إلا قالت:

ويوم الوشاح من أعاجيب ربنا ... ألا إنه من ظلمة الكفر أنجانى

فقلت لها: ما شأنك لا تقعدين معى إلا قلت هذا؟ فأخبرتنى بما كان من أمرها.

وتقول هذه الجارية: «فما وقعت فى كربة إلا ذكرت ذلك، وهو يوم الوشاح، ورجوت الفرج فيفرج الله عنى».

وهكذا يدرك الله عباده المكروبين بفرجه القريب، فهو إليهم أقرب من حبل الوريد.

٣ـ البعير ينطق ببراءة من اتُّهمَ بسرقته

هذه واقعة ثانية اتهم فيها أعرابى بسرقة ناقة، فلما ضاقت به السبل، أنبت الله له الفرج من الضيق، وفتح عليه أبواب النجاة من أيسر طريق، وقد روى هذه الواقعة الإمام الحاكم فى مستدركه، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ قال: «كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ إذ دخل أعرابى جهورى الصوت، بدوى، على ناقة حمراء، فأناخها بباب المسجد، ودخل فسلم على النبى ﷺ ثم قعد، وجلس جلسة طويلة، فلما قضى نحبه قالوا: يارسول الله إن الناقة التى تحت الأعرابى سَرِقَة (أى مسروقة)، فقال لهم النبى ﷺ: «**أنتم بينة؟**» (أى شهود على ذلك)، قالوا: نعم يارسول الله، فقال النبى ﷺ: «**ياعلى: خذ حق الله من الأعرابى إن قامت عليه البينة، وإن لم تقم فرده إلىّ**».

فأُسقط فى يد الأعرابى، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، فالناقة ناقته ولم يسرقها من أحد، فأطرق الأعرابى ساعة، فقال له النبى ﷺ: «**قم يا أعرابى لأمر الله، وإلا فَأَدْلِ بحجتك**» وهنا كرب الأعرابى كربا لم يكرب مثله مخلوق، وإذا بالناقة تنطق بلسان فصيح، بالحق الواضح المبين، وتقول: «**والذى بعثك بالحق والكرامة يارسول الله إن هذا ما سرقنى، وما ملكنى أحد سواه**» فعلم النبى ﷺ أن الأعرابى لما اشتد كربه دعا الله بدعاء ففرج الله عنه ما هو فيه، فقال له النبى: «**يا أعرابى: بالذى أنطقها بعذرك ما الذى قُلْتَ؟**» قال الأعرابى: قلت: «**اللهم إنك لست برب استحدثناك، ولامعك إله أعانك على**

خلقنا، ولا معك رب فنشك فى ربوبيتك، أنت ربنا كما تقول، وفوق ما يقول القائلون، أسالك أن تصلى على محمد، وأن تَرِيَنى براءتى» فعقب النبى على ذلك قائلا: «**والذى بعثنى بالكرامة يا أعرابى، لقد رَأَيت الملائكة يبتدرون أفواه الأزقة يكتبون مقالتك، فأكثر الصلاة علىّ**».

انظر أيها القارئ العزيز، إلى أى حد يدافع الله عن الأبرياء، وإلى أى حد يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، وهكذا فتح الله لهذا الأعرابى أبواب فضله بمفاتيح فرجه، إنه على ما يشاء قدير.

٤ ـ تفريج كرب القاضى الصالح عمر بن حبيب

إن الانتصار للحق بإعلائه، والوقوفَ فى وجه الباطل لإزهاقه، هو أحد القيم التى ربى عليها الإسلام أتباعه، فى كل عصر، وفى كل مصر؛ حتى لا يجترئ الناس على الفساد فى الأرض باستحلال حرمات الله ـ تعالى ـ ولقد كان سلفنا الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ يؤدون هذا الواجب بكفاءة واقتدار، لايخافون لومة لائم، ولايخشون إلا الله.

ولقد كان الشيخ الفاضل، والقاضى الجليل عمر بن حبيب واحدًا من هؤلاء السادة الأخيار، وكان يتولى القضاء فى عصر هارون الرشيد، ولقد حدث أحد المواقف التى شكلت له كربًا، فقال: «حضرت مجلسا من مجالس الرشيد ذات يوم، فجرت مسألة، فتنازعها الخصوم، وعلت فيها الأصوات، فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة، فدفع بعضهم الحديث، وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون: أبو هريرة متهم فيما يرويه عن رسول الله ﷺ وصرحوا بتكذيبه، ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم (أى: مال إلى رأى المكذبين لأبى هريرة) ونصر قولهم، فقلت أنا: الحديث صحيح النقل عن رسول الله ﷺ فنظر إلىّ الرشيد نظر مغضب، وانتهى المجلس، وانصرفت إلى منزلى، فلم ألبث وقتا طويلا حتى جاءنى غلام فقال: أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول،

وتحنط وتكفن، وهنا استشعرت خطورة الموقف وغضبة الأمير، فلم يفقد صوابه، ولم تطش نفسه، وإنما اعتصم بالله واستعان به؛ حيث رفع يديه إلى السماء ودعاه دعاء مضطر لرحمته، فقال: «**اللهم إنك تعلم أننى دفعت عن صاحب نبيك فسلمنى من هذا الأمير**».

فأدخلت على هارون وهو جالس على كرسى، حاسر عن ذراعيه، بيده السيف، وبين يديه النطع، فلما بَصُرَ بى قال: ياعمر، ماتلقانى أحد من الدفع والرد بقول بمثل ما تلقيتنى به وتجرأت علىَّ، فقلت: يا أمير المؤمنين: إن الذى قُلْتَهُ ودافَعْتَ عليه، وجادلت عنه فى المجلس المذكور هو إزراء على رسول الله ﷺ وعلى ماجاء به، وعلى الشريعة التى جاء بها من ربه؛ وذلك أنه إن كان أصحابه ورواة حديثه كذابين فالشريعة باطلة، والفرائض فى الأحكام والصيام والنكاح والطلاق والحدود مردودة غير مقبولة، فاللهَ اللهَ يا أمير المؤمنين أن تظن ذلك، أو أن تصغى إليه، وأنت أولى أن تغار لرسول الله ﷺ!!

إنه ثبات على الحق، وجرأة فى الصدق؛ لايوفَّق إليه إلا الذين يرجون الله والدار الآخرة، من الذين يبذلون النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، حتى فى تلك اللحظات التى يتراءى فيها الموت للعيون، بل يكون أقرب إلى الأحداق من الجفون، بل وتكون نهاية الحياة أقرب من خطرات النفوس، فهذا العالم يذكر أمير المؤمنين هارون بمكانته من رسول الله ﷺ وصلته به، وقربه منه، ويهيب به أن يترفع عن تبنى مثل هذه الآراء الساقطة، التى يتبناها المضلون، الذين يرجون وجاهة فى مثل هذه المجالس حتى ولو كانت على حساب الحق، أو نهشا فى أعراض الصالحين.

وهنالك هبت أَنْسَامُ السرور، وفتحت أبواب الفرج على مصاريعها، فالرجوع للحق فضيلة، والرجوع للحق خير من التمادى فى الباطل، وإذا بهارون الرشيد، وقد فتح الله مغاليق عقله إلى الهدى والنور، إذا به يقول لعمر بن

حبيب: أحييتنى يا عمرُ بن حبيب أحياك الله، ثم إنه كرمه بعطاء قدره عشرون ألف دينار.

٥ ـ من مواقف الكليم موسى ـ عليه السلام ـ مع فرعون

يمثل الصراع بين الخير والشر ـ على طول الخط ـ ألوانا من الكروب والشدائد التى يعيشها الأنبياء والمرسلون، وقد يبلغ هذا الكرب ذروته حينما يضيق الشر بالخير ذرعًا فيعلن التخلص من القائمين بدعوات الخير والإصلاح، بل والقضاء عليهم، وتاريخ الدعوة إلى الله ملئ - بل ومشحون - بالمواقف الصعبة التى تحملها أنبياء الله ورسله، ومن على قدم الصدق معهم، وتلك سنة جارية فى خلق الله، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا؛ ذلك لأن دعوات الحق والإصلاح ليست خالية عن القيود والتبعات، فكما يقول النبى ﷺ: «**حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات**»، فالمكاره هى القيود والحدود والضوابط التى تدعو الشريعة الإسلامية إلى التمسك بها، والشهوات هى التحلل من التمسك بهذه القيود، والجرى وراء متطلبات النفس البشرية فى كل ما تشتهيه، وتلك عادة صبيانية تجعل صاحبها لايتجاوز مرحلة الطفولة، وفى هذا المعنى يقول القائل:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

وسيدنا موسى ـ عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام ـ أحد المرسلين أولى العزم، الذين تحملوا من إذايات أقوامهم ما لا تتحمله الجبال الراسيات، فقد أرسله الله إلى فرعون وملئه، وقد كانوا سادرين فى غيهم، عاكفين على شهواتهم حتى الأذقان، فجاءهم بالبينات من ربهم، يقول الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا (١٠١) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ**

وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (١٠٢) فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴾(١) فوقفوا منه موقف اللجاجة والعناد والمكابرة، واتهموه بالجنون والسحر والشعوذة، شأنهم فى ذلك شأن كل المكابرين من أهل الأرض، حينما يفقدون الحجة والإقناع، فإنهم يلجأون إلى لغة السب والشتم، بل والعنف كذلك، وهى أمور تقع فى دائرة الاستفزاز، ولقد وصلت تلك المواجهة ذروتها، وقاربت الوصول إلى نهايتها، عندما تجهم فرعون، وقال ما حكاه عنه القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾(٢) فهو يطلب من قومه أن يخلوا بينه وبين قتل موسى، فهو سيقتله حتما، ولا يعمل لرب موسى حسابًا، حتى ولو دعا موسى ربه واستنصر به، ومن عجب أن يخاف فرعون على دين قومه من موسى الذى يخشى أن يبدل دينهم أو أن يظهر الفساد فى الأرض، ونحن نرى أن فرعون قد تحول واعظا يحمى حمى الدين، ويغار عليه، ويشفق على الناس من موسى ودعوته.

وفى مواجهة هذه الشدة لم يكن أمام موسى إلا أن يتجه إلى ربه داعيا ضارعًا مبتهلا: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَّ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾(٣) ولقد ورد أن موسى ـ عليه السلام ـ قال: «**استجرت بالله، وعذت به من شر فرعون وشر أمثاله**» وكان نبينا ﷺ **إذا خاف قومًا قال: «اللهم إنا نعوذ بك من شرورهم، وندرأ بك فى نحورهم»**.

وتمثل تفريج كرب الكليم فى أن قيَّضَ الله له رجلا مؤمنا من آل فرعون يكتم إيمانه ـ يقال إنه كان ابن عمه ـ فلما سمع هذا الرجل مقالة فرعون غضب غضبة لله، وأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، وقال لفرعون ما حكاه

(١) سورة الإسراء: ١٠١ ـ ١٠٣.
(٢) سورة غافر: ٢٦.
(٣) سورة غافر: ٢٧.

عنه القرآن: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[1] فأخذ يذكرهم بصدق موسى، وبعظمة الله، فتغير فكر فرعون من الإصرار على قتل موسى إلى تركه، مع التضييق عليه فى أمور دعوته، وبهذا فقد نجى الله موسى ـ عليه السلام ـ من بطش فرعون صغيرًا، ومن كيده كبيرًا.

فاضرب اللهم علينا سرادقات عزك، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا بما تحفظ به عبادك الصالحين.

٦ـ تفريج كرب مؤمن آل فرعون

إذا كانت كروب الناس وشدائدهم فى هذه الحياة متعددة ومتنوعة، وذلك بحسب اهتماماتهم فى هذه الدنيا، فمنهم من يهتم لأمور تتعلق به أو بخاصة نفسه، ومنهم من يكون كربه وهمه لأمور تتعلق بغيره من الناس، فإن هؤلاء هم أنبل المكروبين، ويطالعنا القرآن الكريم بواحد من هذا الطراز، إنه مؤمن آل فرعون، الذى كان يكتم إيمانه عن قومه.

ويتمثل كرب هذا العبد الصالح فى مبالغة قومه فى اللجاجة مع موسى ـ عليه السلام ـ فما كان منه إلا أن شرع فى نصحهم وتوجيههم، حيث أخذ الأمور بمنطق العقل والاستبصار، فما قصر فى النصح، ولا توانى فى الإرشاد، فقد استخدم أسلوب البشارة تارة، وأسلوب الإنذار تارة أخرى، وإنما سوغ له القيام بهذا الدور ما كان له من علاقة قربى من فرعون، حيث كان ابن عمه، فلما رآهم يعرضون عن الحق الواضح الذى يدعوهم إليه، ما كان منه إلا أن حذرهم بأسَ الله الشديد فى الدنيا والآخرة قائلا لهم: ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ

(١) سورة غافر: ٢٨.

التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾[١] فما كان منهم إلا الإعراض كذلك، فلجأ إلى أسلوب آخر راجيا أن يقيمهم على جادة الحق، وأن يعيدهم إلى حظيرة الصواب، فقال: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾[٢] أي: لا تفعلوا مع هذا النبى ما فعله أسلافكم فى هذه الديار مع يوسف ـ عليه السلام ـ فقد جاءكم بالبينات من ربه فكذبتموه كذلك، ولم تمتثلوا له إلا بمجرد الوزارة والأخذ بالجاه الدنيوى، حتى لقد طمعوا بعد موته فى عدم إرسال رسول آخر إليهم، حتى لا يؤمنوا به كذلك.

فوعظهم وذكَّرهم بأن أحوال الدنيا ما لها من ثبات، وأن القيمة الحقيقية لوجود الإنسان فيها إنما هى لأعماله الصالحة، والبعد عن الأعمال الطالحة، وأن الجنة هى دار القرار، ولكنهم مع هذا كانوا يحاولون التأثير عليه بدعوة مضادة لدعوته هذه، حتى يظل معهم غارقا فى شركهم حتى الأذقان، فأنكر عليهم مسلكهم هذا، وبيَّن لهم تناقض مواقفهم، فهم يدعونه إلى النار، وهو يدعوهم إلى النجاة منها، فلما لم يجد منهم أية استجابة، فما كان منه إلا أن توجه إلى الله رب العالمين، داعيا وضارعا بما حكاه عنه القرآن الكريم: ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[٣]، أى أننى أكل أمركم وأمر هدايتكم إلى الله، فقد فرغت حيلتى، وأترك إليه وحده شأنكم، ولم يشأ هذا الرجل أن يدعو عليهم بشىء من العذاب أو العقاب، وإنما فوض أمر ذلك إلى الله؛ فهو الذى يعلم حجم جرمهم، وهو الذى يقدر لهم العقوبة، وفى هذا

(١) سورة غافر: ٣٢ ، ٣٣.

(٢) سورة غافر: ٣٤.

(٣) سورة غافر: ٤٤.

المعنى يقول أحد الصالحين: «إذا خيرت أن تختار، فاختر ألا تختار» وكان نبينا الكريم يقول فى دعائه: «**اللهم خِرْ لى واختر لى**».

ولقد تمثل تفريج كرب هذا الرجل الصالح فى نجاته من كيد فرعون وجنده، فلم يكن من الهلكى أو الغارقين منهم فى اليم يوم أن أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، ونجاه الله مع موسى ـ عليه السلام ـ هذا فى الدنيا، وأما فى الآخرة فهو من الفائزين بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، وفى هذا المعنى يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ **فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾[(١)].

ونحن نلحظ من هذا السياق فى هذه القصة أن القرآن لم يصرح بذكر اسم هذا الرجل، وذلك لحكمة جليلة، ألا وهى أن الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ منوطة بالأكفاء القادرين على تبليغها، وهى تحتاج إلى الرجولة والشجاعة فى تحمل الأعباء، ﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ** ﴾[(٢)]، ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ** ﴾[(٣)]، ﴿ **يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ** ﴾[(٤)].

فاجعلنا اللهم من أهل طاعتك، واجعل شرفنا وعزنا فى كمال عبوديتنا لك.

٧ـ تفريج كرب الصحابى خباب بن الأرَتّ

إن من تصاريف ربنا ـ تبارك وتعالى ـ فى هذا الكون أنه ينزل الفرج والرخاء على قدر الشدة والبلاء، ولقد كان من هدى نبينا ﷺ: «**إذا استبطأت الرزق**

---

(١) سورة غافر: ٤٥، ٤٦.

(٢) سورة غافر: ٢٨.

(٣) سورة الأحزاب: ٢٣.

(٤) سورة النور: ٣٦، ٣٧.

فأكثر من الاستغفار، وإذا ورد عليك أمر تكرهه فأكثر من قول: لا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم، وإذا أنعم الله عليك بنعمة فأكثر من: الحمد لله».

وخباب بن الأرت واحد من السابقين الأولين، الذين واجهوا جنون كفار مكة بالرغم من فقره ورقة حاله، ففى بيت «أم أنمار» إحدى نساء مكة يقيم هذا العبد الرقيق، الذى برع فى صناعة السيوف التى تدر على سيدته دخلا لابأس به، وشاءت له الأقدار أن يدخل الإسلام مع الفوج الأول من الداخلين فيه، وكان ذلك بمثابة امتحان قاس، واختبار رهيب له، فقد برهن للدنيا على أن الإيمان الحق يعيد صياغة الإنسان من جديد على نحو طيب وفاضل، وأنه يكسب النفوس البشرية طاقات لاحدود لها من الصمود والصبر على مواجهة الشدائد وتحمل المكاره، ولقد تمثلت بسالة هذا الفتى الْفَتِىِّ، فى أنه تعرض لموقف صعب، فبينما هو عائد إلى بيت مخدومته إذا به يجد لفيفا من الناقمين والساخطين عليه، فسألوه عن صلته بمحمد، فأخبرهم بأنه رسول الله، أرسله إلينا ليخرجنا من الظلمات إلى النور، فلم يكد يتم مقالته هذه حتى انهالوا عليه ضرباً مبرحا، وكانوا معه كالوحوش الكاسرة، حيث صبوا عليه جام غضبهم، أما «أم أنمار» فقد عبرت عن موقفها منه بصورة بشعة، فقد أتت بسيخ من الحديد محمى وأخذت تكوى به رأس هذا المسكين، إنها صدمات متتالية، أدخلته فى غيبوبة لم يفق منها إلا بعد ساعات طويلة، فقد أفاق من غيبوبته ليجد عظامه وجسمه كله يعانى من رضوض وآلام، فطفق يضمد جراح جسده، ويتحامل على نفسه، ويوطن نفسه لاستقبال جولات جديدة من هذه الإذايات، ومن ذلك النكال، ولقد صدق حَدْسُه فعلا، فإذا بهم يعاودون الكرةَ، ويلهبون ظهره العارى بالحجارة المحمية حتى ذهب لحمه، ولكن الغريب فى أمره أنه لم تلن له قناة، لك الله ياخباب؟!!

إننى لا أجد لك مثالا يشبهك إلا قطعة من الذهب النضار، التى يفتنها الصائغ فى بوتقته على لهيب النار، فما تزيدها شدة الحرارة إلا شفافية وصفاء، كلا، فأنت ياخَباب بصلابة موقفك، وصدق إيمانك، وبصبرك وتجلدك أنضر من

الذهب النضار، يالله؟!! ما هذه القسوة يابنى الإنسان!!! أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله!!

وبينما خباب يتقلب فى هذا العذاب، وإذا برسول الله ﷺ يمر به فيجد هذا المشهد الدامى، حديد محمى فوق رأسه، يحرقه ويشويه، فطار قلب الحبيب شفقة على خباب، ورفع كفيه إلى ربه قائلا: «**اللهم انصر خبابا**»، فكانت أبواب السماء مفتحة لهذه الدعوة، وإذا بفرج الله القريب يدرك خبابا، فما كان من سيدته «أم أنمار» إلا أن زهدت فى هذا العبد العنيد، وأعتقته حتى لاتشغل نفسها به أكثر من ذلك، فإذا به يتنفس الصعداء، فقد دفع ثمن حريته غاليا، ولكنه على ثقة تامة بأن الحرية لا تشترى بمال، لقد دفع ثمن حريته غاليا بل غاليا جداً، لقد دفع ثمن حريته دماء تنزف من جسده، وقروحا وحروقاً، وصدمات عصبية ارتج لها جميع بدنه، وهذا هو الشق الأول من تفريج كربه، فقد امتلك حرية نفسه.

وأما الشق الثانى، فقد تمثل فى نصر الله له على سيدته الظالمة، التى عذبته بالنار وغاب عنها وعن أمثالها من الكافرين أنه لا يعذب بالنار إلا الله، فقد تمثل فيها عدل ربنا، الذى لا تضطرب موازين عدله، والذى لاتغيض ولاتجف ينابيع فضله، فإذا بها تصاب بداء عضال، وسعار عجيب جعلها تعوى عواء الكلاب، فما كان منها إلا أن استدعت الأطباء، فقرروا لها العلاج الوحيد، ألا وهو كىُّ رأسها بالنار، سبحان الله، بالنار! نعم إنها النار التى عذبت بها خبابا الرقيق، صدقت ياربنا فيما قلت، وأبدعت فيما أحكمت ﴿**وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ**﴾[1].

وهكذا فرج الله كرب وَهَمَّ خباب، ونصره على أعدائه، فخرج من هذه المحنة أشد مضاء، وأصلب عوداً، وأقوى عزيمة، وأصدق إيمانا، فقد واساه النبى ﷺ بهذا الدعاء المستجاب، وأتحفه بهذه الطرفة النبوية الكريمة، فطابت على أثرها جراحه، وحلَّقت نفسه فى رياض القرآن الكريم حفظا وتجويداً تَعَلُّمًا

(١) سورة المؤمنون: ١٧.

وتعليما، حتى إن عبد الله بن مسعود ليقول عنه: «إن خبابا مرجع فيما يتصل بالقرآن حفظا ودراسة» ويقول عنه علي - رضي الله عنه -: **«رحم الله خبابا، لقد أسلم راغبا، وهاجر طائعا، ومات مجاهدًا»**.

٨- تفريج كرب محمد بن جعفر بن محمد العلوى

إن أسلوب الوشاية بين الناس أحد أسباب إفساد المودة وتقطيع أواصر العلاقات، فهو يوغر الصدور، ويحرك الشرور، وينسى صاحبه ظلمة القبور، ومواقف الذلة يوم البعث والنشور، يوم يخرج الناس من الأجداث حفاة عراة غرلاً كيوم ولدتهم أمهاتهم، وقلما يخلو من هذا البلاء عصر من العصور، أو ينجو منه أهل دهر من الدهور، إلا من رحم الله، وأهل الحضر مع أهل البدو في هذا الخطب سواء، ولقد شهدت فترة الحكم العباسى كثيرًا من هذه الدسائس والوقائع، فقد نشط دعاة الفتنة والوقيعة، يوغرون صدور بنى العباس على إخوانهم وذوى قرباهم العلويين.

ومن ذلك ما حدث لمحمد بن جعفر بن محمد العلوى؛ حيث وشى به الوشاة إلى الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور، فما كان من الخليفة إلا أن استدعى محمد بن جعفر، فأحضره أعوانه إليه بصورة غير كريمة، وغير لائقة بآحاد الناس فضلا عن أشرافهم، ومن لهم برسول الله ﷺ نسب وسبب قوى، وقد شكل إحضار محمد بن جعفر على هذه الهيئة وعلى هذا الحال له ضيقا شديدًا، وكربا عظيما، فلما حضر مجلس أبى جعفر وقد أخذ فيه صدر ذلك المجلس، فسلم جعفر بن محمد عليه فلم يرد عليه السلام، وابتدره بالحديث قائلا: بلغنى أنك تؤلب الناس علىَّ، إن مما نحفظه وتحفظه أنت قول النبى ﷺ: **«ينصب للغادر لواء يعرف به يوم القيامة»**، وهنا أجابه قائلا: «يا أمير المؤمنين: إن مما نحفظه وتحفظه أنت ما قاله النبى محمد ﷺ: **«ينادى يوم القيامة من بطنان العرش: ليقم من كان أجره على الله، فلا يقوم إلا المتفضلون،**

والكاظمون الغيظ، والعافون عن الناس» فأمر الخليفة باحتجازه إلى اليوم التالي.

فبات جعفر بن محمد ليلته ضارعًا إلى ربه ـ تبارك وتعالى ـ بما أثر عن النبى الكريم من دعاء تفريج الكرب، والذى يقول فيه:

«اللهم احرسنى بعينك التى لاتنام، واكنفنى بركنك الذى لايرام، واحفظنى بعزك الذى لايضام، واكلأنى فى الليل والنهار، وارحمنى بقدرتك علىّ، فأنت ثقتى ورجائى، فكم نعمة أنعمت بها علىّ عجز عنها شكرى، وكم من بلية ابتليت بها عجز عنها صبرى، وكم من خطيئة ارتكبتُها فلم تفضحنى فيها، فيا من قل عند نعمته شكرى ولم يحرمنى، ويا من قل عند بليته صبرى فلم يخذلنى، ويا من رآنى على الخطيئة فلم يعاقبنى، ياذا المعروف الذى لا ينقطع أبدًا، وياذا الأيادى التى لاتحصى عددًا، وياذا الوجه الذى لايبلى أبدًا، وياذا النور الذى لايطفأ سرمدًا، أسألك أن تصلى على محمد وآله، وأن تكفينى شر كل ذى شر ظاهر، بك أدرأ فى نحره، وأعوذ بك من شره، وأستعين بك عليه، اللهم أعنى على دينى بدنياى، وعلى آخرتى بالتقوى، واحفظنى فيما غبتُ عنه، ولا تكلنى إلى نفسى فيما حضرته، يا من لا تضره الذنوب، ولا تنقصه المغفرة، اغفرلى ما لا يضرك، وهب لى ما لا ينقصك، اللهم إنى أسألك فرجًا قريبا، وصبرا جميلا، وأسألك العافية من كل بلية، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم».

فلما كان اليوم التالى، ومثل جعفر بن محمد بن يدى الخليفة، إذا به يأمر بفك وثاقه، وهو مايزال مستغرقا فى دعائه ربه بهذا الدعاء، وقام إليه الخليفة وعانقه وأجْلَسه إلى جواره، وقال له معتذراً: «يا أبا محمد: أنتم معدن النبوة، ونبع الرسالة، وإليكم ينتهى كل خلق حميد، وعنكم تؤخذ السنة والكتاب، وأنا أستغفرك هذه الإساءة، فقد قطعت عليك خلوتك، وأفسدت عليك عبادتك، وما كانت إلا وشاية ماكر كذاب، فلا تعجب من أمرى معك اليوم، فلقد رأيت جدك ـ عليه الصلاة والسلام ـ الليلة فى منامى، وهو آخذ بيد عمه العباس، فجعل

يعاتبنى فى شأنك، ويقرأ على هذه الآية ويقول: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾(1) ثم ولى عنى مغضبًا، فهل أنت غافر لى تلك الزلة يا أخى؟ فما كان من جعفر بن محمد إلا أن بكى وقال: يغفر الله لى ولك يا أمير المؤمنين.

فما كان من الخليفة إلا أن رده ردًّا جميلا، رده إلى داره معززًا مكرَّمًا، وأجازه جائزة تليق بأمثاله، وتليق بمقامه الكريم، وكيف لا، وقد قبلت دعواته، فكان رسول الله شفيعه، ولقد اصطحب معه عمه العباس جَدَّ الخليفة؛ ليبين للخليفة مدى العلاقة التى تربط العلويين بالعباسيين، التى تربط العباسيين بالطالبيين، ففضلا عن كونهم أولاد عمومة، فإن للعلويين فضلا، يتمثل فى صلتهم النسبية برسول الله ﷺ فهم بمنزلة أبنائه، وعلى أى حال فلا ينبغى أن تهدم هذه العلاقة، ولا داعى لتقطيع الأرحام، على حد ماورد فى الآية، فلا ينبغى أن تكون ولاية الأمر مدعاة لتقطيع علاقات القربى بحال من الأحوال.

وضراعتنا إليك يا ألله أن تحول حالنا إلى أحسن حال، وأن تصرف عنا حسد الحاسدين، ومكر الماكرين، وأن تفتح لأعمالنا أبواب القبول، ولخطواتنا إليك طريق الوصول، يا من لا تخالطه الظنون، ولايستطيع وصفه الواصفون، ولايبلغ مدحته المادحون.

٩- تفريج كرب الصحابى أنس بن مالك

الصحابى الجليل أنس بن مالك الأنصارى، قد شرف بخدمة النبى ﷺ وهو صغير لمدة عشر سنين، وقد دعا له النبى الكريم بالبركة وطول العمر، وقد استجاب الله لدعوة نبيه، فحلت البركة لهذا الصحابى فى أهله وماله وولده، كما متعه الله بطول العمر، فقد امتدت حياته إلى عام ٩٣ هجرية، فعاش مائة وثلاثين عاما، وهاجر إلى العراق حيث مات بالبصرة ودفن فى موضع يقال له: «قصر

(1) سورة محمد : ٢٢.

أنس» ويتضح لنا من سيرته أن النبى ﷺ قد اختصه ببعض الأدعية التى أفادته فى حياته كثيراً، وبخاصة فى المواقف الحرجة.

ولقد شاءت الأقدار لهذا الصحابى أن يقع فى كرب عظيم أثناء إقامته بالبصرة فى العراق، ذلك أن حياته الحافلة قد امتدت إلى زمن خلافة عبد الملك بن مروان من بنى أمية، وكان واليه على العراق فى هذه الفترة «الحجاج بن يوسف الثقفى»، وهو مَنْ هو ظلما وتجبراً وطغياناً، فلما علم عبد الملك بمقام أنس بالبصرة أرسل إلى الحجاج عامله على العراق رسالة يوصيه فيها خيراً بأنس، ولقد جاء فى هذه الرسالة:

«من عبد الملك بن مروان، إلى الحجاج بن يوسف: انظر إلى أنس بن مالك، خادم رسول الله ﷺ فَأدن مجلسه (أى قربه فى مجلسك)، وأحسن جائزته، وأكرمه». فما كان من الحجاج إلا أن دعا أنسا إلى مجلسه وقال له: يا أبا حمزة: إنى أريد أن أعرض عليك خيلى، وأريد أن تخبرنى أين هى من الخيل التى كانت مع رسول الله ﷺ؟.

فالحجاج بهذا يريد أن يأخذ شهادة من هذا الصحابى، الذى عاصر رسول الله ﷺ لكى يثبت للدنيا أن الخيل التى يستخدمها هى كالخيل التى كان يستخدمها رسول الله ﷺ للجهاد فى سبيل الله، فلما عرض خيله على أنس ما كان منه إلا أن قال له قولا أغضبه، فقد قال له: «شتان ما بينهما، فخيلك لاتقارن بخيل رسول الله ﷺ وذلك لأن خيل رسول الله كان كل شىء فيها خالصا لله، وكان عليه أجر، لقد كانت أرواثها وأبوالها وأعلافها أجراً، أما خيلك فشىء آخر».

فغضب الحجاج غضبا شديداً، وكذلك الحقُّ لا يُغضب إلا الظالمين، ومع هذا فإن الحجاج لم يستطع أن يمضى غضبه، فقد قال له مبينا الأسباب التى منعته من إنزال العقوبة به: لولا خدمتك لرسول الله ﷺ وكتاب أمير المؤمنين (أى عبد الملك) الذى يوصى فيه بك خيراً لضربت الذى فيه عيناك (أى:

لضربت رأسك بالسيف) إنها جرأة ما بعدها جرأة، وإعلان عما يجول فى نفسه من الشرور نحو عباد الله الذين لايوافقونه على رأيه، فلما استشعر منه أنس الغدر فما كان منه إلا أن دعا الله بدعاء اختصه به رسول الله ﷺ منذ صباه الباكر، وكانت قصة تعلم هذا الدعاء كما يقول أنس: «لَمَّا غلظت أرنبتى (أى: أرنبة أنفى) وأنكر رسول الله صوتى (أى من أمارات بلوغ مبلغ الرجال) علمنى كلمات لم يضرنى معهن عُتُوُّ جبار ولا عُتُوُّه، مع تيسير الحوائج، ولقاء أمير المؤمنين بالمحبة، فما دعوت بها فى شدة إلا فرجها الله».

وهذا هو الدعاء الذى تعلمه أنس من رسول الله ﷺ للحفظ والمحبة وقضاء الحاجات: «**الله أكبر، الله أكبر، باسم الله على نفسى ودينى، باسم الله على كل شىء أعطانيه ربى، باسم الله خير الأسماء، باسم الله الذى لايضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء، باسم الله افتتحت، وعلى الله توكلت، الله، الله ربى لا أشرك به أحداً، أسألك اللهم بخيرك الذى لا يعطيه غيرك، عز جارك، وجل ثناؤك، ولا إله غيرك، اللهم اجعلنى فى عياذك من شر كل ذى سلطان، ومن الشيطان الرجيم، اللهم إنى أحترس بك من شر جميع كل ذى شر خلقته، وأحترز بك منهم، وأقدم بين يدىَّ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وأقدم من خلفى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وأقدم عن يمينى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وأقدم عن يسارى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وأقدم من فوقى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. فلم يكن إلا أن صرف الله عنه كيد الحجاج ومكره.**

انظر أيها المطالع الكريم، وتأمل كيف يحفظ الله عباده الأخيار، من كيد الأشرار، ويجعلهم يعيشون فى بحبوحة كرمه وفضله وآلائه، فهو - سبحانه وتعالى - يمنحهم من المدد ما يغنيهم عن السلاح والعدد.

فنسألك اللهم بخيرك الذى لايعطيه غيرك، أن تجعلنا دائماً وأبداً فى كنفك. وفى عياذك ولياذك، فإننا نحترس بك من شر كل ذى شر خلقته، ونحترز بك منهم ببركة القرآن الكريم، وببركة نبيك العظيم، وببركة عبادك الصالحين الأتقياء الأخفياء، الذين جعلت وجودهم عافية للدنيا كعافية الأبدان، فأنت غياث المستغيثين، وصريخ المستصرخين، وأنت على كل شىء قدير.

١٠- تفريج كرب أبى أمامة الباهلى

الصحابى الجليل «أبو أمامة الباهلى» واسمه «صَدِىّ بن عجلان»، واحد من قبيلة «باهلة»، واشتهر بكنيته، ونسبه إليها، وهو أول من دخل الإسلام من قبيلته، وقد شاءت إرادة الله - تعالى - أن تكون هدايتهم على يديه، وبيان ذلك: أنه لما ذاق حلاوة الإيمان بالله - تعالى - أراد بِحِسٍّ المؤمن وفطرته أن يذوق قومُه وعشيرته حلاوة الإيمان بالله كذلك، فيقول: «لقد أتيت قومى وقد سقوا إبلهم وحلبوا وشربوا، فلما رأونى رحبوا بى قائلين: مرحبا بالصدى بن عجلان، بلغنا أنك صَبَوْت (أى تركت دين آبائك) إلى هذا الرجل (يقصدون محمدا ﷺ)؟ فقلت لهم: لا، ولكننى آمنت بالله ورسوله، ولقد بعثنى رسول الله ﷺ إليكم لأعرض عليكم الإسلام وشرائعه، وبينما نحن كذلك إذ جاءوا بقصعتهم التى يتناولون فيها طعامهم، واجتمعوا حولها، وكانت قصعة ممتلئة بالدم، الذى كان من عادتهم أن يتغذوا عليه، وقالوا له: هلم ياصدى فتناول الطعام معنا، فقلت لهم: ويحكم، إنما أتيتكم من عند من يحرم هذا عليكم إلا ما ذكيتم كما أنزل الله، قالوا: وماذا قال؟ قلت: نزلت هذه الآية الكريمة فى المحرمات: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ

عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ﴾[1] ثم جعلت أدعوهـم إلى الإسـلام وهـم يأبون، وهنا أدركنى العطش الشديد، فقلت لهم: أعطونى شربة ماء، فإنى شديد العطش، فقالوا له: لا، لن نعطيك ماء، ولكننا سنتركك حتى تموت عطشا، فلما كرر الطلب ووجد منهم الإصرار والعناد، واشتد كربه واغتمت نفسه، فأسلم لله أمره، ودعا الله - تعالى - بدعاء جاء فيه: «**اللهم مشبع الجاعة، ورافع الوضيعة، أنت أعلم بحاجتى وبحالى، فادفع عنى ما أنا فيه من عطش وجوع بحولك وطولك، اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة**» ثم لف رأسه بعمامته ونام فى الرمضاء فى الحر الشديد، وتركهم يأكلون الدم، يقول أبو أمامة: فأتانى آت فيما يرى النائم بإناء من زجاج لم ير الناس أحسن منه، وفيه شراب لم ير الناس أفضل منه، فأخذته وشربته، فشبعت ورويت، ولما فرغت من شرابى استيقظت، فوالله ما عطشت بعد ذلك أبداً، فوجدت واحداً منهم يؤنبهم على سوء صنيعهم معى وأنا واحد منهم، فأحضروا لى لبنا، فقلت لهم: لا حاجة لى به، ثم أريتهم بطنى فأدركوا ما فيها من الشبع والرى، وهنا أدركهم فرج الله القريب، وفتح الله مغاليق قلوبهم، ودخلوا الإسلام جميعاً.

وهكذا فرج الله كرب أبى أمامة، وهو كرب خاص، كما فرج الله كرب قومه، وهو كرب عام، مما جعله يحلق فى سموات الغبطة والسرور، ففى الحديث: «**لأنْ يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**».

١١- طليقُ الرحمٰن

ورد عن الحسن البصرى أنه قال: كنت فى «واسط» ـ بلدة بالعراق ـ فرأيت رجلا أَلَمَّ به الضعف، وكساه الهزال، فكأنه لسوء حاله قد نُبِشَ عنه قبره، فتقدمت منه وقلت له: ما الذى دهاك؟ وما الذى فعل بك ما أرى يا هذا؟ فإذا بالرجل يتلفت ذات اليمين وذات الشمال، فقال لى قبل أن يتكلم: إذا أخبرتك

---

(١) سورة المائدة : ٣.

بحالي تكتم عليّ أمري؟ قلت: نعم. فقال: لقد حبسني الحجاج منذ ثلاث ليال، فكنت في أضيق حال، وأسوأ عيش، وأقبح مكان، وقد بلغ بي الجهد والشدة وسوء الحال كما ترى، وأنا مع ذلك كله صابر لا أتكلم، فلما كان الأمس، أخرج الحجاج جماعة كانوا معي فضربت رقابهم، وتحدث بعض أعوان السجن ففهمت من حديثهم أن موعد ضرب عنقي هو الغد، وعندئذ اشتد همي وغمي، وضاقت على الدنيا بما رحبت، فأيقنت أنه لا ملجأ من الله إلا إليه، وأن من توكل عليه كفاه، ومن وثق به نجاه، ومن اعتمد عليه كان أولى به من نفسه، فأخذني حزن شديد وبكاء مفرط، فأجرى الله على لساني كلاماً فكنت أقول: «**اللهم اشتد الضر، وفُقدَ الصبر، وأنت المستعان**». فلما ذهب من الليل أكثره أخذتني غَشْيَةٌ، وبينما أنا بين النوم واليقظة أتاني آت فقال لي: قم فصل ركعتين وقل:

«**يامن لايشغله شيء عن شيء، يا من أحاط عِلْمُه بما ذرأ وبرأ، أنت عالم بخفيات الأمور، وأنت محصي وساوس الصدور، أنت بالمنزل الأعلى، وعلمك محيط بالمنزل الأدنى، تعاليت علوا كبيراً، يامغيث أغثني، وفك أسري، واكشف ضري، فقد نفد صبري**».

فقمت من نومي في التو واللحظة، وتوضأت في الحال وضوءاً تاما، ثم صليت ركعتين وتلوت بعدهما ما سمعت من هذا الهاتف، فلم أنس منه كلمة واحدة، وإذا بفرج الله القريب يأتيني بقدرته، فلم أكد أتم صلاتي ودعائي حتى رأيت عجبا من أمري، إذا بي أنظر إلى قيودي وأغلالي وقد سقطت من رجلي، وإذا بي أنظر إلى أبواب السجن فرأيتها مفتحة، فقمت فخرجت من سجني وضيقي إلى سعة رحمة الله وفضله، ولم يعارضني أحد من الحراس، فخرجت من بينهم وكأن على رءوسهم الطير، فأنا والله طليق الرحمن، فقد أعقبني الله بصبري فرجاً، وجعل لي من ذلك الضيق مخرجاً، ثم ودعني وانصرف يقصد الحجاز، يقصد جوار بيت الله واسع الكرم، سابغ النعم، دافع النقم.

فإذا كانت مصائب الدنيا كثيرة، وبلاياها متنوعة، فإن أبواب الرحمة ومفاتيح الفرج من الكثرة والوفرة بحيث لا يشملها عد ولايحيط بها حصر، فالشدائد التى لانعلم لها أدعية، فإن الله يلهم أصحابها من الدعوات ما يناسبها، إذا ما صحت النيات، وصدقت العزمات.

فكم لله من لطف خفى ... يدق خفاه عن فهم الذكى

وكم يُسْرٍ أتى من بعد عسر ... فَفَرَّجَ كُربة القلب الشجى

١٢- تفريج كرب أحد المجاهدين

روى الحسن البصرى - رضى الله عنه - أن «عمر السرايا» قد تعرض لضائقة شديدة، وهو يغزو فى بلاد الروم، وبيان ذلك أنه بينما كان نائما ذات يوم إذا برجل من الروم يحركه، فاستيقظ وانتبه، يقول عمر: فوجدت الشر يلمع فى عينيه، وخاطبنى بحدة قائلا: يا عربى، اختر لك لونا من القتال تحبه، فإنى مقاتلك الساعة، فإن شئت أن تكون المبارزة بيننا طعنا بالرماح أو السيوف فلك ذلك، وإن شئت المصارعة فلك ذلك كذلك، فقال عمر: أما المسايفة والمطاعنة فلا طاقة لى بها الآن، ولكننى أرغب أن تكون الجولة بيننا مصارعة، فقبل الرومى المصارعة، وما هى إلا لحظات حتى صرع الرومى عمر السرايا وجلس على صدره، والشر والزهو والانتصار قد جعله يسخر منه، ويقول له: اختر أى قِتْلةٍ أقتلك الساعة، فما كان من عمر السرايا إلا أن رفع رأسه إلى السماء وقال:

«اللهم إنى أشهد أن كل معبود مما دون عرشك إلى قرار أرضك باطل غير وجهك الكريم، قد ترى ما أنا فيه، ففرج عنى يا ألله».

إنها ضراعة مضطر، وصوت محزون مكروب، لم يكن بينها وبين الله حجاب، فلم يلبث عمر السرايا إلا يسيراً حتى جاءه الفرج القريب من الله المجيب، يقول عمر: فأغمى علىَّ لحظة من الزمن، لا أدرى مقدارها، ثم إنى

أفقت بعدها، فإذا بهذا العبء الملقى على صدرى، والكابوس الذى ضيق علىَّ نفسى، إذا بى أجده جثة هامدة صريعاً بجوارى، فأنجانى الله منه.

١٣- تفريج كرب الإمام أحمد بن حنبل - رضى الله عنه

الإمام الورع التقى أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيبانى - رضى الله عنه وأرضاه - واحد من هؤلاء الصفوة، وعلم من هؤلاء الأعلام، وهو واحد من أعلام الفقه الإسلامى والحضارة العربية، فقد وضع للناس مذهبا سنيا جديداً، وأسس مدرسة فقهية شهيرة، ولايزال لهذا المذهب صداه الكبير وشهرته الواسعة فى تاريخ الأمة الإسلامية، ولقد نزل بهذا الإمام شدة وكرب عظيم، فى عهد كل من المأمون والمعتصم والواثق، وهم من خلفاء بنى العباس، وقد استغرقت هذه المحنة عامين ونصف عام، تعرض خلالها الإمام الجليل إلى ما لا طاقة للبشر بمثله، حتى إن أحد علماء عصره - بشر الحافى - ليقول عنه: إن أحمد قد قام فى ذلك مقام الأنبياء. والمحنة وإن كانت تعنى الابتلاء والاختبار والامتحان، فإنها عند كبار العلماء والصالحين والفقهاء المخلصين تعنى الترقية، ورفع الدرجة والرتبة.

يقول عباس بن مشكويه الهمذانى: كنت فى الداز يوم ضرب الإمام أحمد، فلما ضرب السوط الثامن اضطرب المئزر فى وسطه، فرأيته قد رفع رأسه إلى السماء، وحرك شفتيه، فما استتم الدعاء حتى رأينا كفا من ذهب قد خرج من تحت المئزر، فرد المئزر إلى موضعه بقدرة الله، فضجت العامة، وهموا بالدخول إلى دار السلطان، وأمر بحمله وحله من وثاقه، فدخلت عليه، فقلت له: يا أبا عبد الله: بأى شىء كنت تحرك شفتيك عند اضطراب المئزر؟ فقال الإمام: حينما اضطرب المئزر فى وسطى لـم أبال بأى شىء اللهم إلا بالخوف من انكشاف عورتى، وظهور سوأتى أمام الناس، وقد شكل لى ذلك الأمر كربا أنسانى ما أنا فيه من ضرب السياط، فرفعت رأسى إلى السماء وقلت: ياغياث المستغيثين، يا إله العالمين، إن كنت تعلم أنى قائم لك بالحق فلا تهتك لى عورة».

وهنالك استجاب الله دعائى، وأغاث لهفتى، وثبت المئزر فى وسطى، وأدركنى الله بكرامته، وعلمت أنى قائم على الحق مستمسك به.

وقد وردت الأخبار المستفيضة، التى تؤكد أن سر ثبات الإمام أحمد كان مرده إلى بشارة النبى له، فقد جاء رجل أعرابى ونزل بمدينة رسول الله ﷺ فرأى رسول الله ﷺ فى المنام فكلفه بالذهاب إلى أحمد بن حنبل، وقال له: إذا لقيته فقل له: النبى يقرأ عليك السلام، ويقول لك: «إن الله مبتليك ببلية، وممتحنك بمحنة، وقد سألت الله لك الصبر عليها، فلا تجزع».

كما أرسل إليه الإمام الشافعى - رضى الله عنه - من يبشره برؤيا مماثلة لتلك التى رآها الأعرابى، وفى نهايتها يقول له: إنك ستمتحن وتختبر فلا تُجِبْهم يرفع الله لك علما إلى يوم القيامة.

١٤- تفريج كرب موسى الكاظم بن جعفر الصادق

لقد حكى ابن خلكان أن موسى الكاظم بن جعفر الصادق - رضى الله عنهما - قد حدثت له شدة فى زمن الرشيد وبسببه، وتم سجنه ظلما، فلما اشتد ضيقه، وتأزمت أحواله، إذا بالخليفة يجد فى منامه شخصا حبشيا أسود بيده حربة عظيمة، ويقول له: يا هارون إن لم تترك العسف والجور، وترفع الظلم عن موسى بن جعفر، بل وتفرج عنه فى هذه الليلة، فإنى سأتحرك بهذه الحربة لتموت لتوّك، فما كان منه إلا أن استدعى أحد أعوانه فى تلك الليلة، وأمره أن يذهب إلى موسى بن جعفر فيخلى عنه، ويعطيه ثلاثين ألف درهم، ويقول له: إن أحببت المضى إلى المدينة المنورة فأنت وشأنك، وأصلح الله لك، وإن أحببت المقام عندنا فلك ما تحب.

فذهب صاحب الرشيد إلى موسى بن جعفر وأخبره بما أمره به الرشيد، وأخبره قائلاً: لقد رأى الأمير من أمرك الليلة عجبا، وأخبره بما كان من أمر

الرشيد، ثم طلب منه أن يوضح له حقيقة هذا الموقف إن كان يعلم له توضيحاً، فقال موسى: إنى أخبرك بقصة هذا الرجل الذى جاء الخليفة، إنك تعلم أنه قد اشتد ظلمى، فلما ضاقت بى السبل، واستأت كثيراً لما حصل لى، فنمت مهموماً مغموماً، فرأيت رسول الله ﷺ فى منامى، فقال لى: ياموسى قل هذه الكلمات، فإن قلتها يفرج الله عنك ما أنت فيه فى هذه الليلة، فقلت: وما هى يارسول الله؟ فقال: قل: **«يا سامع كل صوت، وياسابق كل فوت، ويا كاسى العظام لحما ومنشرها بعد الموت، أسألك بأسمائك العظام، وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون، الذى لم يطلع عليه أحد من المخلوقين، يا حليما ذا أناة لايقدر على أناته أحد، ياذا المعروف الذى لاينقطع معروفه أبداً، ولا يحصى له عددًا، أفرج عنى»**.

وقد رَدَّدْتُ هذا الدعاء مرارًا، فلم ألبث إلا كما رأيت وأخبرت، فلله على ذلك عظيم الحمد والمنة، وله وحده الشكر فى حالى الرضا والغضب.

* * *



الباب الرابع

تفريج كروب الآلام والأمراض


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد شاءت إرادة ربنا - تبارك وتعالى - أن يختبر بعض عباده بألوان من الآلام، وأنوع من الأمراض والأسقام، التى تتفاوت درجتها، وتختلف حدتها من فرد لآخر، وفى زمن دون غيره، فمن ذلك الوعكات الصحية التى تلم ببعض الناس، إلى الضعف العام والهزال، هذا فضلا عن الإصابة ببعض الأمراض الخاصة، كالحمّى والحروق والصداع وآلام الضرس واحتباس البول، وفقوء العين وبتر أحد الأعضاء، وما إلى ذلك من الاضطراب على الدابة، ونحوها من وسائل المواصلات، وكذلك الأمراض النفسية والسحر، وما إلى ذلك.

وقد أردت أن أضع فى هذا الباب أنماطا من الحالات التى تعرض أصحابها لأنواع من هذه الشدائد الصحية، فاستعانوا على دفعها باللجوء إلى الله والضراعة إليه مع أخذهم بالأسباب العلاجية إذا توفرت لديهم، حتى يكون فى تقديم هذه النماذج ما يعين على استخدام الأدعية التى استخدمت فيها للتغلب على تفريج كروب هذه الأمراض والعلل، مع التنبيه على أن هذه الحالات لاتقتصر على آحاد الناس، وإنما تمتد لتشمل الأنبياء والمرسلين كذلك، وذلك من منطلق بشريتهم، ثم يأتى تفريجها على حسب الصلة بالله والقرب منه سبحانه.

وسنتناول هذه الموضوعات على النحو التالى:

أولاً : النظرة (العين) :

النظرة أو العين لون من ألوان الأمراض التى تلحق ببعض الأفراد من جراء نظرة إنسان آخر يطلق عليه (العائن)، وهى من الأمور التى تعتمد فى تأثيرها على عمل الشح النفسى، وحسد الناس على ما آتاهم الله من النعم، سواء

أكانت النعم مادية كالصحة والعافية وسلامة الحواس، أم كانت معنوية كالذكاء والفهم، وما إلى ذلك من هذه النعم التى يتفضل الله بها على بعض خلقه، والعين أو النظرة تؤثر تأثيراً حقيقيا فى المنظور، وعن تأثيرها يقول النبى الكريم ما ثبت فى الصحيحين وغيرهما عن أبى هريرة - رضى الله عنه - «**العين حق، ولو كان شىء يسابق القدر لسبقته العين، وإذا استُغْسِلْتُمْ فاغسلوا**».

كرب العين التى أصابت سَهْل بن حُنَيْف

لقد تعرض الصحابى الجليل سهل بن حنيف - رضى الله عنه - إلى كرب شديد تمثل فى إصابته بنظرة حادة من عامر بن ربيعة، وقد وقعت أحداث هذه الشدة على نحو ما أخرجه الإمام النسائى والحاكم فى المستدرك من حديث عامر ابن ربيعة قال: «خرجت أنا وسهل بن حنيف نلتمس الْخَمَرِ (مايُتَّخَذ سُتْرةً من شجر أو نحوه) فكان أحدنا يستحى أن يتجرد وأحد يراه، فاستتر صاحبى، حتى إذا رأى أن قد فعل (أى حتى غلب على ظنه أن صاحبه لن يراه) نزع جبة صوف عليه، فنظرت إليه فأعجبنى خَلْقُه، فأصبته بعينى، فأخذته قعقعة، فدعوته فلم يجبنى، فأتيت النبى ﷺ فأخبرته، فقال: قوموا بنا، فرفع عن ساقيه حتى خاض إليه الماء، وكأنى أنظر إلى وَضح ساق النبى ﷺ فضرب صدره (أى صدر سهل) ثم قال: بسم الله، اللهم أذهب حرها وبردها وَوَصَبَهَا، ثم قال: قم بإذن الله - تعالى - فقام، ثم قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو أخيه شيئاً يعجبه فليدع بالبركة، فإن العين حق**»[1].

القعقعة: صيحة شديدة صدرت من سهل بن حنيف إثر هذه النظرة، وفقد النطق بعدها.

ولقد فرج الله عن سهل كربه هذا ببركة الرقية التى رقاه بها رسول الله ﷺ فالرقية مشروعة بالقرآن والسنة، ومن الأمور المشروعة لدفع العين والنظرة أن يغتسل العائن فى ماء يأخذه المنظور، وكيفية ذلك أن يأتى العائن بقدح فيه ماء،

(١) أخرجه النسائى وهذا لفظه، والحاكم، وابن ماجه، وأحمد فى مسنده.

فيدخل كفيه فيه، فيتمضمض ثم يمجُّه فى القدح، ثم يغسل المنظور بهذا الماء وجهه ويديه ومرفقيه وقدميه وركبتيه، ثم يصب على داخلة إزاره، ثم يصب ما بقى على رأس المنظور من الخلف صبة واحدة، فإنه يبرأ بإذن الله؛ وما ذلك إلا لأن العين الشريرة جذوة من النار، وتتبع هذه المواضع بصب الماء عليها، فلا تلبث هذه النار أن تنطفىء بإذن الله.

ثانياً : الحمَّى

الحمى: لون من ألوان الأمراض التى يتعرض لها كثير من الناس، والحمى تعنى ارتفاع درجة حرارة جسم الإنسان عن معدلها الطبيعى وهو ٣٧ْم، وتنتج الحمى عن الإصابة ببعض الميكروبات المعدية كنتيجة لمقاومة كرات الدم البيضاء بجسم الإنسان لها، هذا فضلا عن أسبابها العديدة؛ ولهذا فإنه يطلق عليها جميعا الحميات، وللحمى تأثير ضار وخطر على الدماغ أو المخ، وهو المركز الرئيسى للتحكم والسيطرة بالنسبة للجهاز العصبى، وحينما تشتد الحمى فإن المريض لايلبث أن يهذى فى أقواله، ولذلك فإن العمل على تخفيض هذه الحرارة يصبح أمراً هاما، وإذا كان علاج الحمى فى هذه الآونة التى تقدم فيها الطب قد أصبح أمراً ميسوراً، والأخذ به أمر ضرورى وواجب، فمع هذا ماتزال الاستعانة بالله فى دفعها عند نزولها أمراً يجب الأخذ به والمصير إليه؛ ذلك لأنّه مع هذا التقدم العلاجى فإن الحمى تشكل أضراراً تفضى - فى بعض الأحيان - إلى الموت والوفاة، وبخاصة فى تلك الحالات التى لايتم التعرف فيها على الكائن الممرض والمسبب لهذه الحمى.

١ - الحمى التى أصابت النبى ﷺ :

لقد أخرج ابن السنى، والطبرانى عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أنه دخل هو وأبو بكر على النبى ﷺ وبه حمى شديدة، فلم يرد عليهما، فخرجا من عنده، فأرسل إليهما النبى ﷺ من يقول لهما: «**إنكما دخلتما على، فلما خرجتما من عندى نزل الملكان، فجلس أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى،**

فقال الذى عند رجلى: ما به؟ فقال الذى عند رأسى: حمى شديدة، فقال الذى عند رجلى: عَوِّذْهُ، فقال: باسم الله أرقيك، والله يشفيك، من كل داء يؤذيك، ومن كل نفس حاسدة، وطرفة عين، والله يشفيك، فما نفث ولانفخ، وكشف ما بى، فأرسلت إليكما لأخبركما».

وبهذا فرج الله هَمَّ نبيه ﷺ وعافاه من تلك الحمى التى ألمت به، وهذه رقية مباركة طيبة موفية بالغرض.

٢- السيدة عائشة - رضى الله عنها - ودفع كرب الحمى:

لقد أصيبت السيدة عائشة - رضى الله عنها - بحمى شديدة، أوصلتها إلى مرحلة الضجر والألم؛ حتى أنها أخذت تسب الحمى، فدخل عليها النبى ﷺ وهى على هذه الحال، وقد روى لنا الإمام البيهقى عن أنس - رضى الله عنه - قال: دخل رسول الله ﷺ على عائشة وهى موعوكة تسب الحمى، فقال: **«لا تسبيها فإنها مأمورة، ولكن إن شئت علمتك كلمات إذا قلتهن أذهبها الله عنك»** فقالت: علمنى، قال: **«قولى: اللهم ارحم جلدى الرقيق، وعظمى الدقيق، من شدة الحريق، يا أم ملدم (نداء للحمى وكنيتها أم ملدم؛ لأنها تستمر وتدوم): إن كنت آمنت بالله العظيم، فلا تصْدعى الرأس، ولا تُنتنى الفم، ولا تأكلى اللحم، ولاتشربى الدم، وتَحَوَّلى عنى إلى من اتخذ مع الله إلها آخر»** وفى لفظ آخر: **«اللهم ارحم عظمى الدقيق، وجلدى الرقيق، وأعوذ بك من فورة الحريق، يا أم ملْدَم: إن كنت آمنت بالله واليوم الآخر، فلا تأكلى اللحم، ولا تشربى الدم، ولاتفورى على الفم، وانتقلى إلى من يزعم أن مع الله إلهاً آخر، فإنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله».**

يقول أنس - رضى الله عنه - : **«فقالتها فأذهب الله عنها ما تجد».**

وبهذا فقد فرج الله عنها هذه الشدة، ببركة استجابتها لله ولرسوله. ولما كانت الإصابة بالحمى يتكرر حدوثها لكثير من الناس، وفى معظم البيوت، فقد أراد النبى ﷺ أن يقدم للأمة هذه الدعوات المباركات، من خلال توجيهه للسيدة

عائشة - رضى الله عنها - وقد كان من الممكن أن يدعو لها بالشفاء، وهى الأثيرة إلى نفسه، الحبيبة إلى قلبه، وأبوها خير صاحب وخير صديق، ولكنه فضل أن تأتى المناجاة من صاحب الشكوى، فذلك أبلغ فى القبول، وأسرع فى الإجابة؛ لأن الإنسان إذا كان فى ضيق وشدة فإن لهجته مع ربه لاشك تتسم بالصدق، فهو يتوجه إلى بارئه وخالقه بكل خلجة من خلجات نفسه، وبكل خلية من خلايا جسده، مع ملاحظة أن يكف الإنسان عن سب الحمى وسب أى مرض؛ ذلك لأن هذه الأمراض، وتلك الأوجاع مأمورة ومرادة لله، فالله لايجرى فى ملكه إلا ما يريد، فما أعظم هذا الهدى النبوى المبارك الذى بين فيه الرسول ﷺ للمؤمن كل نافع وكل مفيد؟!!.

٣- تعرض النبى ﷺ للشياطين ليلة الإسراء والمعراج:

إذا كان آحاد الناس يتعرضون لفتن الشياطين وشرورهم صباح مساء، فإن رسول الله ﷺ قد تعرض منهم لما هو أشد وأقسى، ففى موطأ الإمام مالك: يقول النبى ﷺ: «**رأيت ليلة أسرى بى عفريتا من الجن يطلبنى بشعلة من نار، كلما التفت رأيته**» وأخرج النسائى: أن النبى ﷺ قال: «**إن عدوَّ الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله فى وجهى**».

ومن بين هذه المواقف، تلك الهجمة الشيطانية التى تعرض لها النبى ﷺ فى إحدى الليالى؛ حيث كادته الشياطين، فتحدرت عليه من الأودية والشعاب المحيطة، وكان من بين هذه الشياطين شيطان عَاتٍ مارد، بيده شعلة من نار، يريد أن يحرق بها وجه النبى ﷺ وهنا اشتد الكربُ برسول الله، فجاءه الفرج القريب من الله المجيب؛ فقد أهبط الله جبريل وقال: يامحمد: قل، قال: ماذا أقول؟ قال: قل: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقًا بخير يارحمن**» فقال النبى ذلك فأطفأ الله نارهم، وهزمهم، فارتدوا على أدبارهم خاسرين.

فإذا كانت الشياطين قد تعرضت للنبى بهذه الضراوة والشراسة، فلاشك فى أنها تجرى منا مجرى الدم فى العروق، تزين وتسوف، وتغرى بالتمرد والتطاول والعصيان، فإن علينا أن نأخذ منها جانب الحيطة والحذر، حتى لاتفسد علينا أعمالنا وأحوالنا، وبالتالى تفسد علينا دنيانا وأخرانا، علينا بالمداومة على ذكر الله، فذكر الله يصرعها.

ولنعلم أيضا أن الشيطان وإن كان قد خلق من مارج من نار، فإن هيئته النارية هذه قد تغيرت، فكما أن الإنسان مخلوق من الماء والطين، وقد تغيرت طبيعة هذه المواد، فالشيطان كذلك، ودليلنا على هذا من واقع الأحاديث التى أشرنا إليها هنا، إن الشيطان لو كان باقيا على ناريته التى خلق عليها لما كان فى حاجة إلى اصطحاب شُعْلة من النار، وإنما يكفى أن يمد يده إليه فيؤثر فيه، وأيضا يوم أمسك النبى بالشيطان الذى أراد أن يفسد صلاته قال: «**إنى لأجد برد لعابه**».

٤- وعكة صحية ألمت بسيدنا عثمان بن عفان - رضى الله عنه -

أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضى الله عنه - صحابى جليل، يربطه برسول الله ﷺ رابطة قوية؛ حيث يلتقى نسبهما فى «عبد مناف» من جهة أمه ومن جهة أبيه، دخل الإسلام مبكراً، وتزوج «رقية» كريمة رسول الله ﷺ فلما توفيت زوجه النبى ﷺ أختها. . «أم كلثوم» فلذلك كان يكنى «ذا النّورين»، ولم يعلم أن أحداً من الناس تزوج ابنتى نبى سوى عثمان بن عفان - رضى الله عنه - فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن عثمان قال لما ماتت امرأته بنت رسول الله ﷺ: بكيتُ بكاء شديداً، فقال رسول الله ﷺ: «ما يبكيك؟» قلت: أبكى على انقطاع صهرى منك، فقال ﷺ: «**هذا جبريل يأمرنى بأمر الله - عز وجل - أن أزوجك أختها**» وكان النبى ﷺ يحبه حبّاً شديداً، ويوصى رقية به خيراً، فعن أبى هريرة قال: دخلت على رقية بنت النبى ﷺ وفى يدها مشط، فقالت: خرج رسول الله من عندى آنفا، رجّلْتُ رأسه (أى صففتها وسرحتها له)

فقال: كيف تجدين أبا عبد الله (أى عثمان)؟ قلت: خير الرجال، قال: «**أكرميه؛ فإنه من أشبه أصحابى بى خلقاً**» رواه البغوى.

وكـان عثمان حيياً كريمـاً، تستحـى منـه الملائكـة، وبشره النبى ﷺ بالجنـة.

ولقد تعرض هذا الصحابى الجليل لوعكة صحية ألمت به، فماذا يصنع؟ والطب فى بدايته آنذاك؟ لقد كان النبى ﷺ يزوره فى بيته، ويعوده ويتفقد أحواله، فلما زاره النبى ﷺ فى هذه الوعكة أشفق عليه، وشرع يعوذه بشىء من الدعاء النبوى المبارك، وفى هذا الشأن، وفى تلك الواقعة يروى لنا الإمام البيهقى بسنده عن عبد الرحمن السُّلمى عن عثمان بن عفان قال: مرضت مرضاً، وكان رسول الله ﷺ يعوذنى (أى يرقينى بشىء من الدعاء)فعوَّذنى يوماً فقال: «**بسم الله الرحمن الرحيم، أعوذُك بالأحد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ومن شر ما تجد» فَبَرأتُ فشفانى الله، فلما شفانى الله قال لى رسول الله ﷺ: «يا عثمان تعوَّذ بهن، فما تعوذتم بمثلهن**».

وبهذا فقد أذهب الله هم عثمان وغمه، وأكد عليه رسول الله أن يتعوذ بالله بهذه الكلمات إذا حزبه أمر؛ إشارة إلى أهميتها، وأنها من أفضل ما تعوذ به المتعوذون، وإذا كانت هذه الدعوات قد آتت ثمارها الطيبة عند صدورها من فم النبى ﷺ فحسب من يتعوذ بها أن يستحضر هذا التذكير النبوى الطيب، لكى يظل عطاؤها موصولا، ولكى يظل خير الله فيها مأمولا.

٥- الورم الذى أصاب رأس أسماء بنت أبى بكر

إن نعمة الصحة نعمة لاتعدلها نعمة، فهى تاج على رءوس الأصحاء لايراه إلا المرضى، فيها وعن طريقها يدرك الإنسان طعم الحياة، ويتحرك فيها ذهابا وجيئة، يقضى حوائجه، ويقوم بواجب عبادة ربه، ويضرب فى الأرض يبتغى من فضل الله، والمرض هو أحد منغصات هذه النعمة ومكدرات صفوها، فإذا ما أحس الإنسان بالمرض وقد بدأ يدب إلى جسده، فإننا نراه وقد اضطربت

موازين فكره وعمله، ويود البرء من علته مهما كلفه ذلك من ثمن وقيمة؛ لكى يعود للحياة بشرا سويا.

ونظرا لما يلاحظ من تفاوت الأمراض من حيث الشدة والخطورة، فإن قلق الإنسان يكون على قدر شدة مرضه، وحينما ننظر إلى أمراض العصر الحالى، فإننا نجد منها نوعا شائعاً يحظى باهتمام الحكومات والهيئات الصحية والطبية قبل اهتمام آحاد الناس، ألا وهو الأورام، سواء أكانت حميدة أم غير حميدة، فحينما يصاب أحد الناس بها ويسمع عنها تتكاثر عليه جيوش اليأس والإحباط، وجحافل المخاوف والهموم، حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا.

ويرجع خوف الناس وهلعهم، بل وفزعهم واضطرابهم عند نزول هذه النوازل، يرجع ذلك إلى تقدم العلوم والمعارف الطبية، إذ أن المعرفة فى مثل هذه الأحوال تكون مكمن الخطر، والتوكل على الله مع الأخذ بالأسباب المادية للعلاج أمر يحصن النفس من غوائل هذه الأخطار، ويجعل الإنسان أكثر قربا من ربه تبارك وتعالى.

ولقد روى ابن السنى من حديث ابن عباس - رضى الله عنهما - أن السيدة أسماء بنت أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - قد أصيبت بورم فى رأسها، فشكت ذلك لرسول الله ﷺ فوضع يده على رأسها من فوق الثياب ثم قال: **«بسم الله، أذهب عنها سوءه وفحشه، بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين عندك، بسم الله»** قال النبى ﷺ ذلك ثلاث مرات، وأمرها أن تقول ذلك، فظلت تقوله ثلاثة أيام، فإذا بهذا الورم قد ذهب، ولم يعد بجسمها منه أى أثر.

فاللهم يامبرىء السقام، ويا شافى الآلام، ويا محيى العظام، أذهب آلامنا، واشف سقامنا، وقونا على طاعتك وعلى ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

ثالثا : كروب الوحشة والأرق:

الوحشة من الحالات النفسية التى تسبب لصاحبها القبض والضيق، وقد تسبقها أسباب تؤدى إليها، كالكسل والفتور فى العبادة، أو التفريط فيها، أو فتور الهمة عند أدائها، وحتى تنجلى عن نفس العبد هذه الغمة، وتزول عنه هذه الظلمة، فلابد من اللجوء إلى الله والعود الحميد للنشاط فى العبادة، وأدائها بهمة عالية.

وفى الحديث الذى رواه أبو هريرة عن النبى ﷺ فيما رواه عن رب العزة-: **«أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه، ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم، وإن تقرب إلى بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعًا، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة»**(١).

ومعنى ذلك كما قال القرطبى - رحمه الله-: معنى ظن عبدى بى، ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن المجازاة الطيبة عند فعل العبادة بشروطها، تمسكا بصادق وعده - سبحانه وتعالى - ويؤيد ذلك ما ورد فى الحديث الشريف: **«ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة»** فالله قد ربط الأسباب بالمسببات، ويقال لذلك: القضاء الأول، الذى هو كلمح البصر، فالذى قدر الخير قدره بسبب، والذى قدر الشر قدره بسبب، وقدر لدفعه ورفعه سببا كذلك.

ومما لاشك فيه أن السنة النبوية حافلة بالأدعية المفيدة فى رفع هذه الحالات النفسية، والكروب القَبْضيّة التى يتعرض لها الناس، ومن ذلك ما رواه أبوهرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«لا حول ولاقوة إلا بالله دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم»**.

---

(١) رواه البخارى.

١- تفريج كرب الوحشة الذى أصاب الأعرابى

أخرج ابن السنى والطبرانى عن البراء بن عازب - رضى الله عنه - أن رجلا شكا إلى النبى ﷺ الوحشة، فقال له: «**أكثر من أن تقول: سبحان الملك القدوس، رب الملائكة والروح، بالعزة جللت السموات والأرض**» فقالها الرجل فأذهب الله عنه الوحشة.

٢- تفريج كرب الأرق الذى ألم بخالد بن الوليد

أخرج النسائى والحاكم فى حديث صحيح الإسناد، جاء فيه: كان خالد بن الوليد رجلا يُفَزَّعُ فى منامه، فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال له: إنى أُرَوَّعُ فى منامى، فقال له النبى ﷺ: «**إذا فَزِعَ أحدكم أو وجد وحشة أو أرقاً فليقل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون**» وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يلقنها من عقل من ولده، ومن لم يعقل كتبها له فى صك ثم علقها فى عنقه، لأن النبى علمه إياها إذا فزع من نومه.

وقد أخرج الطبرانى فى الكبير، أن خالداً لما شكا إلى النبى ﷺ هذا الذى يجده فى منامه من الفزع علمه ما علمه جبريل: «**أعوذ بكلمات الله التامات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ فى الأرض، وما يخرج منها، ومن شر فتن الليل وفتن النهار، ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يارحمن، اللهم رب السموات السبع وما أظلت، ورب الأرضين وما أقلت، ورب الشياطين وما أضلت، كن لى جاراً من شر خلقك أجمعين، أن يفرط على أحد منهم، أو أن يطغى، عز جارك، وتبارك اسمك**» فقالهن فنام.

٣- تفريج كرب العباس بن عبد المطلب - رضى الله عنه -...

من الأمور النفسية التى لايستطيع الإنسان التخلص منها: الشعور بمرارة الذنوب التى ارتكبها فى فترة من فترات حياته، ثم مَنَّ الله عليه بالتوبة منها،

فبالرغم من تأكيد الله بقبول توبة التائبين المخلصين، إلا أن هذه الخواطر تظل تخامر نفوس العصاة والمذنبين.

ولقد تعرض الصحابى الجليل سيدنا العباس بن عبد المطلب لكرب من هذا القبيل، حتى بعد أن أسلم وحسن إسلامه، وحتى مع علمه بقول النبى ﷺ: «**الإسلام يهدم ما كان قبله**» أى: يهدم ما كان قبله من المعاصى والذنوب، ولقد تمثل هذا الكرب وتلك الشدة التى ألمت بالعباس فى تفكره فيما كان منه أيام الجاهلية من ربا ومعاصٍ، فظلت هذه الأمور تطارده حتى أقضت مضجعه، وأسهرت عينه، وشرد على أثرها ذهنه، فضاقت عليه الأرض بما رحبت، وظن أنه ما لهذه الكربة من كاشف أو صارف إلا الله.

ولقد أخرج الطبرانى فى الكبير، وأبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: جاء العباس إلى النبى ﷺ فى ساعة لم يكن يأتيه فيها، فقيل: يارسول الله، هذا عمك العباس على الباب، فقال: «**ائذنوا له فقد جاء لأمر**». فلما دخل عليه قال: **ما جاء بك ياعماه هذه الساعة؟** قال: يا ابن أخى ذكرت الجاهلية وجهلها، فضاقت علىَّ الدنيا بما رحبت، فقلت: من يفرج عنى؟!! فعرفت أنه لا يفرج عنى أحد إلا الله ـ تعالى ـ ثم أنت يارسول الله، فقال النبى ﷺ: **الحمد لله الذى أوقع هذا فى قلبك** ـ أى: الحمد لله الذى جعلك تفكر هذا التفكير، فتعلم أن الكاشف لكل شدَّةٍ هو الله، والمرشد إلى تفريج الكرب هو رسول الله ـ «**أحْبُوكَ؟**» أى: أعطيكَ هدية، وأرشدك إلى عمل صالح؟ قال: نعم. قال: أعطيك؟ قال: نعم. ثم أخذ النبى يشرح له عملا عِبَادِيًّا يفرج الله به عنه هذا الكرب، فقال: **فإذا كانت ساعة يُصَلَّى فيها ليست بعد العصر ولا بعد طلوع الشمس، فيما بين ذلك فأسبغ طهورك، ثم قم إلى الله - عز وجل - فاقرأ بفاتحة الكتاب، وسورة إن شئت جعلتها من أول المفصل، فإذا فرغت من السورة فقل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر - خمس عشرة مرة - فإذا ركعت فقل ذلك عشر مرات، فإذا رفعت رأسك فقل عشر مرات،**

فإذا سجدت فقل ذلك عشر مرات، فإذا رفعت رأسك فقل ذلك عشر مرات، فإذا سجدت فقل ذلك عشر مرات، فإذا رفعت رأسك فقل ذلك عشر مرات، فإذا رفعت رأسك وجلست فقل عشر مرات، فهذه خمس وسبعون، ثم قم فارفع ركعة أخرى فاصنع فيها ماصنعت فى الأولى، ثم قل قبل التشهد عشر مرات، فهذه مائة وخمسون، ثم اركع ركعتين أخريين مثل ذلك، فهذه ثلاثمائة، فإذا فرغت ولو كانت ذنوبك مثل عدد نجوم السماء محاها الله - تعالى - وإن كانت مثل رمل عالج، وإن كانت مثل زبد البحر. فإن استطعت فَصَلِّهَا فى كل يوم مرة، فإن لم تستطع ففى كل جمعة مرة، فإن لم تستطع ففى كل شهر مرة، فإن لم تستطع ففى كل سنة مرة مادمت حيا».

ولقد تمثل تفريج كرب هذا الصحابى الكريم فيما كان من إذهاب الله عنه هذه الحالة النفسية السيئة، حتى من قبل أن يصلى هذه الصلاة التى أشار عليه النبى بها، فقال: فرَّج الله عنك كما فرجت عنى يابن أخى، فقد سَوَّيْتَ ظهرى.

ويعقب الإمام السيوطى على هذه الواقعة بما قاله الإمام أبو عثمان الحميرى الزاهد: «ما رأيت للشدائد والغموم مثل صلاة التسابيح».

وبهذا تتضح لنا أهمية هذه الصلاة فى تفريج الكروب، وأن النبى ﷺ إنما يرشد الأمة إلى ما فيه كل الخير والصلاح، بَلْهَ المكروبين، الذين يلتمسون طريق الهدى والخير.

رابعاً :الصرع ومس الجان.

إن النفس البشرية عرضة للكثير من التقلبات والتغيرات؛ ذلك لأنها جوهر لطيف، يطرأ عليها من أسباب الصحة والعافية ما يجعلها تحلق بصاحبها فى أجواز الفضاء، أما إذا طرأت عليها عوامل الضعف، وألمَّتْ بها الخطوب، فإنها تقعد بصاحبها عن طِلاَبِ المعالى، فلا يلبث أن ينطوى وأن ينزوى، فلا تراه إلا حزينا كاسف البال، وحينئذ فإن كروبه وشدائده تنوء بحملها شُمُّ الجبال، فإن أدركه الله بلطفه وبرحمته مَنَّ عليه بأسباب الخلاص على أيدى عباده الصالحين

وإلا فإنه يقع فريسة للسحرة والمشعوذين الذين يجرونه إلى أودية الضلال، ويسحبونه سحباً إلى مواطن الخبال، ومن عجب أنه قد تفشت هذه الأمور بين كثير من أهل هذا الزمان، حتى اختلط الحابل بالنابل، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

والصرع، واللمم، ومس الجان هى ألوان من الأمراض النفسية والروحية التى تحدث لبعض الأشخاص، وقد تحدث لهم بصورة طبيعية، أى كنتيجة لبعض الأمراض الأخرى التى يتعرضون لها، وقد تحدث لهم بصورة متعمدة، كما فى حالات السحر التى يقوم بها أراذل الناس، ممن يستهويهم الكسب الخبيث، ويثلج صدورهم إلحاق الأذى والضر بالآخرين، كما قد يكون الباعث على ذلك الحقد والحسد للمسحور، ولقد سحر اليهودُ نبينا سيدنا محمداً ﷺ بدافع من حسدهم له.

ومن أنجح وسائل علاج هذه الحالات جميعاً التداوى بالرُّقَى القرآنية، فللقرآن الكريم أسرار وأنوار لا يعلمها إلا الله - تعالى - والأدعية القرآنية جليلة النفع عظيمة الفوائد، ففيه الشفاء الروحى والبدنى، فالقرآن الكريم هو الكتاب الذى يستطيع أن يغير القلوب، وأن ينهج بالضمائر والأنفس نحو الاستقامة الصحيحة، ويقودها إلى الخير بقوة خفية، وكيف لايكون القرآن كذلك، وهو مأدبة الله الحافلة بأطايب الخيرات؟! فالله - عز وجل - أكرم وأعز من أن يرد سائلا وقف ببابه، وَلاَذَ برحابه، أو أن يُرجع يداً امتدت إليه بالسؤال صفراً خائبة، فخذ من مأدبة الله ما شئت لما شئت والله هو المستعان.

ولقد عرف سلف الأمة لهذا الكتاب العزيز حرمته ومكانته، فتناصحوا فى الدعوة إلى الاهتمام به، فهذا هو الحسن بن على - رضى الله عنهما - يقول: **«إن مَنْ كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها بالنهار»** ويقول عبد الله بن مسعود: **«ينبغى لحامل القرآن أن يُعْرَفَ بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مُفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون،**

وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون». ويقول الصادق المصدوق ﷺ فى الحديث الذى رواه أبو هريرة وأخرجه ابن ماجه والحاكم: «**العسل شفاء من كل داء، والقرآن الكريم شفاء لما فى الصدور، فعليكم بالشفاءين العسل والقرآن**».

وعليه فلقد كان سلف الأمة يستغنى بالقرآن عن كل ما سواه، فقد وجدوا فيه أنس النفوس، وسكينة القلوب، فعاشوا معه، وبه، وله، فسعدوا فى الدنيا والآخرة، والأدعية القرآنية جليلة النفع، عظيمة الفائدة، جربها كثير من المكروبين من سلف الأمة وخلفها ففتح الله لهم أبواب رحمته الواسعة بمفاتيح فرجه القريب؛ ذلك لأنهم أحسنوا الثقة فى الله، وصح اعتقادهم فى بركة القرآن، وصدق ربنا الكريم إذ يقول: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾[1].

ونقدم لك أيها القارئ العزيز بعض النماذج لهذه الحالات فيما يلى :

١- تفريج كرب السحر الذى تعرض له النبى ﷺ

لقد تعرض النبى ﷺ للكثير والكثير من كيد اليهود له، فقد أرادوا النيل منه عن طريق النظرة الحاقدة، التى برعوا فيها، وَبَزّوا فيها سائر خلق الله حتى الشياطين، وهو ما سجله القرآن الكريم عليهم فى قوله الله - تعالى - : ﴿ **وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ**﴾[2] كما حاولوا النيل منه عن طريق السحر كذلك، فقد ثبت فى الصحيح من حديث عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت: سَحَرَ رسول الله رجلٌ من بنى زريق يقال له: لبيد بن الأعصم؛ حتى كان رسول الله ﷺ يُخَيَّلُ إليه بفعل الشىء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو

---

(١) سورة الإسراء : ٨٢.

(٢) سورة القلم : ٥١ ، ٥٢.

عندى، لكنه دعا ودعا، ثم قال: «**ياعائشة أشَعرْت أن الله أفتانى فيما استفتيه فيه؟ أتانى رجلان، فقعد أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجَعُ الرجل؟ فقال: مَطْبوب، قال: مَنْ طبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: فى أى شىء؟ قال: فى مُشْط ومُشَاطة وجُفِّ طلع نخلة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: فى بئر ذَرْوَان**» فأتاها رسول الله ﷺ فى ثلاثة من أًصحابه، (هم على والزبير وعمار بن ياسر) فنزحوا ماءها، فجاء فقال: «**ياعائشة: كَأَنَّ ماءَها نقاعةُ الحناء، وكأن رءوس نخلها رءوسُ الشياطين، قلت: يارسول الله أفلا استخرجته؟ قال: قد عافانى الله فكرهت أن أثير على الناس فيه شرا، فأمر بها فدفنت**».

وفى رواية عبد الله بن عباس: «أن الصحابة الذين كانوا مع النبى ﷺ نزحوا ماءها ثم رفعوا الصخرة، وهى الراعوفة، أى الصخرة التى تترك أسفل البئر ليقوم عليها الماتح، وأخرجوا الجفّ، فإذا مشاطة رأس إنسان، وأسنان مشط، وإذا وتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة مغرزةٌ بالإبر، فأنزل الله - تعالى - المعوذتين، وهما إحدى عشرة آية، على عدد تلك العقد، وأمر أن يتعوذ بها، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد النبى ﷺ خفَّةً، حتى انحلت العقدة الأخيرة، فكأنما أنشط من عقال، وقام ليس به بأس، وجعل جبريل يَرْقِى النبىَّ ويقول: باسم الله أرقيك، من كل شىء يؤذيك، من شر حاسد وعين، الله يشفيك».

وبهذا قد فرج الله كرب نبيه ﷺ ورد كيد أعدائه إلى نحورهم، فمن جملة الأحاديث الواردة بهذا الخصُوص يتضح لنا أن هذا الأمر قد شكل لرسول الله ﷺ كربا شديداً، فكل لحظة من حياته توزن بميزان دقيق، ولقد اشتكى من هذا الذى يجده أياماً، ولكن الله لم يكن ليترك رسوله نهبا لهؤلاء الأراذل الأشرار.

٢- تفريج كرب المُبْتَلى فى عقله

روى الإمام ابن السنى فى كتاب عمل اليوم والليلة، بسنده عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - أنه قد أتى برجل مبتلى فى عقله، فى عقله تخليط واضطراب، فما كان من عبد الله بن مسعود إلا أن قرأ فى أذنه شيئا من القرآن الكريم، فلم يكد يفرغ من تلاوته حتى قام الرجل، وقد أعاد الله عليه وعيه واتزانه وثبات عقله، وأفاق مما ألم به، وكأنما نشط من عقال، فلما علم النبى بما فعل ابن مسعود ما كان منه إلا أن استدعاه وسأله قائلا: «**ما قرأت فى أذنه؟**» قال: قرأت قول الله - تعالى - : ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ**﴾[١] فكان أن سُرَّ النبى ﷺ بذلك وقال: «**لو أن رجلا مؤمنا قرأ بها (أى بهذه الآيات) على جبل لزال**».

هذا هو عبد الله بن مسعود، الصحابى الجليل، الذى تتلمذ فى مدرسة النبوة، والذى أخذ القرآن غضاً من فم رسول الله ﷺ والذى كثيراً ما أثنى النبى ﷺ على قراءته القرآن الكريم، ما كان منه - وهو التلميذ النجيب - إلا أن توكل على الله، واعتمد على من لا إله غيره، وقرأ فى أذن هذا المصروع تلك الآيات الكريمات، وهى من آخر سورة المؤمنون، فلم يكد يفرغ من تلاوته هذه حتى شفى المريض، وزالت آلامه، وعاد إليه عقله وأصلح الله حاله، فما كان من النبى ﷺ وقد بلغه هذا الخبر إلا أن أراد أن يستوثق من هذه الرقية القرآنية، فلما أخبره ابن مسعود بما قرأ، ما كان منه ﷺ إلا أن استحسن هذا الاختيار واستصوبه، بل وزاد الأمر وضوحاً وتوضيحاً، حيث بين أسرار هذه الآيات وفضلها، وأنها - بفضل الله تعالى - لو تليت على جبل من الهموم والكروب،

---

(١) رواه البخارى.

أو جبل من الأمراض، أو على جبل من الجبال الشاهقة المعروفة بقصد إزالته لأزالته من مكانه، ولكن ذلك كله مشروط بتقوى القارئ، وقوة يقينه بالله، ومدى ثقته واطمئنانه فى موعود الله - عز وجل.

٣- علاج نبوى لأصحاب الأمراض العقلية

روى ابن السنى بسنده عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن رجل، عن أبيه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إن أخى به وجع، فقال النبى ﷺ: وما وجع أخيك؟ قال: به لمم (أى تخليط فى عقله) فقال له النبى ﷺ: فابعث إلىَّ به، قال: فجاء فجلس بين يدى النبى ﷺ فقرأ عليه النبى: فاتحة الكتاب، وأربع آيات من أول سورة البقرة من قوله تعالى ﴿الٓمٓ﴾ إلى قوله : ﴿يَتَّقُونَ﴾ وآيتين من وسطها، وهما قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[١]، وآية الكرسى ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[٢] وثلاث آيات من آخر سورة البقرة، من قوله تعالى : ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ...﴾[٣]، إلى آخر السورة، وآية من أول سورة آل عمران، وهى ﴿الٓمٓ﴾، وآية ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٤]، وآية من سورة

(١) سورة البقرة، الآيتان : ١٦٣ ، ١٦٤.
(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٥٥.
(٣) سورة البقرة، الآية : ٢٨٤.
(٤) سورة آل عمران، الآية : ١٨.

الأعراف، وهى قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1]، وآية من سورة الجن، وهى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا﴾[2]، وعشر آيات من أول سورة الصافات، من قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾[3] إلى قوله: ﴿إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[4] وثلاث آيات من آخر سورة الحشر، من قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[5]، وقل هو الله أحد، والمعوذتين» فأذهب الله عنه همه وكربه، وعاد عقله إلى سلامته وطبيعته.

فهذه وصفة علاجية نبوية كريمة، قد اشتملت على الكثير من أوجه الحفظ والتحصين، فالقرآن الكريم هو قارورة الدواء لمن أراد الهداية أو الشفاء، فمن نزل به كرب من هذا القبيل، فى نفسه أو فى أهله، أو فى إخوانه، فمن اليسير عليه أن يقصد هذه الصيدلية العظيمة، ويترسم خطى الشفيع الأمين، ويتعاطى هذه الوصفة العلاجية المباركة، فسيجد الله أقرب إليه من حبل الوريد، وأرأف وأرحم من كل الخلائق والعبيد.

---

(١) سورة الأعراف، الآية : ٥٤.
(٢) سورة الجن، الآية : ٣.
(٣) سورة الصافات : ١.
(٤) سورة الصافات: ١٠.
(٥) سورة الحشر : ٢٢-٢٤.

٤- أبو دجانة وكرب الجن فى بيته

الصحابى الجليل سماك بن خَرَشة، وكنيته: أبو دجانة، قد تعرض لكرب عظيم، وخطب جسيم، فقد تعرضت الجن له فى بيته ليلا، ولنصحب الإمام البيهقى فى روايته لهذه الواقعة، هذا فضلا عن كونها قد رويت عن الحافظ الديلمى والإمام القرطبى، فعن أبى دجانة قال: شكوت إلى رسول الله ﷺ أنى نمت فى فراشى، فسمعت صريرا (صوتا) كصرير الرحى، ودويا كدوى النحل، ولمعاً كلمع البرق، فرفعت رأسى فإذا أنا بظل أسود يعلو ويطول فى صحن دارى، فمسست جلده فإذا هو كجلد القنفذ، فرمى فى وجهى مثل شرر النار، فقال لى النبى ﷺ: «**عامر دارك يا أبا دجانة**» أى: هذا الذى رأيته هو الجن الذى يسكن دارك ويعمرها، ثم دعا بدواة وقرطاس، وأمر عليا أن يكتب ما يلى: «**بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول رب العالمين، إلى مَنْ يطرق الدار من العمار، والزوار، إلا طارقًا يطرق بخير، أما بعد: فإن لنا ولكم فى الحق سعة، فإن كنت عاشقا مولعا، أو فاجرا مقتحما، فهذا كتاب الله ينطق علينا وعليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون، ورسلنا يكتبون ما تمكرون، اتركوا صاحب كتابى هذا، وانطلقوا إلى عبدة الأصنام، وإلى من يزعم أن مع الله إلهاً آخر، لا إله إلا هو، كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون، حم لاينصرون، حم عسق، تفرق أعداء الله، وبلغت حجة الله، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم**».

قال أبو دجانة: فأخذت الكتاب، وأدرجته وحملته إلى دارى، وجعلته تحت رأسى، فبت ليلتى، فما انتبهت إلا من صراخ صارخ يقول: يا أبا دجانة: أحرقتنى بهذه الكلمات، فبحق صاحبك، إلا ما رفعت عنا هذه الكلمات، فلا عود لنا فى دارك ولا فى جوارك، ولا فى موضع يكون فيه هذا الكتاب.

قال أبو دجانة: فقلت: والله لا أرفعه حتى أستأذن رسول الله ﷺ ثم يقول أبو دجانة أيضا: فلقد طالت علىَّ ليلتى بما سمعت من أنين الجن وصراخهم وبكائهم حتى أصبحت، فغدوت فصليت الصبح مع رسول الله ﷺ وأخبرته بما

سمعت من الجن ليلتى وما قلت لهم، فقال رسول الله ﷺ: **«يا أبا دجانة: ارفع عن القوم، فو الذى بعثنى بالحق نبيا إنهم ليجدون ألم العذاب إلى يوم القيامة»**.

وبهذا الحرز النبوى المبارك، والتحصين النبوى الشريف، فقد فرج الله كرب أبى دجانة، وأذهب همه وغمه، ورد الله هؤلاء المردة الحاقدين على أعقابهم خاسرين، وحاق بهم سوء فعلهم، وشؤم تطلعهم وغدرهم، حيث أخبر الصادق الأمين: أنهم يجدون ألم العذاب الذى يتعرضون له بسبب ذلك الكتاب إلى يوم القيامة.

فمن رحمة الله بعباده أنه جعل بين كل من عالمى الإنس والجن حدوداً فاصلة، حتى لايؤثر الجن بطبيعته النارية على الإنس محدثا به خللاً وعللاً فى طبيعته الطينية المائية، وإذا حدث وتمردت على الجنِّى نفسه، وأراد إلحاق الأذى بالإنس، فما على الإنس إلا أن يستعيذ بالله من شره، فلا يلبث أن يصرفه الله عنه، بل ويرد كيده إلى نحره.

ونظرا لما أُخبِرْناَ به من أناس تعرضوا لألوان من هذه المضايقات، وصور من هذه المنغصات، فقد أردنا تقديم هذا النموذج بطوله وبتمامه لما فيه من الإجابات الشافية والكافية عن كل التساؤلات المتعلقة بأمثال هذه الحالات، فلقد رأينا كيف تم تفريج كرب هذا الصحابى، فالله يفرج كروب عباده مهما عظمت، وكما يقول العارفون بالله: «اللهم إنه لا كرب وأنت الرب» فمن وجد شيئا من هذه الضائقات المفزعات، فما عليه إلا أن يلوذ بهذا الدعاء المبارك، يكتبه بنفسه لنفسه، ويحفظه فى جيبه أو بيته، أو يقرؤه للسلامة والحفظ على نفسه وأهله وولده، فسيجد فى ذلك إن شاء الله ما يثلج صدره، كما أثلج صدر الصحابى أبى دجانة وأراه مصارع أعدائه.

فاللهم يا من مرج البحرين يلتقيان، وجعل بينهما برزخا لا يبغيان، احفظنا من شر كل ذى شر، وادفع عنا بفضلك ضُرَّ كل ذى ضر، ظاهر أو باطنٍ،

حاضر أو غائب، واضرب علينا سرادقات حفظك، وأيدنا بروح منك، وامددنا بمددك، وأذقنا برد عافيتك، والطف بنا فيما جرت به المقادير.

خامساً: أدعية لأمراض متنوعة

١- دعاء لشفاء ألم الضرس:

الصحابى الجليل **عبد الله بن رواحة**، أحد السابقين الأولين إلى الإسلام من أهل المدينة، وهو أحد نقباء بيعتى العقبة الأولى والثانية، كما كان من أكثر الأنصار عملا على نصرة الدين الإسلامى بعد هجرة الرسول ﷺ ولقد تجلى دفاعه عن دين الله فى إفساد خطط المنافقين المناوئة للإسلام، والتى كان يتزعمها عبد الله بن أُبَىٍّ بن سلول، كما قد آتاه الله ملكة قوية فى إنشاء الشعر وإنشاده، وكان شعره محل اهتمام النبى ﷺ وإعجابه به؛ لأنه كان يوظفه فى خدمة نصرة دين الله، كما كان شعاره فى ساحات القتال:

يا نفس إلا تقتلى تموتى

وقد شهد من المشاهد بدرًا وأُحُدًا والخندق والحديبية وخيبر، وأخيرا غزوة مؤتة، وكان أحد قوادها الثلاثة، وكان يستحث جيش الإسلام بقوله: يا قوم إنا والله ما نقاتل أعداءنا بعدد ولاقوة، ولاكثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة.

وقد توج الله حياته الحافلة بالاستشهاد فى سبيل الله فى هذه الغزوة؛ حتى لقد قال النبى ﷺ لأصحابه، وهو فى المدينة والجيش المقاتل بمؤتة، بأرض الشام من أرض الروم: «**أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيدًا، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً، ثم أخَذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً، ثم قال: لقد رُفِعُوا إلى الجنة**».

ولقد تعرض هذا الأنصارى المغوار لأزمة صحية، اضطر معها إلى إخبار

نوح بن ذكوان عن عبد الله بن رواحة قال: يارسول الله: إنى أشتكى ضرسى، آذانى واشتد علىّ، فقال له النبى ﷺ: «**ادْنُ منى، والذى بعثنى بالحق لأدعون لك بدعوة لا يدعو بها مؤمن مكروب إلا كشف الله عنه كربه**» فوضع رسول الله ﷺ يده على الخد الذى فيه الوجع وقال: «**باسم الله، اللهم أذهب عنه سوء مايجد وفحشه بدعوة نبيك المبارك المكين عندك - سبع مرات - فشفاه الله قبل أن يبرح**» رواه البيهقى - مع زيادة - فى دلائل النبوة.

وبهذا الدعاء المبارك والرقية النبوية الكريمة فرج الله شدة عبد الله بن رواحة، تلك الشدة التى كان يعانيها؛ حتى إنه قد شفى من مرضه، وبرئ من علته قبل أن يبرح مكانه الذى كان يجلس فيه مع النبى ﷺ فمن أراد الاستشفاء ببركة هذا الدعاء فليتقيد بعبارته أولا، ثم ليتقيد بالعدد ثانيا؛ ذلك لأن هذه الأدعية بمثابة تذكرة الدواء التى يتقيد فيها بجرعات العلاج، ومما يؤيد ذلك ما أورده البيهقى فى دلائل النبوة كذلك عن الورم الذى أصاب رأس أسماء بنت أبى بكر، فدعا لها النبى بهذا الدعاء، ولكنه كرره ثلاثا، وفيه يقول أبو الفضل: يصنع ذلك عند حضور الصلوات المكتوبات، يقولها وترًا ثلاثا.

٢- شفاء مَسْلَمَة بن عبد الملك من الصداع

مسلمة بن عبد الملك بن مروان، أحد أمراء بنى أمية الأبطال شجاعة وإقداماً، وسداد رأى ودهاء، وقد سار فى مائة وعشرين ألف مقاتل لغزو القسطنطينية فى خلافة أخيه سليمان بن عبد الملك، ولما بلغ مدينة عمورية انتابه صداع شديد، توقف عن القتال بسببه، وقدا ستشعر بِحِسِّه العسكرى، وسابق خبرته القتالية، أن وصول هذه المعلومة (معلومة مرضه) إلى العدو قد يحدث خللا فى صفوف جنده، فضلا عن محاولة تعديل الأعداء لخططهم بناء على ذلك؛ ولذلك فإنه قد اجتهد فى الحصول على أسباب الشفاء، عن طريق الدعاء، ولقد تمثل تفريج كربه فى قراءة هذه الآيات القرآنية على النحو التالى:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾[١] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ ﴾[٢] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾[٣] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم (١) عسق ﴾[٤] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[٥] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾[٦] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[٧] فشفاه الله ـ تعالى ـ وواصل مهمته المقدسة.

٣ـ رَدُّ عَيْنِ قتادةَ بنِ النعمان

لقد شاءت إرادة الله ـ تعالى ـ للرعيل الأول من الصحابة والتابعين ومن تلاهم من الأجيال الخيرة، شاء الله لهم أن يتسنموا ذُرَا المجد، وأن يتقلدوا أرفع أوسمة الفخار فى دنيا البطولة والعزة والإباء، بما ضربوه للدنيا من أروع الأمثلة فى التضحية والفداء، مما أبان عن طيب معدنهم، وأفضلية عنصرهم، فَعَلَوْا على الصعاب، حتى إنهم استعذبوا التعذيب، ولقد كلفهم ذلك كله بذل النفس والنفيس، فبذلوا كل مرتخص وغال، طمعاً فى الفوز بموعود الله من الخير العظيم والأجر العميم، فخرجوا من الكروب والمحن متقلدين أوسمة السرور والمنح، مما أصبح حديثا ترويه عنهم الدنيا من بعدهم، فمنهم من اختبر بفقد الأهل والولد، ومنهم من جاءته الشدائد مُيَمِّمَةً نحوه فى خاصة نفسه،

(١) سورة البقرة، من الآية : ١٧٨.
(٢) سورة الأنفال، من الآية : ٦٦.
(٣) سورة النساء، من الآية : ٢٨.
(٤) سورة الشورى : ١، ٢.
(٥) سورة البقرة، من الآية : ١٨٦.
(٦) سورة الفرقان، من الآية: ٤٥.
(٧) سورة الأنعام، من الآية: ١٣.

على أى نحو من الأنحاء، ولكن ذلك كله وغيره معه تحطم أمام عقيدتهم الثابتة، التى حفظها الله عليهم من أى شائبة شك أو زيغ أو نفاق، فكانوا كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ **فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾[1].

والصحابى الجليل قتادة بن النعمان ـ رضى الله عنه ـ واحد من هذه النماذج الفريدة، التى يأتلف منها عقد هؤلاء الأصحاب، فقد كان حبه لرسول الله ﷺ يستولى على مجامع قلبه، حتى إنه كان لايتحمل أن يصاب رسول الله ﷺ أمامه بأى سوء مهما كان ذلك يسيرًا، شأنه فى ذلك شأن أصحاب القلوب الكبيرة، التى تربت على الحق، وترعرعت فى أحضان عقيدة التوحيد الخالص، الذى انتشر سناه فى الخافقين، فتراءت لهم به جنات النعيم، فلقد شاءت له الأقدار أن تُفْقَأَ إحدى عينيه يوم معركة أحد، وبعد أن ترك الرماة مواقعهم مخالفين بذلك توجيهات النبى الكريم، ويصف لنا الصحابى الجليل قتادة بن النعمان الوقائع التى سبقت تلك الشدة فيقول: أهدى إلى رسول الله ﷺ قوس فدفعها لى يوم أحد، فرميت بها حتى اندقت سِيَتُها، ولم أزُل عن مقامى (أى لم أترك موقعى الذى أنا فيه بعد أن أصبحت بلاسلاح) فوقفت بوجهى نصب وجه رسول الله ﷺ ألقَى السهام بوجهى، كلما مال سهم منها إلى وجه رسول الله ميَّلت وجهى ورأسى لأقِىَ وجه رسول الله ﷺ بلا رمى أرميه، فكان آخرها (أى آخر هذه السهام) سهمًا نَدَرَتْ (أى سقطت عينى من محجرها) منه حدقتى على خدى، وافترق الجمع، فأخذت حدقتى بكفى، فسعيت بها فى كفى إلى رسول الله ﷺ فلما رآها رسول الله دمعت عيناه.

ولقد تمثل تفريج كرب هذا الصحابى المخلص فيما نفحه به رسول الله ﷺ من هذا الدعاء الطيب، حيث قال وعيناه تدمعان: «**اللهم إن قتادة قد وقى وجه**

---

(١) سورة آل عمران: ١٤٦.

نبيك بوجهه، فاجعلها أحسن عينيه وأحَدَّهما نظرًا، فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرًا»[1].

وقد أخرج البغوى بسنده عن قتادة: **«أنه أصيبت عينه يوم بدر، فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فقالوا: لا، حتى نستأمر رسول الله ﷺ، فاستأمروه، فقال: لا، ثم دعا به فوضع راحته على حدقته، ثم غمزها، فكان لا يدرى أى عينيه ذهبت»**.

فضراعتنا إليك يا ألله أن تمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا أبدًا ما أبقيتنا، واجعله اللهم الوارث منا، يارب العالمين.

٤ ـ تفريج كرب احتباس البول

أخرج أبو داود والنسائى من حديث أنس ـ رضى الله عنه ـ أن رجلا أتاه (أى أتى أنسا) وأخبره بأن والده (أى والد هذا الرجل) قد أصابته حصاة البول، فهل عنده شيء يداويه به؟ ولقد تمثل تفريج هذا الكرب فى رقية نبوية كان أبو الدرداء قد حفظها عن رسول الله ﷺ وهذا هو نص هذه الرقية: **«ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك، أمرك فى السماء والأرض، كما رحمتك فى السماء فاجعل رحمتك فى الأرض، واغفر لنا حَوْبَنَا وخطايانا، أنت رب الطيبين، فأنزل شفاء من شفائك، ورحمة من رحمتك على هذا الوَجع. فيبرأ»**. وأخذ يعلمها هذا الرجل حتى حفظها، وعاد راجعًا إلى أبيه بأنفع دواء، وأعظم وسيلة شفاء، فقرأها على والده ورقاه بها، فدبت فى جسده الواهن القوة، وأنزل الله عليه شفاء من شفائه، واكتنفه برحمة من رحمته التى وسعت كل شيء، فبرأ هذا الألم بإذن الله.

دعاء للشفاء من المرض:

أخرج الحاكم فى مستدركه، والترمذى، وابن حبان فى صحيحه: أن الإمام

---

(١) الدارقطنى والبيهقى.

على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ورضى عنه ـ قد ألم به مرض أَضْجَرَهُ، فدعا الله قائلا: «**اللهم إن كان أجلى قد قُضى فارحمنى، وإن كان متأخرا فارفعنى، وإن كان بلاء فصبرنى**» وألح بهذا الدعاء كثيراً ولكنه لم يزل مريضًا، فلما زاره رسول الله ﷺ وجده يشكو إلى الله حاله ويردد هذا الدعاء، فقال له النبى ﷺ: كيف قلت؟ فأعاد عليه ما قال، فضربه النبى ﷺ ضربة خفيفة برجله ثم دعا له بالشفاء قائلا: «**اللهم اشفه، اللهم عافه**». فقام علىٌّ كأنما نشط من عقال، ويقول على: فما شكيت وجعى بعد هذا، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**لو دخل العسر كوَّةً (جحرًا) لجاء يسران فأخرجاه**». وقد ترجم أحدهم معنى هذا الحديث قائلا:

إنَّا روينا عن النبى رسول اللـــ ـــه فيمـا أفيـد مـن أدبـه

لو دخل العسـر كُوةً لأتى يُسْـ ـران فاستخرجـاه مـن ثُقْـبِه

كما ورد عن الإمام على أنه قال: عند تناهى الشدة تكون الفرجة، وعند تضايق البلاء يكون الرخاء، ومع العسر يكون اليسر، وإن للمحن أوقاتاً ولها غايات، واجتهاد العبد فى محنته قبل إزالة الله إيّاها يكون زيادة فيها؛ لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ **إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾[1]، فليستعن العبد على شدته بالله وليصبر، فهو الشافى وهو المعافى، وهو على كل شىء قدير.

٥ـ دعاء سماع الرعد ورؤية البرق

إن الظروف الجوية، والأحوال الطبيعية، كالرعد والبرق، والعواصف والقواصف والأنواء، حينما تشتد حدتها، وترتفع ثورتها، فإنها تشكل ألوانا من الكروب التى لا مقدرة للعباد على النجاة منها إلا بالاعتصام بحبل الله المتين،

(١) سورة الزمر: ٣٨.

واتباع ماورد عن الصادق الأمين ﷺ من توجيهات، تتمثل فى شىء من الدعوات الصالحات، والرجوات المباركات، التى يتوسل بها العبد إلى ربه.

وقد أورد الإمام القرطبى فى تفسيره، أن سيدنا عبدالله بن عباس - رضى الله عنهم - وبينما هم يواصلون سفرهم إذا بالأحوال الجوية من حولهم قد تغيرت، فأرعدت الدنيا وأبرقت، وهاجت العواصف والقواصف، ونزل بهم شدة لايعلم إلا الله مداها، وكان عمر بعيدًا عنهم، وكان فى القوم كعب بن أبى - رضى الله عنه - فدعا بدعاء تعلمه من رسول الله ﷺ فقال لهم: «**مَنْ قال حين يسمع الرعد: سبحان مَنْ يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته - ثلاث مرات - عوفى مما يكون فى ذلك الرعد**» فقالوه فلم يصبهم شىء، فلما جاء إليهم عمر إذا بهم يجدون بَرَدَةً (قطعة ثلج صغير) قد أصابت أنفه فأثرت فيه، فسأله ابن عباس: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: بَرَدَةٌ أصابت أنفى فأثرت فيه، فقلت له: إن كعبا حين سمع الرعد دعا بهذا الدعاء ودعونا معه، فعافانا الله من شر هذا الرعد ومن شر ما فيه، فقال عمر: أفلا قلتم لنا حتى نقولها؟.

ولقد وردت الأخبار المستفيضة عن رسول الله ﷺ التى تؤكد هذا المعنى، فعن أنس - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ أنه قال: «**لا تأخذ الصاعقة ذاكر الله عز وجل**» ويقول أبو هريرة - رضى الله عنه -: كان النبى ﷺ إذا سمع صوت الرعد يقول: «**سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شىء قدير**». كما كان النبى ﷺ يؤكد هذا المعنى كثيرا كثيرا فيقول: «**من قالها وأصابته صاعقة فَعَلَىَّ دِيَتُه**».

فسبحان الله الحميد المحمود، الصمد المقصود، ذى الكرم والجود، والعطاء الممدود، والفضل المسرود، فهو العزيز الباقى، والحافظ الواقى، المجيب لمن استجاره، فهو الذى يُؤَمِّنُ الخائف، وينصر المظلوم، ويعطى المحروم، وهو على كل شىء قدير.

٦ـ تفريج كرب جرير بن عبد الله

وجرير بن عبد الله البجلى يحدثنا عن كربه الذى انتابه فيما رواه البخارى عنه قال: «كنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، أى أنه اشتكى ذلك الكرب للرسول عقب إسلامه؛ لاحتياجه إلى الكر والفر والجهاد، وقد تمثل تفريج كرب هذا الرجل الصادق مع نفسه، والصادق مع رسول الله فى شكواه له، تمثل تفريج كربه فيما فعله النبى ﷺ حيث يقول جرير: «**فضرب رسول الله ﷺ بيده فى صدرى حتى رأيت أثر يده فى صدرى، وقال: اللهم ثبِّته، واجعله هاديًا مهديـًّا**»، وهنا نجد قول النبى ﷺ قد واطأ فعله، فَسَرت بركة يده الشريفة إلى صدره فَاسْتَلَّتْ منه كل خوف وفزع، كما استجاب الله دعاءَه المبارك، فامتلأت منه نفس جرير قوة وثباتا، وهداه الله لكل خير، وساق على يديه للإسلام الخير الكثير، وقد أخبرنا جرير عن ثمرة هذا الدعاء النبوى المبارك فى نفسه فقال: «فما وقعت عن فرس بعد».

ومن هنا فقد استحال جرير الذى لم يكن لِيَقْوَى على الثبات على سرج جواده، استحال فارسا مغوارًا، وبطلا شجاعاً، لا يهاب الأقران، وإنما يتقدم الصفوف تقدم الأبطال والشجعان، فَيَا كُلَّ من يجد فى نفسه شيئا من الاضطراب والخوف عند السفر، أو عند ركوب وسيلة مواصلات، ها أنت قد وقفت معنا على ما كان من أمر جرير بن عبد الله البجلى، فإن وجدت من تثق فيه من أهل الصلاح والتقى، فاطلب إليه أن يدعو لك بدعوة النبى لجرير، وأن يصنع معك مثل صنيعه، وإلا فقم أنت بذلك لنفسك، وأخلص النية لله، فاضرب بيد نفسك فى صدرك، واضرع إلى الله ـ تعالى ـ بلسان حالك ولسان مقالك: اللهم ثبِّتنى، واجعلنى هاديا مهديًا. فستلقى إن شاء الله خيراً مثل ما لقى جرير بنُ عبد الله.

فاللهم ثبتنا على الحق، واجعلنا هداةً مهديين، غير ضالين ولا مضلين، وخذنا إليك أخذ الكرام عليك، وارزُقنا أعمالا زاكية ترضى بها عنا، وتُب علينا يا أرحم الراحمين.

٧- كرب تعجيل العقوبة فى الدنيا

إن من يتوجه إلى الله - تعالى - بالدعاء لابد أن يفوز بأجر واستجابة، فعن سلمان - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن ربكم تبارك وتعالى حَيِىٌّ كريم، يستحيى من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا**» وفى رواية: «**صفرا خائبتين**»[1]، ولكنه مع هذا فإن على العبد المؤمن أن يتعلم أحكام الدعاء وآدابه؛ ذلك لأن جهل الداعى بهذه الأحكام قد يوقعه فى بعض الشدائد والخطوب، التى لايدرى لها سببا، ولا يعرف كيفية التخلص منها، يحدث له ذلك وهو لا يدرى ولا يشعر، وكل الذى يعمله أنه مقبل على ربه، ضارع إليه، خائف منه، فعلى العبد أن يدعو بالمأثور إن كان يعرفه، وإن أحب أن يدعو بغير ذلك فليدع بما يوافق الخير، وأن يدعو بالأدعية التى تغلب فيها رحمة الله وفضله، فرحمة ربنا - تبارك وتعالى - واسعة عظيمة وسعت كل شىء.

ولقد طالعتنا السنة النبوية فيما رواه الإمام مسلم عن أنس، فى باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة فى الدنيا، بأن النبى ﷺ جاءه رجل فوجده ضعيفا وخافتا كالفرخ، فسأله النبى قائلا: «**هل كنت تدعو بشىء أو تسأله إياه؟**» قال: نعم يارسول الله، كنت أدعو الله قائلا: «اللهم ماكنت معاقبى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا» فقال النبى ﷺ: «**سبحان الله!! لاتطيقه، أفلا قلت: اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار؟**» قال أنس: «فدعا اللهَ له فشفاه».

فاللهم يا من أنت آمن من كل شىء، وكل شىء خائف منك، فبأمنك من كل شىء، وبخوف كل شىء منك، آمنا مما نخاف، يا ألله، يا ألله، ياستار، ياستار، استرنا بسترك الواقى، الذى سترت به ذاتك، فلا عين تراك، ولا يد تصل إليك، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم.

---

(١) أبو داود والترمذى.

٨ ـ شفاء محمد بن حاطب من حريق أصابه

هو محمد بن حاطب اللَّخمى، وأمه أم جميل بنت المحلل بن عبد الله بن أبى قيس، وأبواه من أوائل المهاجرين إلى الحبشة، وقد أنجبا محمدا هناك، فهى أسرة عريقة فى الإسلام، وقد كان النبى ﷺ يواسيهم خير المواساة فى كل مايصيبهم، مقدرا لهم سبقهم، وحسن تضحيتهم فى سبيل الله.

ولقد وقعت أم محمد بن حاطب هذا فى ورطة شديدة، شكلت لها كربا عظيماً؛ فلقد تناول ابنها محمدٌ قِدْرًا حاراً ـ وهو صغير ـ فاحترقت يده من جراء ذلك، فإلى من تذهب؟ وبمن تلوذ؟ لقد ذهبت إلى حضرة المصطفى ﷺ وهى واثقة كل الثقة بأنها ستجد عنده الخير الوفير، والفضل الكثير.

ولقد أخرج الإمام النسائى والإمام أحمد من حديث محمد بن حاطب قوله: «تناولت قِدْرًا كانت لى فاحترقَت يدى، فانطلَقت بى أمى إلى رجل جالس (إنه النبى ﷺ ولم يكن هذا الغلام يعرفه لصغره، ولأنه مولود بأرض الحبشة)، فقالت: يارسول الله، قال: لبيك وسعديك، ثم أدنانى منه، وجعل يتكلم بكلام ما أدرى ما هو، فسألت أمى بعد ذلك: ما كان يقول؟.

ففرج الله عن هذه الأم وعن صغيرها ذلك الكرب، ببركة دعوة من النبى ﷺ له بالشفاء، وإذا كان محمد بن حاطب قد سأل أمه عن الكلام الذى تحدث به رسول الله ﷺ فإنها قد أخبرته بأن النبى قال: «**أذهب الباسَ ربَّ الناس، اشف أنت الشافى، لاشافى إلا أنت**» كما وضع النبى ﷺ شيئا من ريقه الشريف على مكان الحرق فبرأ بإذن الله.

إن هذا الدعاء من الأدعية العامة التى لاتقتصر على حال الحريق فقط، بل إنه ليمكن أن يُرْقَى به كل من أصيب بمكروه كائنا من كان. وأيا كانت علته، ويدل على ذلك ما ورد من أن النبى ﷺ قد رَقَى بهذا الدعاء أناسا أصيبوا بأمراض أخرى غير الحريق، كما فى حديث السائب بن يزيد عند الطبرانى فى الأوسط،

وكما فى حديث ميمونة عند الطبرانى فى الكبير والأوسط، وكما فى حديث رافع بن خُدَيْج عند الطبرانى، ورجاله رجال الصحيح.

وفائدة النَّفْث والتَّفْل المصاحب للرقية والدعاء كما قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ «إن نَفْسَ الراقى تفعل فى نفس الْمَرْقِىِّ فيقع بين نفسيهما فعل وانفعال، كما يقع بين الداء والدواء، فتقوى نَفْس الراقى بالرقية على ذلك الداء، فيدفعه بإذن الله ـ تعالى ـ ومدار تأثير الأدوية والأدواء على الفعل والانفعال، وهو كما يقع بين الداء والدواء الطبيعيين، يقع بين الداء والدواء الروحانيين، والروحانى والطبيعى، (والمراد بالروحانى هنا ما يتم عن طريق الأدعية والرقى). وفى النفث والتفل استعانة بتلك الرطوبة والهواء، والنفس المباشر للرقية والذكر والدعاء، فإن الرقية تخرج من قلب الراقى وفمه، فإذا صاحبها شىء من الريق والنفس والهواء كانت أتم تأثيراً وأقوى فعلا ونفوذاً، ويحصل بالازدواج بينهما كيفية مؤثرة شبيهة بالكيفية الحادثة عن تركيب الأدوية».

إن جسداً يحظى بشىء من ريق نبينا الشريف ﷺ لاشك فى أن العافية ستدب فيه، ويمتلئ بفضل الله وقوته حيوية من جديد، فاجعل اللهم فى اتباعنا لشرعك وترسم خطى حبيبك طبا لقلوبنا ودواء، وعافية لأجسادنا وشفاء.

٩ـ القاضى التنوخِىُّ يستشفى بالقرآن

هو أبو على المحسن بن أبى القاسم التنوخى، أحد علماء البصرة فى القرن الرابع الهجرى، عالم حافظ، سمع الحديث النبوى سماعاً صحيحاً كما ترجم له ابن خَلِّكَان، أصيب بمرض ووجع شديد، فوجد فى كتاب «الآداب الحميدة والأخلاق النفيسة» للإمام محمد بن جرير الطبرى مانصه: حدثنى محمد بن عمارة الأسدى، عن روح بن الحارث، عن حبيش الصنعانى، عن أبيه عن جده أنه قال لبنيه: إذا دهمكم أمر فلا يبيتن أحدكم إلا وهو طاهر على فراش طاهر، وثياب كلها طاهرة، وليقرأ سورة (والشمس وضحاها) من أولها إلى آخرها سبع مرات، ثم ليقرأ سورة (والليل إذا يغشى) من أولها إلى آخرها سبع مرات

كذلك، ثم ليقل: اللهم اجعل لى من أمرى فرجًا ومخرجًا. فإنه إن فعل ذلك يأتيه آت فى أول ليلة، أو فى الثالثة، . أو فى الخامسة، وأظنه قال: أو فى السابعة، فيقول له: مخرج ما أنت فيه كذا وكذا.

فما كان من الشيخ إلا أن استعد لذلك وتأهب له، فلما كان من الليل قرأ السورتين بالأعداد المطلوبة، ودعا الله بهذا الدعاء، دعاء مضطر، ورجاء مكروب، أتاه فى أول ليلة اثنان: جلس أحدهما عند رأسه، وجلس الآخر عند رجليه، فقال أحدهما لصاحبه: جُسَّه، فلمس جسمى كله، فلما بلغ موضعاً من رأسى قال: احجم هذا ولا تحلقه، ولكن اغسله بخطمية، والخطمية نوع من نباتات الزينة ذات عصير لزج، وفائدة غسل موضع الحجامة بها أنها تساعد على تثبيت المحجمة والإمساك بها، فتكون الحجامة جيدة، يقول: ثم التفت إلىَّ أحدهما أو كلاهما وقال لى: فكيف لوضممت إليهما (أى إلى السورتين اللتين قرأتهما - وهما سورة والشمس وضحاها، وسورة والليل إذا يغشى - سورة والتين والزيتون؟!).

وبهذا فقد فرج الله كرب هذا الشيخ، وأسبغ عليه نعمة الصحة والعافية، فيا من أعيتك علتك، أو أعْضَلَتْك مشكلتك، اقصد وفورًا حديقة الفرقان، وتوجه لتوك إلى صيدلية الرحمن، فخذ من القرآن ماشئت لما شئت، فشأن ربنا فى كل يوم يغفر ذنبا، ويكشف كربا، ويجبر كسيرًا، ويفك أسيرًا، ويقوى ضعيفا، ويعز ذليلا، يرفع أقواماً ويخفض آخرين.

١٠- مع النبى الصابر أيوب عليه السلام

مع رمز الصبر على البلاء، والشكر لله فى السراء والضراء، مع نبى الله أيوب عليه السلام، فهو أيوب بن أموص الذى ينتهى نسبه إلى إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، أعطاه الله النبوة، وبسط له فى الرزق، فأعطاه مالا وولدًا، وكان امْرَأً تقيا، رحيما بالمساكين، يكفل الأرامل والأيتام، ويكرم الضيف، ويُبَلِّغ ابن السبيل، وكان شاكرا لفضل الله، مؤديا حق مولاه، ولقد

حفظه الله من كيد الشيطان، فلم يُصِبْ منه ما أصاب به غيره من أهل الغنى والثراء، من نحو الْغِرَّةِ والغفلة والتشاغل والسهو واللهو عن أمر الله بما هم فيه من إقبال الدنيا عليهم.

ولأمرما فقد شاءت إرادة ربنا ـ تبارك وتعالى ـ أن يجعل من عبده أيوب مثلا وعبرة لأهل الثراء والنعمة، كى لا يغتروا بها عند إقبالها، ويوطنوا النفس على تحمل آلامها عند ذهابها وضياعها، فلا ينشغلوا بالنعمة عن المنعم، ولا بالعطية عن المعطى، كما أن فى ذلك عبرة لأهل الفقر والفاقة، كى يحمدوا الله على ما هم فيه من إِزْوَاءِ الدنيا عنهم، ماداموا ينعمون بنعمة الصحة والعافية، فقد تعرض هذا العبد الصالح لمحنة البلاء بالشر، كما تعرض لفتنة البلاء بالخير، على نحو ما ورد فى قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ **وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾[1] أى أنه قد ابتلى بالسلب بعد العطاء، وبالمنع بعد المنح، نعوذ بالله من ذلك كله، فذهب ماله، ومات أهله وعياله، ونزل به من الآلام ما أقعده عن الكسب كذلك، كما تفرق عنه أصحابه لما طالت به محنته واشتد بلاؤه، ظانين أن الله الذى أرسله لم يكن ليأخذ أنبياءه أو رسله بمثل هذه الشدة التى تعرض لها أيوب، وما دَرَوْا أن لله فى ذلك من الحكم مالا يعلمها إلا هو، وبصفة عامة فقد شَمَتَ بهذا النبى أعداء دعوته من الكافرين، وَفُجِعَ فيه أصدقاؤه من المؤمنين، ولم يثبت معه على دينه إلا زوجه الوفية، التى لم تتبرم من سوء أحواله وضيق عيشه، وإنما ضربت بحسن عشرتها للمرأة الوفية أندر صورة من صور حسن العشرة والإخلاص، بل إنها قد ضربت من الصور النبيلة ما يجل عن الوصف ويقصر دونه البيان؛ افكانت تسعى عليه وتعوله، وهى التى ما تعودت السعى من قبل، وإنما كانت تعيش رافهة فى سابغ نعمته، وهذا الصنيع من هذه الزوجة الوفية ـ مع ندرته من غيرها ـ كان يحز فى نفسه ويضاعف آلامه، ومع هذا كله فقد كان نشيده فى هذه المحنة مفعما بالإيمان الصادق بالله رب العالمين، فكان يقول: «الحمد لله الذى أعطانى، وحيث شاء

(١) سورة الأنبياء: ٣٥.

نزع منى، عريانا خرجت من بطن أمى، وعريانا أعود إلى قبرى، وعريانا أحشر إلى ربى، لاينبغى أن تفرح حين أعارك الله، وتجزع حين يقبض عاريته، فهو أولى بك وبما أعطاك».

وكان الشىء الوحيد الذى فت فى عضده، وزاد من آلامه ما اشْتَمَّهُ من منطق زوجه من روح التبرم من هذا الحال الذى طال، وحينما وسوس إليها الشيطان، فكان فى ذلك ما أَنْصَبَه وعذبه، فماذا يصنع وهو الضعيف؟ وبمن يلوذ من البشر وهى الوحيدة من دون خلق الله التى آثرت مشاركته فى أتراحه كما كانت تشاركه نعمته وأفراحه؟!! ما كان منه إلا أن أقسم بالله لئن عافاه الله من هذه العلة ليضربنها مائة سوط، لتبرمها من تقدير رب العالمين، فتوجه إلى ربه قائلا: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(١) ثم أردف قائلا: إلهى: أنا عبد ذليل، إن أحسنتُ فالمنة لك، وإن أسأتُ فبيدك عقوبتى، جعلتنى للبلاء غرضا، وللفتنة نُصبًا، رحمتك هى أوسع لى» ويقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾(٢).

وهنالك جاء الفرج القريب من الله المجيب، ودنا المحب من الحبيب، فكشف الضر كاشفه، ووهب الخير مالكه، يقول الله - تعالى ـ: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾(٣)، وقد تمثل تفريج كربه فى أمر الله له: ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾(٤) فضرب الأرض بقدمه الواهنة فانبجست منها عين ماء للحياة، فاغتسل فيها فدبت، الصحة والعافية فى جسده، فعاد خيرًا مما كان

(١) سورة الأنبياء: ٨٣.
(٢) سورة ص: ٤١.
(٣) سورة الأنبياء: ٨٤.
(٤) سورة ص: ٤٢.

سابقًا، كما قد رخص الله له فى برِّ يمينه بضرب زوجه بحزمة أعواد من النجيل، وذلك مراعاة لإحسانها إليه فى محنته؛ حيث ينبغى ألاَّ يقيس صبرها بصبره ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[1].

وهكذا خرج نبى الله أيوب من محنته أصلب عودًا، وأحسن حالا، ووهب الله له أهله ومثلهم معهم رحمة من الرحمن الرحيم، وبَرَّ قسمه، وضربت زوجه أروع وأندر مثل فى الشكر حال الرخاء والصبر والاستعانة بالله حال الضراء.

* * *

(١) سورة ص: ٤٣، ٤٤.



الباب الخامس

رفع الكروب التى لحقت بالمسلمين

فى مواجهاتهم مع الكفار والمشركين



لقد اتسمت مواجهات الكفار للمسلمين بالعنف والضراوة، والشدة والقسوة من جانب الكفار؛ ذلك لأنهم كانوا فى أغلب الأحيان متفوقين على المسلمين فى العدد وفى العدة، كما أن الشيطان كان يشعل نار التحريض فى نفوسهم؛ لأنه يرى فى المسلمين أعداء له كما هم أعداء للكافرين، ولم يكن هناك بد فى مختلف هذه المواقف من اتخاذ العدة وإعدادها، والمحاولة الجادة لامتلاك وسائل الدفاع والتغلب على الأعداء، والتفوق فى محاولة اكتساب المهارات وإحراز الأسباب المادية للنصر، وفى ذات الوقت العمل على تقوية الجانب الروحى والمعنوى؛ واستمطار رحمات الله بالدعاء، فى كل موقف بما يناسبه، فكان مدد الله يأتيهم، وعنايته تلحظ أولياءه وجنده، ويجعل العزة والغلب والنصر فى جانب هذه القلة المؤمنة بربها، الواثقة مَن نصره، المقبلة عليه فى كل وقت وحين، فى كل حال وعلى أى حال.

وحينما نتصفح التاريخ المشرف للمؤمنين بالله وبرسوله، فإننا نجد أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد أمدهم بمدده، وأفاض على أرواحهم الطاهرة من أسباب التوفيق ماجعل ألسنتهم تلهج بالدعاء لله رب العالمين، مما كان له أعظم الأثر فى تفريج هذه الكروب، ورفع أسباب الشدة والمعاناة، وهو ماسنحاول إظهاره وإبرازه فى الصفحات التالية.

١ ـ دعاء النصر على الأعداء

دعاء النبى ﷺ عند عودته من الطائف:

لَـمَّا اشْتَدَّ أَذَى قريش برسول الله ﷺ عَقِبَ موت زوجِه خديجة وعمِّه أبى طالب، اتَّجَه إِلى الطائف عَلَّهُ يَجِد قلوبًا تستَجيب لِدَاعى الله، ولكنَّه وجَدَ غِلْظَةَ

الكُفْرِ وجَبَروُتَ الكافرين، فالكفر لافرق بين مكِّيِّه أوْ طائفيّه، ولاَ بيْن شَرْقيِّه أوْ غَرْبيِّه، فالكفْر كلُّه ملةٌ واحدةٌ، فلما دعاهم إلى الله، ردُّوا عليه بخُشُونَة وَعنَّفُوة وأَغْرَوْا به العبيد والسُّوقَةَ والسُّفَهَاء، فكان أن اتَّجَه إلى ربه يُنَاجِيه ويلتَمِس مرضَاتَهُ فى ضَرَاعَة وخُشُوع تَمثُّلاً فى هذا القول الكريم:

«اللهم إليك أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِى وقلَّةَ حِيلَتِى وهَوَانِى على الناس يا أرحم الراحمين، أنتَ ربُّ المستَضعَفين وأنت ربى، إلى مَنْ تَكلُنى؟ إلى بَعيد يَتَجَهَّمُنِى؟ أو إلى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِى؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بكَ عَلَىَّ غَضَبٌ فَلاَ أُبَالِى، ولكنْ عَافِيَتُكَ هِىَ أَوْسَعُ لِى، أَعُوذُ بنُورِ وجْهِكَ الذى أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْه أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخرة منْ أَنْ يَنْزِلَ بِى غَضَبُكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَىَّ سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِكَ».

وكان مالاَقَاهُ رسول الله ﷺ فى ذلك اليوم أَشَدَّ على نفسه ممَّا لاقاه فى يوم سوَاه، فقد سألته السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ فيما يرويه البخارى ومسلم فقالت: أيا رسول الله هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ عليك من يوم أحُد؟

قال: **«لقد لَقيتُ من قومك مالقيتُ، وكان أَشَدَّ مالقيتُ يوم العقَبَة، إذْ عرضْتُ نفسى علَى عبد ياليل بن عبد كلال فَلَمْ يُجبْنِى إلى ما أَرَدتُ، فانْطَلَقْتُ وأنا مهْمُوم علَى وَجْهِى، فلَم أَسْتَفقْ من الغَمِّ إلا وأنا بقَرْن الثَّعالب (اسم مكان)، فَرَفَعْتُ رأسى فَإذَا أنا بسحابة قد أظلَّتْنى، فَنَظَرْتُ فَإذَا فيها جبريل ـ عليه السلام ـ فنادانى فقال: إن الله قد سمع قومَكَ وما ردُّوا عليك، وقد بعَث الله لك ملَكَ الجبال لتَأمُرَه بما شئت، قال ﷺ: فنَادَانِى مَلَكُ الجبال فَسَلَّم عَلَىَّ، ثم قال: يا محمدُ إن اللهَ قد سمعَ قولَ قومكَ وما ردُّوا عليكَ، وأنا مَلَكُ الجبال، وقد بعثنى الله إليك لتَأْمُرَنى، إن شئْتَ دَمْدَمْتُ عليهم الجبالَ، وإن شئْتَ خَسَفْتُ بهم الأرض، قال النبى ﷺ: لا، بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ منْ أَصْلاَبِهِم مَنْ يَعْبُده وحْدَه لاَ شَرِيكَ له»**.

٢ـ المسجد الأقصى وتفريج كرب النبى ـ صلى الله عليه وسلم

لقد لقى رسول الله ﷺ من قومه الأذى والعنت الكثير، فقد وقفوا أمامه حجر عثرة فى سبيل نشر دين الله، وقد سلكوا فى سبيل ذلك طرقًا كثيرة، سلكوا طريق الإغراء والمصانعة تارة فلم يفلحوا، وسلكوا طريق العنت تارة أخرى فباءوا بالفشل، كما سلكوا طريق الحصار والمقاطعة فيما هو معروف بمقاطعة الصحيفة، ولكنهم وجدوا فى كل ذلك رجالا بمعنى الكلمة، وجدوا رجالا كلهم تصميم على المضى قدماً فى طريق الهدى والنور، بعد أن نجاهم الله ـ تعالى ـ من الجاهلية الجهلاء، والرجعية النكراء، ومواقف الكفر فى هذا أكثر من أن تحصى، ولكننا سنتناول واحدًا منها فى هذا المقام.

ففى صبيحة الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ من بيت الله الحرام بمكة إلى بيت المقدس، ثم العروج به إلى سدرة المنتهى، وإلى ما هو أبعد منها شأوًا، إلى مستوى سمع فيه صرير أقلام القدرة، فأفاض عليه ربه ـ سبحانه وتعالى ـ من الإشراقات والتجليات ما لا يقدر عليه إلا هو.

تقول «أم هانئ بنت أبى طالب» ـ رضى الله عنها ـ: ما أُسرى برسول الله ﷺ إلا وهو فى بيتى، نام عندى تلك الليلة فى بيتى، فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا، فلما كان قبيل الفجر أهَبَّها (أيقظها) رسول الله ﷺ فلما صلى الصبح وصلينا معه قال: يا أم هانئ: لقد صليت معكم العشاء الآخِرةَ كما رأيت بهذا الوادى، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه، ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما تَرَيْنَ. ثم قام ليخرج فأَخَذْتُ بطرف ردائه، فقلت: يانبى الله لاتحدث الناس فيكذبوك ويؤذوك، فقال: والله لأُحدِّثُهُمُوه، قالت: فقلت لجارية لى حبشية: اتبعى رسول الله حتى تسمعى ما يقول للناس، وما يقولون له. فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الناس أخبرهم، فعجبوا وقالوا: ما آية ذلك يا محمد فإنا لم نسمع بمثل هذا؟ .

فأخذ رسول الله ﷺ يخبرهم عن عير كانت لأناس من مكة، مرَّ بها رسول الله ﷺ فى مسراه، فبين لهم النبى أوصافها، وذكر بعض أماراتها، وأنها ستقدُم

وتدخل مكة ساعة كذا، وقد كان كلٌّ (أى حدث كل) ماذكره لهم النبى الكريم.

أما أبو جهل ومن على شاكلته من مثيرى الضجة والفتنة، فقد كان رد فعلهم على هذا الأمر عنيفًا، فقد أخذوا يصفقون عجبا، ويصفرون طربا؛ تكذيبا لهذا الأمر واستبعادًا، ونكاية فى رسول الله وعنادًا، فذهب بعضهم إلى أبى بكر يستعديه على رسول الله ﷺ فأخبرهم أبو بكر بأن هذا الأمر من الأمور العادية، وأنه يصدق النبى ﷺ فيما هو أبعد من ذلك، يصدقه فى خبر السماء يأتيه فى لحظة، وأخذ يفحمهم قائلا: إنكم تلقبونه بالصادق الأمين، فلم يكن ليترك الكذب على الناس ليكذب على الله. ثم ذهب معهم أبو بكر وسأل رسول الله عن هذا الخبر، فأخبره إياه، فصدقه أبو بكر أمامهم قائلا: صدقت يارسول الله، فقال له النبى ﷺ: وأنت يا أبا بكر الصديق.

وفى هذه الأثناء إذا بسائل يطرح على القوم سؤالا عقليا مؤداه: إذا كان محمد قد ذهب إلى بيت المقدس وصلى فيه فليصفه لنا!! نعم، فليصفه لنا...

ولاشك فى أن قائل هذا السؤال إن كان من المشركين فمقصده إحراج النبى ﷺ وأما إن كان القائل أبا بكر - كما أشارت إلى ذلك بعض الروايات - فإن مقصوده أن يزيد القوم تصديقا بخبر رسول الله ﷺ هذا عن السؤال وعن سائله..

أما عن النبى ﷺ فقد سبب له هذا السؤال كربًا عظيمًا؛ حيث قد ورد عنه أنه قال: «**فكُرِبْتُ كربًا ما كربت مثله قط**»، أى أن الكرب الذى تعرض له النبى آنذاك كان كربا من نوع خاص؛ حيث لم يتعرض لمثل هذا الموقف من قبل، وهذا قول حق؛ لأن الإنسان الذى يطير فى زيارة هامة مثل هذه الزيارة، ليلتقى بمثل هذا الجمع الحاشد من الأنبياء والمرسلين، بل وليكون إماما لهم، لا يكون عندَه من الوقت، ولا من التفكير ما يصرفه فى تفقد هذا البيت والإعجاب به، ومعرفة تفاصيله، من نحو عدد أبوابه ونوافذه وأسطواناته وما إلى ذلك،

والذى أحرج النبى فى هذا الموقف وضاعف كربه هو علمه بأن فى القوم أناسًا يعرفون هذا المسجد بتفاصيله لكثرة زيارتهم لهذه المنطقة فى رحلتى الشتاء والصيف، يعرفونه لا على سبيل العبادة، ولكن عِلى اعتبار أنه أثر يزار. ومن الذين يعرفون أوصافه كذلك أبو بكر الصديق - رضى الله عنه . . .

ولكن ياترى هل يمكن أن يترك الله نبيه فى هذا الكرب بدون تفريج؟!! كلا، ففى حديث البخارى: «**لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر، فجلَّى الله لى بيت المقدس، فطفقت أُخْبِرهم عن آياتاته (أماراته وعلاماته) وأنا أنظر إليه**».

وهكذا فرج الله كرب نبيه ﷺ وأيده بهذه المعجزة الخارقة، إضافة إلى معجزة الإسراء والمعراج، فالذى أسرى بعبده ليلا إلى تلك البقعة قادر على أن يطوى لرسوله المسافات فيرى المسجد الأقصى عيانا بيانا وهو فى مكة فى وضح النهار، فالنبى قد أسرى الله به ليلا، والمسجد قد جيء به للنبى نهارًا، أو أن الله - سبحانه وتعالى - قد تجلى على حبيبه ﷺ فأصبح بصره يرى الأقصى بكامل تفاصيله وهو فى مكانه بأرض الشام، إن قُلتَ هذا فصحيح، أو قلت ذاك فمليح، فأمر ربنا - تبارك وتعالى - بين الكاف والنون، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون.

٣- تفريج كرب المؤمنين فى أعقاب غزوة أحد

لقد تجلت غزوة أحد عن جراحات كثيرة للمسلمين، فهى الغزوة التى شُجَّ فيها وجه رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته، وقتل فيها سبعون شهيداً من المسلمين، من بينهم سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب - رضى الله عنه - أسد الله وعم رسوله، وقد حدث لهم ما حدث كنتيجة لمخالفة الرماة أمر رسول الله وانشغالهم بجمع الغنائم، الأمر الذى جعل الكفار يكرون عليهم ويُعملون فيهم النبل والسيف، ثم إن الله مَنَّ عليهم بعد ذلك وأمدهم بمدد من عنده.

وفى مُنْصَرَف المشركين من أحد بدا لهم أن يضعفوا الروح المعنوية للمسلمين، فقد أخذوا من هذه الغزوة درساً ألقى فى روعهم أن المسلمين مازالوا ضعَافاً، وأن نصرهم على المشركين فى بدر الكبرى إنما كان ضربة حظ ولم يكن عن خبرة قتالية، ولا عن مدد من إلههم الذى يعبدونه، كان هذا النصر نوعاً من الحظ الذى حالفهم، أما قوتهم الحقيقية فقد اتضحت فى يوم أحد، وهنا وقف أبو سفيان بن حرب وصاح بأعلى صوته قائلا: موعدكم بدر من العام المقبل، حيث قتلتم أصحابنا، ووجه الكلام للنبى ﷺ فقال النبى : «عسى» وقال لأصحابه: «قولوا إن شاء الله» فقالوا مثلما أمرهم، وقد تخيل المشركون أن نهاية المسلمين وشيكة، وأنهم سيستأصلون شأفتهم قريبا وخلال عام، وأخذ المشركون يستعدون لمعركة يزعمون أنها ستكون حامية الوطيس، ومبالغة منهم فى إضعاف الروح المعنوية لدى المسلمين فإنهم لم يكفوا عن إرسال الرسل التى تشيع فى المدينة وبين جموع المؤمنين بالله أن أهل مكة يعدون العدة لملحمة قريبة الوقوع، ووشيكة الحدوث.

أما ما كان من أمر النبى ﷺ والمؤمنين بالله معه فقد ألهمهم الله دعاءً طيبا، أخذوا يرددونه، عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلا، فقد أثرت فيهم جراحات أحد بحق وصدق، والقرآن المجيد يبين لنا ذلك فى قول الله – تعالى –: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[١] فلما كان العام المقبل، ندب رسول الله أصحابه للخروج للقاء المشركين فاستجابوا لله ولرسوله، فكانوا إذا لقوا أحداً من المشركين فيسألونهم عن قريش، فيقولون لهم: قد جمعوا لكم، يكيدونهم بذلك، يريدون أن يرعبوهم؛ كى يفت ذلك فى عضدهم، فيقول المؤمنون: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[١] فأصبح هذا الدعاء نشيدهم، فى هذه الرحلة التى خرجوا إليها على غير عادتهم، حتى قدموا

(١) سورة آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤.

منطقة بدر، فوجدوا أسواقها عافية لم ينازعهم فيها أحد، وأما أهل مكة فقد سلط الله عليهم الخوف فأقعدهم بمكة ولم يتحركوا للوفاء بما قالوا فى العام السابق، وبهذا فقد نَجَّى الله المؤمنين من هذا الكرب، ومن هذه الشدة، فلما توكلوا على الله كفاهم ما أهمهم، ورد عنهم بأس من أراد كيدهم، فانقلبوا سالمين من عدوهم ومن شدة المواجهة معه، وانقلبوا كذلك بفضل عظيم، فقد مرت فى أيام الموسم وهم ببدر عيرٌ فاشتراها رسول الله ﷺ فربح فيها مالا فقسمه بين أصحابه، وتسمى هذه الموقعة السلمية «موقعة بدر الصغرى» تمييزا لها عن موقعة بدر الكبرى التى وقعت قبل أحد، وقد حدد المشركون بدرًا لتكون مكان اللقاء حتى يغسلوا عن أنفسهم عار هزيمتهم ببدر الكبرى، ولكن هيهات هيهات!! وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**ونصرت بالرعب**».

فما أطيب هذا الدعاء الذى نجى الله به كثيراً من المكروبين!! فقد قاله إبراهيم الخليل - عليه السلام - حينما ألقى فى النار التى أعدها له النمروذ فصارت عليه برداً وسلاماً، وقالته أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - قبيل تعرضها لحادث الإفك، فأنزل الله براءتها قرآنا يتلى إلى يوم الدين، وقاله سيدنا محمد ﷺ وأصحابه فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء.

٤- تفريج كرب جيش العلاء بن الحضرمى

إن العلاء بن الحضرمى هذا هو أحد الصحابة الكرام - رضى الله عنهم - والحضرمىُّ والده هو: عبد الله بن عباد بن أكبر بن ربيعة بن مقنع بن حضرموت حليف بنى أمية، وكان لحضرموت هذا أخ يدعى «ميمون بن الحضرمى» وهو الذى حفر بئر ميمون، الموجودة بأعلى مكة، وقد احتفرها فى الجاهلية.

وكان العلاء من فُضَلاء الصحابة، وقد ولاه رسول الله ﷺ البحرين بعد فتحه لها، ثم ولاه أبو بكر وعمر إياها كذلك، وقيل: إن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قد ولاه البصرة فمات قبل أن يصلها، وقد استعمل عمر على البحرين أبا هريرة بعد العلاء، وقد وجهه أبو بكر أيام حروب الردة إلى البحرين، فقاتل

أهلها حتى أظهره الله عليهم، وسلموا ما منعوا من الزكاة، وقد كان العلاء مستجاب الدعوة، وكان صاحب كرامات.

وقد كان لهذا الرجل من الكرامات الظاهرة، والدعوات المستجابة ما جعله مضرب المثل فى ذلك، ولقد كان له بعض المواقف مع جيش المسلمين الذى أرسله رسول الله ﷺ لفتح بلاد البحرين، وكان تعداد هذا الجيش أربعة آلاف مقاتل، ما بين راكب فرس وراكب بعير، فلما كانوا بمنطقة الصحراء شَرْقِيَّ الجزيرة العربية، تصادف أن مياه الشرب التى معهم نفدت، وأشرف الجند حينئذ على الجهد المهلك، فلما أخبروا العلاء بهذا الخبر نزل عن جواده وصلى ركعتين لله - تعالى - ثم رفع يديه إلى السماء ودعا بهذا الدعاء: «**يا عليم، ياحليم، ياعلى، ياعظيم: اسْقنا**» قال هذا بكل ثقة المؤمن وإقباله على ربه وثقته فيه، فاستجاب الله دعاءه، وما هى إلا لحظات حتى جاءت سحابة كأنها جناح طائر، فما كان من هذه السحابة إلا أن قَعْقَعَتْ (أى سمع لها صوت)، وأمطرت مطرًا طيبًا، أتاح لهذا الجمع الغفير أن يشربوا، وأن يسقوا دوابهم، وأن يتطهروا، فضلاً عن الماء الذى ملأوه فى آنيتهم، فحمدوا الله على ذلك وانطلقوا تحرسهم عناية الرحمن.

ولم يكد الجند يَفْرُغون من هذا المأزق حتى صادفهم مأزق آخر أشد من سابقه، ذلك أنهم أتوا على أحد خلجان الخليج العربى التى تحول بينهم وبين ما يقصدون، ومما ضاعف من صعوبة ذلك أن هذا الخليج يبدو أنه مهجور، فليست هناك أمارات أو علامات لعبوره، ولم يجدوا كذلك أى أثر لسفن فى المنطقة يمكن أن تحملهم وأن تنقلهم إلى الجهة الأخرى، فهرعوا إلى العلاء قائدهم، فلم يتبرم بهذا الموقف، ولم يضق به ذرعاً، وإنما شرع على الفور فى مناجاة ربه، فصلى لله ركعتين، ودعاه بعدهما قائلاً: «**ياعليم، ياحليم، ياعلى، ياعظيم: أجِزْنا**» أى: يَسِّر لنا أمر المرور والجواز، بلطفك وقدرتك، يامن يجيب وحده دعوة المضطرين، ثم أخذ هذا العبد الصالح الواثق بنصر الله،

أخذ بعنان فرسه وتقدم لاجتياز الخليج، وقال لجنده: جوزوا - أى: تقدموا - وعندئذ حدثت المفاجأة التى لم تكن فى الحسبان، ولم تخطر لأحد قطُّ على بال، فإذا بهؤلاء القوم يتقدمون بإبلهم وخيولهم على صفحة الماء الذى استحال تحت أرجلهم طريقا مائيا سهل العبور والاجتياز، حتى إن الصحابى الجليل أبا هريرة - رضى الله عنه، راوى هذه الواقعة - ليقسم على صدق ذلك ويقول: «فو الله ما ابْتلَّ لنا قدم ولا خف ولا حافر، وكان الجيش أربعة آلاف».

وإليك نص الواقعة كما رواها لنا أبو هريرة، حيث قال: «بُعِثَ العلاء بن الحضرمى فى جيش كنت فيهم إلى البحرين، فسلكنا مفازة، فعطشنا عطشاً شديداً حتى خفنا الهلاك، فنزل العلاء وصلى ركعتين ثم قال: «**ياعليم ياحليم يا على ياعظيم: اسقنا**» فجاءت سحابة كأنها جناح طائر فقعقعت علينا وأمطرتنا حتى ملأنا الآنية، وسقينا الركاب، ثم انطلقنا حتى أتينا على خليج من البحر، ما خيض قبل ذلك اليوم، ولا خيض بعده، فلم نجد سفنا، فصلى العلاء ركعتين ثم قال: **ياعليم ياحليم يا عليم يا عظيم: أجزنا**، ثم أخذ بعنان فرسه ثم قال: جوزوا - أى: اعبروا - قال أبو هريرة - رضى الله عنه-: فمشينا على الماء، فوالله ما ابتل لنا قدم ولا خف ولاحافر، وكان الجيش أربعة آلاف».

فإذا كان أصحاب موسى - عليه السلام - قد جعل الله لهم طريقا فى البحر يَبَسًا وهو معهم، فإن أصحاب محمد ﷺ فى جيش العلاء بن الحضرمى قد ساروا بأرجلهم وخيولهم وإبلهم على وجه الماء وما ابتل منهم قدم ولا خف ولا حافر، فرضى الله عن الصحابة والتابعين، لقاء ما أخلصوا لله دينهم وأعمالهم، فنجاهم الله من كل شدة وضيق، وفرج عنهم الكروب، فصنعوا فى دنيا الناس المعجزات، وقدموا النماذج الرائعة لما ينبغى أن يكون عليه المؤمن مِنْ حسن الثقة بالله.

٥- تفريج كرب المسلمين فى غزوة الخندق

من الكروب التى غَامَتْ بها دنيا المسلمين ما ترامى إلى أسماعهم عن هذا الجبش الجرار، الذى أعده مشركو مكة، وهو جيش عرمرم، يملأ السهل والجبل، فيه تجمعت كل قوى الشر والبغى والطغيان، مُيَمِّمة شطر المدينة المنورة، فى موقعة ظَنُّوها الفاصلة، وظنوا أنهم بها سَيُصَفُّونَ حساباتهم مع هذه الدولة الوليدة، وأنهم بهذا لامحالة قادرون على وأدها فى عقر دارها، وزين لهم الشيطان أعمالهم، وقال لاغالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم، إنه جيش الأحزاب، الجيش الذى أحكم الشرك إعداده وإمداده، تلبدت دنيا المسلمين بهذه الغيوم والهواجس، ولكنها مع كل هذا لم تحل دون سطوع شمس الحقيقة المطلقة الماثلة فى أذهانهم، ولم تخف شيئا من وهج الإيمان فى النفوس، أو الثقة بالله، والاطمئنان إلى موعوده من الخير المحقق، والذى يتمثل فى النصر أو الشهادة، وربما كانت شدة كربهم متمثلة فى طول انتظارهم مَقْدِمَ عدوهم على نحو ما أورده ابن سعد فى طبقاته الكبرى عن ابن المسيب قال: حضر النبى ﷺ يوم الأحزاب وأصحابه بضع عشرة ليلة، حتى خلص إلى كل امرىء منهم الكرب، وحتى قال النبى ﷺ: **«اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تُعْبَد»**.

وهنا وبعد أن أدرك النبى ﷺ مدى ما بلغ الكرب من أصحابه، لم يكن أمامه من سبيل إلا أن يرفع أكف الضراعة والدعاء إلى الله العلى القدير، وهكذا كان حاله فى كل نازلة، وفى كل أمر مهم شديد، ولقد جاء فى دعاء النبى ﷺ فى تلك الأثناء ما رواه جابر بن عبد الله الأنصارى - رضى الله عنه _ قال: دعا رسول الله ﷺ فى مسجد الأحزاب يوم الاثنين ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، فاستجيب له يوم الأربعاء، بين صلاتى الظهر والعصر، فعرف الصحابة البشْر فى وجهه، وهنالك توجه النبى ﷺ إلى رب العالمين قائلا ما طالعتنا به كتب السيرة النبوية: **«ياصريخَ المكروبين، يامجيبَ المضطرين، اكشف هَمِّى**

وغمى وكربى، فإنك ترى ما نزل بى وبأصحابى، اللهم مُنْزِلَ الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم».

كما أن المسلمين سألوا النبى الكريم قائلين: هل من شيء نقوله فقد بلغت الروح الحلقوم؟ فقال لهم النبى ﷺ: «**نعم، قولوا: اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا**» فقالوا ذلك ولَظُّوا بالدعاء إلى الله - تعالى -.

ولقد تمثل تفريج كرب النبى ﷺ وصحبه الكرام فى تلك البشارة التى جاء بها جبريل - عليه السلام - فقد بشر النبىَّ بأن الله سيرسل على المشركين ريحاً وجنوداً من عنده، ولقد استجاب الله لرسوله الكريم، فأرسل عليهم ريحاً وجنوداً من الملائكة، وهزمهم الله تعالى من غير قتال، فانهزموا خائفين، حتى إن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد، قاما فى مائتى فارس فى ساقة عسكر المشركين مخافة الطلب، وكانت الريح التى هبت عليهم رِيحَ الصَّبَا، فقلعت الأوتاد وأطفأت النيران، وأكفأت القدور على أفواهها، وألقت عليهم الأخبية، وسَفَتْ عليهم التراب، ورَمَتْهُم بالحصباء، وسمعوا فى جوانب معسكرهم التكبير، وقعقعة السلاح، فهربوا، وتركوا متاعهم، فغنمه المسلمون، ولقد نزل فى بيان ذلك قول الله - تعالى-: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا**﴾[١] وقوله : ﴿**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا**﴾[٢].

ويقول جابر - رضى الله عنه - : فلم ينزل بى أمر مهم غائظ إلا توخيت تلك الساعة من ذلك اليوم فدعوت الله فأعرف الإجابة. أى أن جابرا كان يتوخَّى

(١) سورة الأحزاب : ٩-١١.

(٢) سورة الأحزاب : ٢٥.

الدعاء للكرب فى يوم الأربعاء بين صلاتى الظهر والعصر، وهى الساعة التى استجيب فيها لرسول الله ﷺ على الأحزاب.

أرأيت أيها القارىء الكريم، كيف تكون حاجة تفريج الكرب إلى الإلحاح فى الدعاء؟! فهذا هو النبى الكريم ظل يدعو ربه فى ضراعة المخبتين، وإيمان الخاشعين ثلاثة أيام، حتى استجيب له؟! فإذا حزبك أمر، أو تعرضت لمكروه، فما عليك إلا أن تتلمس الأوقات الفاضلة، وتجتهد فيها بالضراعة والدعاء، وحذار من تسرب اليأس والقنوط إلى نفسك باستبطاء الدعاء، واعلم أن الله يحب عبده اللحوح، واعلم كذلك أن انتظار الفرج عبادة، فلك فى رسول أن الله الأسوة والقدوة الطيبة، فاللهم إنا نسألك بحق السائلين عليك، أن تشملنا بعنايتك ورعايتك فى كل حال وعلى أى حال، وأن تحسن عاقبتنا فى الأمور كلها ياسميع يابصير.

٦- تفريج كرب المؤمنين فى غزوة حنين

وقعت غزوة حنين فى السنة الثامنة وبعد فتح مكة؛ حيث إن هوازن ثقيف لما سمعت بفتح مكة وما فتح الله به على رسوله، فقام مالك بن عوف النصرى، فاجتمعت إليه هوازن ثقيف كلها ونصر وجشم كلها، وسعد بن بكر وناس من هلال، فخرج إليهم رسول الله ﷺ ومعه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه من المدينة ففتح الله بهم مكة، فكان عددهم اثنى عشر ألفاً، ولقد وقع فى روع بعض جنود الإسلام أن النصر آت لامحالة اعتماداً على العدد، وهو ما بينه القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[1] وفى أودية تهامة واد يقال له حنين، وهو واد صعب الانحدار، سبقت هوازن وحلفاؤها إلى ذلك الوادى فكمنوا فى شعابه وأحنائه ومضايقه وتهيأوا واستعدوا، ولما وصل المسلمون وادى حنين هذا

(١) سورة التوبة : ٢٥.

انحدروا منه انحداراً، وفى عماية الصبح شدت هوازن على المسلمين شدة رجل واحد، وهنا وقع المسلمون فى كرب شديد، وضيق وحرج فكروا راجعين لايلوى أحد على أحد. وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، ثم قال: أين الناس؟ هلموا إلىَّ أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله، وقال النبى للعباس: ياعباس اصرخ: يامعشر الأنصار، يامعشر أصحاب السَّمُرَة، فأجابوا لبيك لبيك، حتى اجتمع حول النبى منهم مائة، وقد وقع القوم فى كرب عظيم، وهم وغم شديد.

ولقد كان النبى ﷺ يركب بغلته «دلدل» وتسمى «البيضاء» أيضا، وهى التى أهداها له فروة بن نعامة، وقد أورد السهيلى والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس، وفيه من حديث شيبة بن عثمان أن النبى ﷺ قال يوم حنين لعمه العباس: «**ناولنى من البطحاء**» أى: ناولنى حفنة من تراب الأرض، فأفْقَهَ الله البغلة كلامه، أى: فهمت كلام النبى فانخفضت به حتى كاد بطنها يمسُّ الأرض، فتناول رسول الله ﷺ من الحصباء، فنفخ فى وجوههم وقال: «**شاهت الوجوه، حـم. لايُنْصرون**» وهنا يقول جبير بن مُطْعم فيما رواه عنه ابن إسحاق: لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فنظرت فإذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادى، لم أشكّ أنها الملائكة، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم، ويقول أنس - رضى الله عنه-: «فانهزم القوم وما رميناهم بسهم، ولاطعناهم برمح، ولاضربناهم بسيف».

وبهذا فقد فرَّج الله كرب جيش المسلمين، ببركة النبى الكريم، وما يتحلى به من رباطة الجأش، والثبات على الأمر، وبفضل دعائه الوجيز الموجز الذى تفتحت له أبواب السماء، ونزلت جنود الله تملأ الوادى، وما يعلم جنود ربك إلا هو، ليصدق على الناس موعود الله إذ يقول: ﴿. . .**ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ**

جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾[1] أرأيت - أيها القارئ الكريم - كيف تكون عاقبة الاغترار بالقوة؟؟ إنها تفُت فى العضد، وتفرق الصفوف، وتوهن العزائم، أما التواضع والخضوع لله فإنه يعود بأطيب الثمرات، ويوحد الصفوف، فتلتقى القلوب على الهدف السامى النبيل، ويستمطر العباد بها شآبيب رحمة الله، فلا يلبث فرج الله القريب أن يدرك المضطرين، وقد لقنتهم التجربة درساً لاينسى.

فاجعلنا اللهم من عبادك المتواضعين، وافتح لنا بالتواضع أبواب الوصول، ومُنَّ علينا مع الوصول بالقبـول، يامن يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

٧- تفريج كرب حذيفة بن اليمان فى غزوة الأحزاب

إن الصحابىَّ الجليل سيدنا حذيفة بن اليمان له منزلة خاصة عند رسول الله ﷺ فكان كاتم سرِّه، حتى إن الرسول قبل لحاقه بالرفيق الأعلى قد ترك عنده بيانا بأسماء المنافقين الذين يسكنون المدينة، وإنما حَمَّله الرسول هذه الأمانة؛ لأنه كان دائما يسأل النبى عن الشر مخافة أن يدركه، وهذا بخلاف ما تعارف الناس عليه من السؤال عن الخير حتى يستكثروا من فعله، وهذه النزعة لدى «حذيفة» تذكرنا بقول الشاعر:

عرَفت الشـرَّ لا للشــر لكـن لتوقيــه ... ومـن لايعــرف الشــرَّ يقــع فيــه

وأما عن الشدة والكرب الذى وقع فيه حذيفة يوم الأحزاب فهو ما أخرجه البيهقى من عدة طرق، حيث يقول حذيفة عن هذا المشهد: لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب فى ليلة ذات ريح شديدة وقَرٍّ، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا رجلٌ يأتينى بخبر القوم يكون معى يوم القيامة؟**»

فلم يجبه منا أحد، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم قال: ياحذيفة قم فأتنا بخبر القوم، وهنا يحدثنا حذيفة عن الشدة التى وقع فيها حينئذ، فقد قال له النبى

(١) سورة التوبة : ٢٦.

ﷺ: أما سمعت صوتى؟ قال: بلى، قال: فما يمنعك أن تجيبنى؟ قال: البرد، ولكنه مع هذه الشدة والخوف والبرد كان لايستطيع أن يعصى لرسول الله أمراً، فقد قال فى رواية أخرى: يارسول الله ما قمت إليك إلا حياء منك من البرد، وهنا أدرك النبى ما قد انتاب حذيفة من كرب وشدة، فما كان منه إلا أن دعا له فقال: «**اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه، ومن تحته**» وقال له أيضاً: «**لابأس عليك من حر ولابرد حتى ترجع**» قال: فوالله ما خلق الله فزعاً ولا قرًّا (أى برداً) فى جوفى إلا خرج من جوفى، فما أجد منه شيئاً، فدخلت العسكر، فإذا الناس فى عسكرهم يقولون: الرحيل الرحيل، لا مقام لكم، وإذا الريح فى عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً، فوالله إنى لأسمع صوت الحجارة فى رحالهم وفرشهم، والريح تضربهم بها، ثم رجعت، فلما انتصف بى الطريق إذا أنا بنحو عشرين فارساً مُعْتَمِّينَ، (أى عليهم العمائم على رءوسهم) فقالوا: أخبر صاحبك أن الله كفاه القوم.

والطريف فى هذا الموقف أن فرج حذيفة كان بقدر أداء مهمته، حيث يقول: فمضيت كأنما أمشى فى حمام، ورجعت كأنما أمشى فى حمام، ثم أصابنى البرد حين فرغت، ويقول أيضا: فوالله ماعدا أن رجعت حتى راجعنى القُرّ، وجعلت أقرقف (أى من شدة البرد) وأنزل الله قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً**﴾(١).

وهذا الدعاء الذى دعا به رسول الله ﷺ لسيدنا حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - نافع لكل مكروب يريد خدمة دينه ابتغاء مرضاة الله، وحبًّا فى رسول الله ﷺ ويمكن للإنسان أن يدعو بهذا الدعاء لنفسه قائلاً: «**اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى، وعن يمينى وعن شمالى، ومن فوقى ومن تحتى**».

---

(١) سورة الأحزاب : ٩.

ولما أصاب حذيفةَ البردُ بعد أن رجع ألبسه رسول الله فضل عباءة كانت عنده يصلى فيها، فلم يزل نائما حتى الصباح، فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ: «**قم يا نومان**».

٨- تفريج كرب سعد بن أبى وقاص فى معركة القادسية

إن الصحابىَّ الجليلَ سعدَ بن أبى وقاص واحدٌ من الصحابة الأجلاء، الذين دخلوا الإسلام مبكرين، فيقول عن نفسه: «لقد أتى علىَّ يومٌ وإنى لثُلثُ الإسلام» وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله، وهو الوحيد الذى افتداه الرسول بأبويه؛ حيث قال له فى معركة أحد: «**ارم سعد، فداك أبى وأمى**» وهو الذى كان النبى ﷺ يباهى به ويقول: «**هذا خالى، فلْيُرنى امْرُؤٌ خاله**»؛ وذلك لأن جدَّ سعد - واسمه أهيب بنُ مناف - كان عمَّ السيدة آمنة، والدة الرسول ﷺ.

وكان سعد بن أبى وقاص من أشجع فرسان العرب والمسلمين، وكان له سلاحان ماضيان: هما رُمْحُه، ودعاؤه، فإذا رمى فى الحرب عدواً أصابه، وإذا دعا الله دعاءً أجابه، وذلك ببركة دعاء النبى ﷺ له، فحينما رأى الرسول ﷺ منه ذات يوم مَا سَرَّه وأقرَّ عينه، ما كان منه إلا أن دعا له قائلا: «**اللهم سَدِّدْ رميته، وأجب دعوته**».

وكان سعد - رضى الله عنه - كثير البكاء من خشية الله، وكان موفقاً مقبولا، فكما كان مستجاب الدعوة إذا دعا الله النصر أعطاه إياه، كان عفَّ الطُّعمة، عفَّ اللسان، عفَّ الضمير، وهو المبشَّر بالجنة، وهو فارس بدر وأحد، ولقد شهد المشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ.

ومن الكروب التى عاشها ابن أبى وقاص كربٌ عاناه خوفاً على الإسلام والمسلمين، إيمانا منه بجسامة المسئولية وخطرها، فبعد موقعة القادسية التى انتصر فيها الإسلام نصراً عزيزاً مؤزَّراً بقيادة سعد بن أبى وقاص، ما كان من الفرس إلا أن تجمعت فلولُ جيشهم وبقاياه استعداداً لخوض معركة فاصلة فى

«المدائن» وقد كان الفاصل الزمنى بين القادسية وبين معركة المدائن مايقرب من عامين، فما كان من سعد إلا أن قَيَّمَ الموقف، وأعاد حساباته فى ضوء إيمانه بالله، وخوفه على الإسلام والمسلمين، وحرصه على مواصلة الزحف وتقدم الراية دوماً إلى الأمام، وكان من شيمة سعد أن إيمانه وتصميمه ليتألقان فى وجه الخطر، ويتَسوَّران المستحيل فى استبسال عظيم، رأى سعد أن الوقت ليس فى صالحه، ولكن ماذا يفعل؟! إن بينه وبين العدو مانعاً مائيا يشكل له خطراً، إنه نهر دجلة، فاتخذ قراره بالعبور، وكان عليه أن يؤمِّنَ مكان الوصول فى الضفة الأخرى التى يرابط فيها العدو، إن المهمة صعبة، وكربُه يزداد لحظة بعد لحظة، وسرعان ما لمعت فى ذهنه المتوقد فكرةٌ جبارة، فنادى قائدين من قواده الكبار، هما «عاصم بن عمرو» و «القعقاع بن عمرو» فأمَّر عاصما على كتيبة أطلق عليها «كتيبة الأهوال»، وأمَّر القعقاع على كتيبة أخرى أطلق عليها «الكتيبة الخرساء» ودفع بهما إلى المقدمة، حتى إن هاتين الكتيبتين خاضتا الأهوال واستطاعتا بفضل الله الوصول إلى الهدف وتأمين منطقة وصول الجيش الباسل العابر بإذن الله.

وقد تمثل تفريج كرب سعد وأصحابه، بل تفريج كرب الأمة الإسلامية جمعاء فى هذا المشهد الرائع، وفى تلك اللحظة الفريدة، التى توقف الزمان عندها شاخصا، إنها لحظة العبور المجيد، فألهم الله هذا القائد دعاءً قرآنيا عظيما لم يلبث أن أمَرَ سائر الجيش بترديده، فتعالت صيحة الحق ﴿**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ ثم اقتحم بفرسه دجلة، واقتحم الناس وراءه، لم يتخلف عنه أحد، فساروا فى دجلة كأنما يسيرون على وجه الأرض حتى ملأوا ما بين الجانبين، وجعل الناس يتحدثون وهم يسيرون على وجه الماء كأنهم يسيرون على وجه الأرض، طمأنينة بالله، وثقة فى موعوده بتأييده ونصره... منظر يجل عن الوصف، أذهل سلمان الفارسى رفيق سعد فى المعركة؛ حيث لم يكد يرى الجيش العابر الصابر على هذا النحو حتى أخذ يضرب كفا على كف من شدة الدهشة والغبطة ويقول: «إن الإسلام جديد، ذُلِّلَتْ والله لهم البحار، كما ذُلِّلَ

لهم البر، والذى نفس سلمان بيده لَيَخْرُجُنَّ منه أفواجاً، كما دخلوه أفواجاً» أى ليخرجن من النهر سالمين أفواجاً كما نزلوا لُجَّتَهُ أفواجاً، ولقد كان، حيث خرج الجند من النهر بكامل عددهم وعتادهم، لم تضع منهم شكيمة فرس، حتى إن أحد المقاتلين سقط منه قدحه، فعز عليه أن يكون الوحيد بين رفاقه الذى يضيع منه شيء، فنادى أصحابه لكى يعاونوه على انتشاله حتى تم له التقاطه من لجة الماء، وهكذا فرج الله كرب سعد وجيشه ببركة هذا الدعاء العظيم، الذى أخلصت فيه النوايا لله، وقال القوم فى صدق: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

٩- تفريج كرب أبى مسلم الخولانى عند غزو الروم

إن أبا مُسلم الخولانىّ، واسمه «عبد الله بن ثَوْب» هو واحد من خيار التابعين وصالحيهم، بل إنه ليعتبر من أشهر عُبَّاد أهل زمانه وزهادهم، وقد أجرى الله - تعالى - على يديه كثيراً من الخوارق والكرامات، ومنها ما رواه ابن عساكر من طريق إسماعيل بن عياش، عن شُرَحبيل بن مسلم الخولانى: أن الأسود بن قيس تَنَبَّأَ باليمن (أى ادعى النبوة)، فبعث إلى أبى مسلم الخولانى، فأتاه، فقال: أتشهد أنى رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: تشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم، فأتى بنار عظيمة، ثم ألقى أبا مسلم فيها، فلم تَضُرَّه، فقيل للأسود: إن لم تَنْفِ هذا عنك أفسد عليك من اتبعك، فأمره بالرحيل، فقدم المدينة، وقد قُبض النبى ﷺ واستخلف أبو بكر، فقال أبو بكر: «الحمد لله الذى أَلْبَثَنِى (أى أبقانى) حتى أرانى فى أمة محمد ﷺ من صُنع به كما صُنع بإبراهيم خليل الرحمن».

ومن المواقف الشهيرة لأبى مسلم الخولانى ما أوردته كتب السنة من أن جيش المسلمين فى عهد عمر - رضى الله عنه - قد تعرض لمحنة قاسية وكرب شديد، عندما كانوا متوجهين لغزو الروم، حيث قد اعترضهم نهر دجلة، وهو مانع مائى، تعمل له الجيوش المتقدمة ألف حساب وحساب، سواء أكان ذلك فى الحروب القديمة أم فى الحروب الحديثة، ولقد تصادف مرورهم بدجلة فى

وقت كان فيضانها مرتفعاً، إلى حد أنها كانت ترمى الخشب من مَدِّها، أى من شدة جريان مائها، فاشتد لذلك كربهم، ففكروا فى الأمر وقدَّروا، وكان بينهم هذا التابعىُّ الصالح، أبو مسلم الخولانى، وهو معروف بحسن صلته بالله، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك.

وقد تمثل تفريج كرب هذا الجيش فيما قام به أبو مسلم الخولانى، فقد روى البيهقىُّ، وابنُ عساكر، وأبو داود، وأحمد: أن أبا مسلم مرَّ بين أيدى الجيش، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**اللهم أجَزْت بنى إسرائيل البحرَ، وإنَّا عبيدك، وفى سبيلك، فأجِزْنا هذا النهرَ اليوم**» ثم قال للجند: اعْبُروا باسم الله، ومَرَّ من بين أيديهم.

وهنا استجاب الله هذا الدعاء، فتقدم الجيش بكامله فعبروا النهرَ فما بَلَغَ الماء بطون الخيل حتى عبر الناس كلهم، ثم وقف أبو مسلم وقال: يامعشر المسلمين: هل ذهب لأحد منكم شىء؟ فأدْعُوَ الله - تعالى - برده؟ وفى رواية أخرى: «والتفت إلى أصحابه وقال: هل تفقدون من متاعكم شيئا فندعو الله؟» حتى إن بعض الجند لما سمع أبا مسلم يقول هذا قد ألقى مِخْلاتَهُ عمداً ثم قال: مخلاتى وقعت فى هذا النهر، فقال له أبو مسلم: اتبعنى، فإذا المخلاة قد وقعت وتعلقت ببعض أعواد النهر، فقال أبو مسلم لصاحب المخلاة: خذ مخلاتك، فأخذها.

وبهذا فقد فرَّج الله كرب هذا الجيش المتوكل على الله لنصرة دينه، وإخلاص عباد الله الصالحين، وحسن توجههم إلى الله - تعالى - وصدق الرجاء.

أرأيت أيها القارىء الكريم، كيف يأتى تفريج كرب المكروبين، وتذليل الصعاب أمام المؤمنين؟! فهكذا يكون المؤمن دائماً معتمداً على الله، متوكلا عليه، آخذا بالأسباب، وصدق الرسول الكريم، حينما يوجه الأمة - كلَّ الأمة - إلى الأخذ بهذه الأسباب العظيمة فيقول: «**لاتعجزوا فى الدعاء؛ فإنه لن يهلك**

مع الدعاء أحدٌ» فعلى العبد ألاّ يعجز بحال من الأحوال عن دعاء ربه، وطلب الخير والمعونة منه، فالدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض، اللهم هذه تحركات جوارحنا، مما لايغيب عنك شيء منها، فكن لها ساترا، اللهم أنت المطلع على خفقات القلوب، وأحاديث النفوس، نسألك أن تستر فلا تفضح، وأن ترحم فلا تعذب.

١٠- تفريج كروب المسلمين يوم فتح خيبر

إن خيبر مدينة كبيرة ذاتُ حصون كثيرة، ومزارع جيدة، وهى تقع على بعد مائة ميل شمالى المدينة جهة الشام، وكان اليهود يستوطنون هذه المنطقة، ولقد كان السبب الوحيد لغزو خيبر من قبل النبى والمسلمين هو عنادهم عن قبول الحق، وأحقادهم المعتملة فى صدورهم ضد الإسلام، بالرغم من دعوتهم للإسلام بالطرق السلمية هذه المدة الطويلة، التى بلغت سبع سنين من الهجرة، وقد سار إليها النبى فى جيش قوامه ألف وأربعمائة مقاتل، ما بين فارس (أى راكب فرساً) وراجل (أى يقاتل على قدميه) ولقد كان من عادة النبى ﷺ أنه إذا أغار على قوم لم يغر عليهم حتى يصبح، فإذا سمع أذانا أمسك عن قتالهم، وإذا لم يسمع أذانا أغار عليهم، وقد بات رسول الله ﷺ على مشارف خيبر، فلم يسمع بها أذانا، كما أن العمال الزراعيين قد خرجوا قبيل طلوع الشمس إلى مزارعهم، فلما رأوا جيش المسلمين صاحوا: محمد وجيشه، ثم ولوا هاربين، فأحكم أهل خيبر إغلاق حصونهم المحكمة التى أعدوها تحسبا لمواقف الإغارة عليهم، فقال النبى ﷺ قولته الشهيرة: «**الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**».

وقد تمثل كرب المسلمين آنذاك فيما يعلمونه من منعة تلك الحصون، وأن اليهود قد اتخذوا لأنفسهم فيها من الاحتياطيات الغذائية والمؤن ما يكفى لصمودهم فترات لايستهان بها، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ**﴾[١].

---

(١) سورة الحشر : ١٤.

ولما استشعر رسول الله ﷺ والمؤمنون بالله معه هذا الموقف وتلك الشدة ما كان منه ﷺ إلا أن استوقف القوم على مشارف خيبر ودعا بهذا الدعاء الذى يرويه عطاء بن أبى مروان الأسلمى عن أبيه عن أبى معتب بن عمرو أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم: «**قفوا**» ثم قال: «**اللهم ربَّ السموات وما أظلَلْن، وربَّ الأرضين وما أقللن، وربَّ الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذْرَيْن، فإنا نسألك خَيْرَ هذه القرية وخيرَ أهلها، وخيرَ ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها، وشرِّ ما فيها، أقْدموا بسم الله. وكان يقولها - عليه السلام - لكل قرية دخلها**». بهذه الضراعة، وبتلك المناجاة يتوجه النبى الكريم إلى الله العلى القدير، كى يفتح مغاليق هذه الحصون أمام جند الرحمن، وأن يجعلها غنيمة لهم.

ولقد استجاب الله لضراعة نبيه ﷺ وقد تمثل ذلك - من بين ما تمثل - فيما حكاه ابن إسحاق، وهو أن غَطَفان لما سمعوا بمنزل رسول الله من خيبر جمعوا له، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه، حتى إذا سارو ا مَنْقَلَةً، سمعوا خلفهم فى أموالهم وأهليهم حسًّا (أى سمعوا جلبة أصوات) ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم فأقاموا فى أموالهم وأهليهم، وخَلَّوْا بين رسول الله وبين خيبر.

كما بدأت حصون خيبر وقلاعها تتهاوى حصنا حصنا، فتم فتح حصن «ناعم» وتلاه حصنُ «بنى أبى الحقيق» وهو الذى كانت تقيم فيه «صفية بنت حُيى بن أخطب» وهى التى تزوجها النبى ﷺ وكان شعار أصحاب النبى ﷺ فى قتالهم يوم خيبر: **يامنصور، أمِتْ، أمِتْ**.

وتوالى فتح هذه الحصون التى طالما تطاول أهلها على الإسلام وعلى نبى الإسلام، وطالما دبروا الوقائع والمكائد حتى أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وجعلهم غنيمة للمؤمنين، بفضل وبركة دعوات النبى الكريم ﷺ.

١١- تفريج واحد من كروب المسلمين فى خيبر

لقد تعرض المسلمون أثناء فتح خيبر إلى بعض الشدائد التى جعلتهم يلتمسون تفريجها بدعوات طيبة من رسول الله ﷺ وقد كانت تلك الدعوات هى الوسيلة الفعالة فى فتح مغاليق تلك الحصون، فبعد أن تم فتح حصنى «ناعم» و «ابن أبى الحقيق»، وهما من الحصون الصغيرة المتواضعة، فقد أبدت الحصون الكبيرة مقاومة ملحوظة، وبخاصة حصن «الصعب بن معاذ» وهو من أشهر وأكبر وأمنع حصون خيبر آنذاك، كما أنه كان الحصن الرئيسى المملوء بالذخائر والمؤن، فهو فى تقديرهم وفى تقدير المراقبين المستودع الرئيسى لتلك الحصون، فهو عامر - بل زاخر - بالطعام والوَدْك، وغيرها مما يحتاجه الناس فى معايشهم، وكان المسلمون قد أصابهم الجهد، وليس معهم ما يتقوون به على قتال أعداء الله، فما كان من المسلمين إلا أن تقدم بعضهم إلى رسول الله ﷺ - وهم بنو سهم من قبيلة أسلم - فشكوا إليه حالهم، وما نالهم من فاقة وجهد؛ حيث قالوا: يارسول الله: لقد جُهدنا، وما بأيدينا من شىء، فلم يجدوا عند رسول الله شيئا يعطيهم إياه، فماذا يصنع لهم، وماذا يصنعون؟!! ومعلوم ـ كما يقال فى شعارات الحروب-: إن الجيوش تمشى على بطونها، أى: إن الإمداد والتموين هو الشريان الحيوى الدافق الذى يجعلها تصمد، وتتقدم وتحرز انتصاراتها بفضل اعتمادها على الله، وثقتها فى موعوده، فنظر النبى ﷺ إليهم نظرة إشفاق، وأراد أن يعلمهم وجهتهم الصحيحة يوم تشتد الأمور، وتتأزم الأحوال، أنه لا وجهة لهم إلا الله رب العالمين، الذى بيده وحده مفاتيح الفرج، وإجابة المضطر، ونصر المظلوم، ما كان منه ﷺ إلا أن نفحهم هذه الضراعة النبوية الكريمة، والمنحة المحمدية الغالية، فرفع يديه إلى السماء ضارعا إلى الله، لائذا ببابه، قاصداً جنابه، متبتلا فى محرابه بكلمات ملؤها الصدق والإخلاص، وعتها عقول الأصحاب قبل أن تسمعها آذانهم، وإليك أيها القارئ الكريم هذه الضراعة وتلك المناجاة:

«اللهم إنك قد عرفت حالهم، وأن ليست بهم قوة، وأن ليس بيدى شىء أعطيهم إياه، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء، وأكثرها طعاماً وودْكا (سَمْنا)» كلمات غير متكلِّفة، فهى ضراعة إلى الله بلسان المقال، المعبر عن لسان الحال، وذلك أبلغ ما يدعو به الداعون، ويتقرب إلى الله به المتقربون، فهو الذى يعلم السر وأخفى.

وقد تمثل تفريج هذا الكرب، وكشف هذا الهم والغم، أن بات الناس ليلتهم مقيمين على طاعة ربهم، مجتهدين فى عبادتهم، وفى الصباح رأوا عجبا، فقد فتح الله - عز وجل - عليهم أعظم حصون خيبر وأغناها وأمنعها، ببركة هذه الدعوات الكريمات، فتح الله عليهم حصن الصعب بن معاذ، وهو الحصن الذى يشار إليه بالبنان، فتحه الله على المسلمين بدون أدنى مقاومة أو جهد، وكأن الله قد ألقى فى قلوب أهل هذا الحصن الرعب، مصداقا لقول النبى الكريم: **«ونُصِرْتُ بالرعب»** فكان فى فتح هذا الحصن وسقوطه فى أيدى المسلمين تفريجَ كربهم، وتخفيف معاناتهم.

وهكذا استمر المسلمون فى تقدمهم، ومواصلة كفاحهم ضد صلف المادة وغرورها وجبروتها، ضد اللجاجة والعناد، حتى انتهوا إلى آخر معقلين من هذه المعاقل، وهما حصنا «الوطيح، والسُّلالم» فحاصرهما النبى ﷺ بضع عشرة ليلة، حتى مَنَّ الله بفتح هذه الحصون جميعاً، لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى والله عزيز حكيم.

فانظر - يا رعاك الله - بعين الاعتبار؛ لكى ترى رسول الله ﷺ وهو يستخدم أمضى أسلحة الإيمان إذا تأزمت الأمور، واشتد المضيق، انه سلاح الضراعة والدعاء، الذى يجب على المسلمين أن يستثمروه فى وجه طغيان المادة وصلف التقنية، فى كل حال وعلى أى حال، فالله قد أمرنا بالدعاء، ووعدنا بالإجابة: **﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾**[١] فاستجب لنا ياربنا كما وعدتنا، وما ذلك عليك بعزيز.

---

(١) سورة غافر : ٦٠.

١٢- تفريج كرب الإمام على يوم الخندق عند مواجهة عمرو بن وُدّ

إن الإمام علىّ بن أبى طالب - رضى الله عنه وكرم وجهه - هو ابن عم رسول الله ﷺ وهو ربيب بيت النبوة، فقد تربى فى كنف الرسول الأمين، وكان أول الفتيان دخولا فى الإسلام، ومن أجل هذا وغيره، فقد كان حبيبا إلى قلب النبى ﷺ حتى إنه ليقول له: «**أنت منى بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبى بعدى**».

وقد أثر عن الإمام علىٍّ الشجاعة الفائقة حتى فى صباه الباكر، وقد كان النبى الكريم.. يعده لغد مقبل تنتظره الدعوة الإسلامية.

ولما كانت غزوة الأحزاب الشهيرة، والتى تجمعت فيها قوى البغى والشر، مستهدفين استئصال شأفة الإسلام وأهله، فلم يكن أمام النبى ﷺ وقد أصبح الخطر يتهدد المدينة المنورة، عاصمة الدولة الإسلامية الناهضة والنابضة بإذن الله - تعالى - لم يكن أمامه من سبيل للدفاع عن المدينة إلا اتباع الخطة التى تسفر عنها مشورة القوم فى هذا الشأن.

وقد تمثلت هذه الخطة فى إقامة خندق حول المدينة كنوع من فنون الحرب الفارسية، وقد أشار بهذا الرأى الصحابى الجليل «سلمان الفارسى».

وقد أصبح النبى ﷺ والمؤمنون بالله معه داخل الخندق، والمشركون خارجه، وقد اقتحم جماعة من المشركين الخندق من ناحية ضيقة فيه، وهم يركبون خيولهم، أوكان من بين هؤلاء المغيرين فارس مشهود له بالكفاءة القتالية؛ حيث كان يجيد فن المبارزة بالسيف، وقد بلغ من شدته أنه كان إذا وقف على النطع، وحاول القوم زحزحته عنه لم يستطيعوا لذلك سبيلا، حتى إن النطع ليمزق قطعا صغيرة إلا موضع قدميه، وما يستطيعون زحزحته عنه، والنطع هو جلد البعير، ذلكم الفارس هو «عمرو بن عَبْد وُدّ» فأخذ هذا المشرك يوبخ المسلمين، ويتهكم بهم قائلا: أين جنتكم التى تزعمون أن من قتل منكم فسيدخلها؟ أفلا تبرزون لى رجلا؟!

وهنا ثارت دماء النخوة فى صدر على، وازدادت ثورتها حينما لم يجب أحد من معسكر المسلمين ذلك العمرو، فقال لرسول الله ﷺ : أنا له يارسول الله، فقال له النبى: اجلس إنه عمرو، فقال: وإن كان عَمْرًا: فأذن له الرسول وأعطاه سيفة ذا الفقار، وألبسه درعه الحديد، وعمَّمَهُ بعمامته وقال: «**اللهم أعنه عليه، اللهم هذا أخى وابن عمى فلا تذرنى فرداً وأنت خير الوارثين**».

فتقدم إليه عَلِىٌّ فى ثقة الواثق بالله، وأعانه الله عليه فقتله، وعاد ظافراً منتصراً، ففت مقتل عمرو فى نفوس أصحابه، ولما عاد علىٌّ إلى رسول الله ﷺ قال له: كيف وجدت نفسك معه يا على؟ قال: وجدت أن لو كان أهل المدينة فى جانب وأنا فى جانب لقدرت عليهم.

وبهذا يتضح لنا أن الكرب الذى لحق بعلى من جراء هذا التهديد قد فرجه الله عنه، ومنحه القوة والثبات ببركة دعوات النبى الكريمة له بالعون والنصر، وأن المسلم حينما يعقد العزم على فعل الخير ونصرة دين الله فى أى موقع، فإن عون الله يكون حليفه، ويأتيه الغوث والمدد من حيث لايدرى ولايحتسب.

فكن اللهم لنا ولا تكن علينا، وفرج عنا كل شدة وكرب يا أرحم الراحمين.

***



الباب السادس

كروب النجاة من المخالفات والمعاصى



لقد تعرضنا فى الأبواب السابقة إلى التذكير ببعض الشدائد التى تصيب الإنسان من ضيق فى معيشته، أو مرض يلحق بصحته، أو ما يتعلق بأحوال الاجتماع البشرى، سواء أكان ذلك بالنسبة له فى خاصة نفسه، أو فى علاقته بأفراد أسرته الصغيرة، أو بأفراد مجتمعه الكبير، وكل هذه الشدائد مقدور عليها؛ لأن الصبر فيها من أعظم أسباب العون عليها.

وبقى أن نذكر كربا آخر، إنه كرب المخالفات والمعاصى، فهو من أشد الكروب على النفس التواقة إلى مغفرة الله، فلا يدرك شؤم المعصية إلا من توهج نور الإيمان واليقين فى صدره، وحينئذ يود لو يَفْتَكُّ نفسه من هذه الأغلال بكل مرتخص وغال، فللمعاصى غصص وعقابيل.

١- تفريج كرب أبى البشر آدم عليه السلام

لقد تعرض أبو البشر آدم - عليه السلام - إلى اختبار تكليفى من الله - تعالى - عقب خلقه ونفخ الروح فيه، حيث قد بوأه الله الجنة هو وزوجه حواء، وأحل له فيها سائر الطيبات، ولم ينهه إلا عن قربان شجرة بعينها: ﴿ **إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ** ﴾[١] وهنالك عز على إبليس اللعين، طريد هذه الجنة، عز عليه أن يرى آدم وزوجه يتقلبان فى هذا الحبور والسرور، فنفث فى روعهما من سعار حقده مازَلَّت به أقدامهما، فالمؤمن غرٌّ كريم، والكافر خبٌّ لئيم: ﴿ **فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١)**

(١) سورة طه : ١١٨ ، ١١٩ .

فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾[1].

وهنا حل بآدم وزوجه الشقاء، وزحفت على رأسيهما جيوش الكروب والهموم، وضاعف من همومهما عقاب الله لهما المتمثل فى قول الله - تعالى -: **﴿. . . وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾**[2] فأخذ آدم يجرى فى أرجاء الجنة وهو يسمع النداء الإلهى من جديد: «**أفراراً منى ياآدم؟**»، فقال فى خجل وحزن، وبَالٍ كَاسِفٍ وقلبٍ حزين: «**بل حياء منك يارب العالمين**» وبهذا فقد شقى آدم بالمعصية شقاء لاحدود له، وهكذا يشقى العصاة من ذريته بسبب ذنوبهم.

وقد ترفق الله بآدم أبى البشر، وفتح له بابا من أبواب رحمته، حيث قد أقر بذنبه، فالإقرار بالذنب أول طريق التوبة، فقال ما أورده القرآن الكريم: **﴿. . رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**[3] ومن الأدعية التى ألهم الله بها آدم - عليه السلام - ما قاله مجاهد عند بيانه للكلمات التى تلقاها آدم من ربه فتاب عليه: «**الكلمات هى: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى إنك خير الراحمين، اللهم لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، رب إنى ظلمت نفسى فتب على إنك أنت التواب الرحيم**» ونحن نرى أن هذه الكلمات تخرج أنوارها من مشكاة الآية الكريمة.

ولقد فرج الله كرب آدم وزوجه بالتوبة عليهما، وقبول عذرهما، وهدايتهما إلى طريق الفلاح، وكان فى هذا الذى صدر منهما باب أمل ورحمة من الله للعاصين، كى ينهضوا بعد كبواتهم، ويواصلوا المسير بعد عثراتهم، ففى

---

(١) سورة الأعراف : ٢٠ - ٢٢.

(٢) سورة الأعراف : ٢٢.

(٣) سورة الأعراف : ٢٣.

الحديث الشريف: «**كل بنى آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**» فمن ارتكب معصية ثم رجع إلى الله فى إخلاص وصدق، فحق على الله وواجب عليه من غير موجب أن يفتح له أبواب التوبة والقبول، كما يتفضل عليه فيثيبه خيراً عن كل ما تعرض له من آلام وخز الضمير، ومحاولات التخلص من آثار معصيته، يقول الله - تبارك وتعالى - عن آدم: ﴿**ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ**﴾(١).

وصدق رسول الله ﷺ فيما رواه الترمذى: «**لايصيب عبداً نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر، ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾**(٢) وروى الطبرانى وابن عساكر أن النبى ﷺ قال: «**والذى نفسى بيده ما خدش عود، ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر**».

فارحمنا اللهم بترك المعاصى أبداً ما أبقيتنا، وارحمنا أن نتكلف ما لا يعنينا، وارزقنا حسن النظر فيما يرضيك عنا، يا أرحم الراحمين.

٢- تفريج كرب نبى الله سليمان عليه السلام

إن نبى الله سليمان - عليه السلام - هو ابن نبى الله داود - عليه السلام - وهما من أنبياء بنى إسرائيل، ولقد امتن الله - تعالى - عليهما بمننه الكثيرة، ونعمه الغزيرة الوفيرة، على نحو ما جاء فى الكتاب العزيز: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**﴾(٣) ولقد أجاب الله - تعالى - دعاء سليمان حينما سأله قائلا: ﴿**رَبِّ**

(١) سورة طه : ١٢٢.

(٢) سورة الشورى : ٣٠.

(٣) سورة النمل : ١٥ - ١٧.

اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

ويقول ربنا عن فضله على سليمان: **﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾**[2].

وكان سليمان - عليه السلام - رجلا غَزَّاءً (أى كثير الغزو فى سبيل الله) فما سمع بملك فى ناحية من الأرض إلا قاتله داعيا إياه للإيمان بالله - تعالى - وكان يساعده فى ذلك حمل الريح لآلة حربه وجنوده، ولقد بلغ من حب سليمان للجهاد ما أوقعه فى كرب شديد؛ ذلك أنه رغب فى أن يكون له عدد غفير من الفرسان من صلبه، وكان له عدد من الأزواج قد يصل السبعين، ولم يكن التعدد على هذا النحو محظورا فى شرعه، فما كان منه إلا أن أقسم فى إحدى الليالى ليطوفن على نسائه، وكل واحدة منهن تنجب له ولداً يكون فارسا ومجاهدا فى سبيل الله - تعالى - ولكن فى غمرة مشاعره، وطمعه فى الخير ورجائه إياه نسى أن يتبع قسمه هذا بلفظ المشيئة فيقول: إن شاء الله تعالى، وذلك مروى عن أبى هريرة عند الشيخين وغيرهما، وفيه يقول النبى ﷺ: قال سليمان: «**لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله تعالى ولم يقل إن شاء الله**» وفى هذا الحديث يقول النبى ﷺ: «**والذى نفس محمد بيده لو قال (إن شاء الله) لجاهدوا فرسانا**».

---

(١) سورة ص : ٣٥ - ٣٩.

(٢) سورة سبأ : ١٢ ، ١٣.

لكن الذى ثبت عند البخارى «أربعون» بدلاً من «سبعين» وأن الملك قال له: قل: إن شاء الله، فلم يقل، وقصده أنه ترك الأولى فليس بذنب، فلم تحمل له امرأة اللهم إلا واحدة حملت وجاءت بولد ناقص الخلقة، فألقته القابلة على كرسى سليمان ليراه، وهنالك وقع سليمان فى كرب شديد، بلغ حد الفتنة، وأن الذى حدث له إنما هو من جراء مخالفته الملك، وهنا لم يكن أمامه من سبيل للخروج من ضائقته إلا بالرجوع إلى الله بسرعة فائقة، فهو الذى يقبل التوبة ويعفو عن السيئات، ولقد صور القرآن الكريم هذا الكرب وتلك الشدة مقترنين بالدعاء والرجاء وطلب الملك الواسع من الله، فى قول الله - تعالى-: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾(١).

ولقد تمثل تفريج كربه فى غفران ذنبه، وتسخير الريح والشياطين له، يقول الله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾(٢).

أرأيت - أيها القارىء الكريم - كيف يتفضل مولانا على عباده، فيجبر كسرهم، ويقيلهم من عثراتهم إذا ما تابوا وأنابوا، بل أرأيت كيف يرضى خاطرهم، ويعطيهم ما سألوا، مما لم يعطه أحداً غيرهم من النبيين، فيا كل مذنب، ويا كل خطاء: اتخذ من خطئك قوة دفع تقربك إلى ربك فإنه فى شوق إليك.

٣- تفريج كرب نبى الله يونس عليه السلام

إن نبىَّ الله يونس - عليه السلام - هو يونس بن متى، ويدعى ذا النون- أى

(١) سورة ص ، الآيتان : ٣٤ ، ٣٥.
(٢) سورة ص ، الآيات : ٣٦ - ٤٠.

صاحب الحوت - كذلك، وهو نبى مرسل، أرسله الله إلى أهل نينوى ببلاد الموصل من أرض العراق، فدعاهم إلى الله، وبالغ فى دعوته، ولكنهم لم يستجيبوا له، فبرم منهم وهاجر عنهم قبل أن يأمره الله بذلك، وكان الصواب أن ينتظر حتى يؤمر بذلك، ومن أجل هذا التصرف فقد وقع فى كرب وشدة عظيمة، لاينجى منها إلا عفو الله رب العالمين، فلما خرج وكان عليه أن يركب سفينة لكى ينتقل إلى الجهة الأخرى من النهر، وقد كانت السفينة مشحونة بالركاب، فما كان من السفينة إلا أن توقفت بهم فى عرض النهر، فأعلن ربانها أن بها عبداً آبقاً (هارباً) من سيده، وكان من عادة البحارة أن السفينة إذا ركبها عبد آبق فإنها لاتجرى على الماء، ولما كانوا لايعرفون ذلك الآبق على وجه التحديد، فإما أن يعلن هو عن نفسه، أو أن يُجْرُوا قرعة لإخراجه، فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس، فقال: نعم، أنا آبق، ورمى بنفسه فى الماء، فابتلعه الحوت وهو مليم، أى آت بما يلام عليه، وذلك مصداق قول الله - تعالى-: **﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾**(١) وقد مثل له ذلك المستَقَرُّ الجديد لونا من الكروب الشديدة، فما كان من رب العالمين إلا أن ألهمه دعاء لتفريج كربه، فقال: «اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين» وفى ذلك يقول الله - تعالى-: **﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾**(٢).

ولقد ورد عن النبى ﷺ أنه قال: «إن يونس - عليه السلام - حين بَدَا له أن يدعو بالكلمات حين ناداه وهو فى بطن الحوت فقال: **﴿اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين﴾ فأقبلت الدعوة نحو العرش، فقالت الملائكة:**

(١) سورة الصافات : ١٣٩-١٤٢.

(٢) سورة الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨.

يارب هذا صوت ضعيف مكروب من بلاد غريبة، قال: أما تعرفون ذلك؟ قالوا: لا يارب، قال: ذلك عبدىً يونس، قالوا: عبدك يونس الذى لم يزل نرفع له عملاً صالحاً متقبلاً ودعوة مستجابة؟ قال: نعم، قالوا: يارب أفلا ترحم ما كان يصنع فى الرخاء فتنجيه من البلاء؟ قال: بلى، فأمر الحوت فطرحه بالعراء».

وقد تمثل تفريج كرب هذا العبد الصالح والرسول الكريم فى إخراجه من بطن الحوت، وما أجراه الله عليه من النعمة، حيث أنبت عليه شجرة من اليقطين، وأمده بألطافه الخفية، وفى ذلك يقول الفتاح العليم: **﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾**(١).

وذلك كله بسبب توفيق الله له، وإلهامه التسبيح فى تلك الظلمات السحيقة: ظلمة بطن الحوت، وظلمة النهر، وظلمة الليل، وصدق الله القائل: **﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾**(٢).

أرأيت - أيها القارئ الكريم - كيف تأتى ألطاف الله بالعبد حينما يلهمه الله التسبيح؟! وصدق الرسول الكريم إذ يقول فيما رواه عنه سعد بن أبى وقاص: **«دعوة ذى النون وهو فى بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، لم يدع بها رجل مسلم فى شيء قط إلا استجاب الله له» وعن سعد بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اسمُ الله - عز وجل - الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطي، دعوة يونس بن متى»** قال: قلت: يارسول الله: هى ليونس بن متى خاصة، أو لجماعة المسلمين؟ قال: **«هى ليونس بن متى خاصة، وللمسلمين عامة إذا دعوا بها، ألم تسمع قول الله - عز وجل - : ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣) فهو شرط الله لمن دعا به»**.

---

(١) سورة الصافات: ١٤٥ ، ١٤٦.

(٢) سورة الصافات : ١٤٣ ، ١٤٤.

(٣) سورة الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨.

فاللهم يامن نجيت يونس فى بطن الحوت، وحفظت الحبيب محمداً بنسيج العنكبوت، نسألك يا حيًّـا لا يموت: أن تضرب علينا سراداقات عزك، وأن تكنفنا وتحوطنا بألطافك الخفية، من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، يا ذا الجلال والإكرام.

٤- تفريج كرب قوم يونس

إن نزول الشدائد والكروب بآحاد الناس وأفرداهم أمرٌ مشاهد ملموس، وتأتى ضراعة العبد على قدر وطأة الكرب وشدته، كما أن فرج الله يأتى لهذا المكروب أو ذاك من منطلق اطلاعه على دخيلة نفسه، فهو - سبحانه وتعالى- يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، أما أن ينزل كرب بأمة بأسرها فذلك من الأمور التى تقع فى حدود الندرة ودائرتها، والقرآن الكريم حينما يحدثنا عن قصة يونس - عليه السلام - مع قومه، فإنه يوقفنا على حقيقة كفرهم به وتكذيبهم له، الأمر الذى دعاه إلى الرحيل عنهم بغير إذن من الله، فوقع هو فى كرب شديد نجاه الله منه، وفى ذلك يقول الإمام على - كرم الله وجهه - : بعث الله يونس بن متى إلى قومه وهو ابن ثلاثين سنة، فأقام فيهم يدعوهم إلى الله - تعالى - ثلاثا وثلاثين سنة، فلم يؤمن به إلا رجلان، كان أحدهما عالما حكيما، والآخر كان عابداً زاهداً وقال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما: لما أيس يونس من إيمان قومه دعا عليهم، فقيل له: ما أسرع ما دعوت على قومك! ارجع إليهم فادعهم أربعين ليلة أخرى، فإن أجابوك وإلا فإنى مرسل عليهم العذاب، فرجع فدعاهم سبعاً وثلاثين ليلة فلم يجيبوه، فقام خطيبا فيهم وقال: إنى محذركم العذاب إلى ثلاثة أيام إن لم تؤمنوا، ثم قال لهم: إن آية ذلك أن تتغير ألوانكم، فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم، فقالوا لبعضهم: قد نزل بكم ما قال يونس، وإنا لم نجرب عليه كذبا، فانظروا، فإن بات فيكم الليلة فأتمنوا من العذاب، وإن لم يبت فيكم فاعلموا أن العذاب مصبحكم، فلما كان ليلة الأربعين ورأى يونس تغير ألوانهم علم أن العذاب نازل بهم، فخرج من بين أظهرهم، فلما أصبحوا تغشاهم العذاب.

ولقد تمثل كرب هؤلاء القوم، وتعاظمت شدتهم حينما رأوا آلات العذاب وأدواته على رءوسهم، وقد أصبحت منهم قاب قوسين أو أدنى، يقول سعيد بن جبير: تغشاهم العذاب كما يغشى الترابُ القبر إذا دخل فيه صاحبه، فقد أغيمت السماءُ غيماً أسود هائلا، يدخن دخاناً شديداً، فهبط هذا الدخان حتى غشى مدينتهم واسودت أسطح منازلهم، فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك لامحالة، فطلبوا نبيهم يونس وبحثوا عنه فى كل مكان فلم يجدوه.

فاستشعروا بشاعة ما حل بهم، وأن ذلك إنما كان بسبب إعراضهم عن دعوة نبيّهم، فما كان منهم إلا أن ذهبوا إلى رجل من بقية علمائهم، ونحسبه ذلك العالم الحكيم الذى آمن بيونس وبدعوته، فقالوا له: قد نزل بنا من العذاب ما ترى، فما ترى؟ فقال لهم: «**قولوا: ياحيُّ حينَ لا حَيّ، ياحيُّ حين تحيى الموتى، لا إله إلا أنت**» إنها دعوة صادقة من رجل صادق، ونصيحة مخلصة لأمّة مأزومة مكروبة، فقذف الله فى قلوبهم التوبة، وألهمهم الرجوع إليه، فلبسوا المسوح وخرجوا فى صعيد واحد بأنفسهم ونسائهم وذريتهم ودوابهم فى صورة أشبه بصورة البعث، نعم إنه بعث جديد لهم، وحياة جديدة تنتظرهم، فلا حياة على الحقيقة إلا فى الرجوع إلى الله تعالى، فأظهروا الإيمان والتوبة لله، وأخلصوا النية، وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب والأنعام، فتعالت الأصوات، واختلط الحنين بالأنين، وتضرعوا لله قائلين: آمنا بما جاء به يونس.

منظر يجل عن الوصف، ويفوق كل تصور وخيال، لو قدر لها أن تقدم للناس فى عرض واقعى لتقطعت منها نياط القلوب، ولأرجعت كل ضال وغاوٍ إلى حظيرة الحق الربانية..

ولقد بلغ من حسن توبتهم أنهم ترادُّوا المظالم التى كانت بينهم، حتى إن الرجل ليأتى إلى الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيقتلعه ويرده إلى صاحبه..

فكان من لطف الله بهم أن رحمهم واستجاب دعاءهم، وقبل توبتهم، وكشف عنهم العذاب، وأرسل لهم نبيهم يونس مرة ثانية، وفى هذا يقول الله تعالى: ﴿ **فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ** ﴾[1] وصدق رسول الله إذ يقول: «**قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**».

فاللهم يامقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك يا ألله، ورد الناس إلى الحق والعدل، واهدنا صراطك المستقيم، وما ذلك عليك بعزيز يارب العالمين.

٥- تفريج كرب كعب بن زهير بن أبى سُلمى

إن «كعب بن زهير بن أبى سلمى» كان يقيم مع أخ آخر له يُدعى «بُجَيْراً»، فلما فتح الله على رسوله وعلى المؤمنين مكة المكرمة، خرج منها ناسٌ هاربين، وكان من بينهم «كعب» و «بجير»، ظل هذان الأخوان يجوبان صحراء الحجاز بأغنامهما حتى أتيا منطقة لبنى سعد، يقال لها: «أبرق العُزَّاف»، وهى عبارة عن واد يوجد الماء فيه بوفرة، ويقع على بعد عشرين ميلا من المدينة المنورة، وسُمى هذا الوادى بهذا الاسم؛ لأن أصوات الجن وعزفهم كانت تسمع بهذا الوادى، وقد استقر بهم الْمُقَام فى هذا الوادى بعض الوقت، وما هى إلا فترة وجيزة حتى عرض «بجير» على أخيه «كعب» أن يرعى أنعامهما، وينطلق هو (بجير) إلى المدينة ليقابل النبى ﷺ ويتعرف على حقيقة دعوته، فإن وجده صادقا اتبعه، وإلا فارقه، فقبل كعب، وانطلق بجير، حتى أتى رسول الله ﷺ فدخل هذا الرجل دائرة الهداية الكبرى، فسمع من رسول الله ما أثلج صدره، فآمن به وأقام عنده.

---

(١) سورة يونس: ٩٨.

فملا بلغ ذلك «كعبًا» غضب وكتب لأخيه الرسالة التالية شعرا:

ألا بلّغا عنى «بُجيرا» رسالة فهل لك فيما قلتُ ويحك هل لكا؟

سقاك بها «المأمون» كأساً رَوِيَّة فأنهلك «المأمون» منها وعلَّكا

ففارقت أسباب الهدى واتبعته على أى شىء وَيْتَ غيرك دلَّكا؟

على مذهب لم تَلْقَ أما ولا أباً عليه، ولم تعرف عليه أخاً لكا

فإن أنت لم تفعل فلستُ بآسف ولا قائل إمَّا عثرتَ: لعاً لكا

فلما بلغت هذه الرسالة «بجيرا» أخبر بها رسول الله ﷺ وهى أبيات تطفح بالحقد على الإسلام، وقلب الحقائق؛ حيث نسب لرسول الله الغواية بدلا من الهداية، فما كان من الرسول إلا أن أهدر دمه (أى دم كعب) وقال: «**من لَقِيَ كعباً فليقتله**» فكتب إليه بجير يخبره بذلك، ويدعوه للحضور مسرعاً؛ فإن رسول الله ﷺ لايرد أحداً جاء إليه تائباً، ولا يطالب بما تقدم قبل الإسلام، فالإسلام يهدم ما كان قبله.

* وماذا كان من أمر كعب بعد أن بلغه ذلك الخبر؟

* لقد كان من أمر كعب بعد هذه الرسالة ما كان، لقد عرض نفسه على القبائل المجاورة لكى تجيره فأبت كلها، وهنا تملكه الغم والضيق، حتى لقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت، فلم يبق له ملجأ من الله إلا إلى الله، فهداه الله فأنشأ قصيدته العصماء «بانت سعاد» والتى تقع فى ثمانية وخمسين بيتا، يمدح فيها رسول الله والمهاجرين، ويستعطف رسول الله، ويطلب منه الأمان، ثم خرج حتى وصل المدينة، فنزل على رجل من «جهينة» كانت بينه وبينه معرفة، فأتى به المسجد، ثم قال له: هذا رسول الله، فقم إليه واستأمنه، فقام «كعب» إلى رسول الله حتى جلس بين يديه، وقال: يارسول الله إن «كعبَ بنَ زهير» قد جاءك ليسْتأمنك تائبا مسلما، فهل أنت قابلٌ إن أنا جئْتُك به؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم. فقال: يارسول الله أنا هو، أى: أنا كعب، ثم إن كعباً قام وأخذ ينشد قصيدته بين يدى رسول الله ﷺ وهو يستمع إليه، ومن بين ما جاء فى هذه

القصيدة قوله:

أنبئتُ أن رســـول الله أوْعَدنـى ... والعفو عند رســـول الله مأمولُ

وقد أتيــت رســـول الله معتـذراً ... والعذر عند رســـول الله مقبولُ

مهلاً هـداك الــذى أعطــاك نــا ... فلَةَ القرآن فيها مواعيظ وتفصيلُ

لا تأخُذَنّى بأقوال الوشـــاة ولـم ... أذنب، وقد كثُرتْ فِىَّ الأقاويلُ

إلى أن وصل إلى قوله:

إنَّ الرسـول لَنُــورٌ يُسْتَضَــاءُ بـه ... مُهَنَّـدٌ مـن سُــيوف الله مَسْلُولُ

وهنا جاءه الفرج من الله؛ فامتن عليه رسول الله ﷺ وألقى عليه بردته التى كانت عليه لقاء ما قدم للإسلام من قول صادق، ولقد نالت هذه القصيدة شرف استماع النبى إليها، وإجازته لقائلها ومكافأته عليها، وهكذا فرج الله كرب «كعب ابن زهير» وأبدله بعقيدة الشرك عقيدة التوحيد الخالص، وهكذا تتضح لنا ألطاف الله بعباده، فقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، ومن هنا - وكما يقول العارفون-: إذا خُيِّرت أن تختار، فاختر ألا تختار، وقل كما قال النبى المختار : «اللهم خِرْ لى واخْتَرْلِى» آمين آمين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

٦- تفريج كرب نِفاقِ حَرْمَلَة

إن النفاق فى حقيقة أمره لون من ألوان الاضطرابات النفسية، وسخيمة من سخائم النفس البشرية، يوقعُ صاحبه تحت قوتى جذب متصارعتين، إحداهما حقيقية، والأخرى زائفة وغيرُ حقيقية، أما القوة الحقيقية فهى تلك التى تعتمل فى صدره، وتجيشُ بها نفسه، إنها قوة الكفر - والعياذ بالله تعالى - وأما القوة الأخرى الزائفة فهى ذلك القناع الذى يَلْبَسه للناس زوراً وبهتانا، حيث يتصنع

الإيمان بالله تعالى، وكم تكلفه هذه القوة الأخيرة من تصنع وتظاهر عندما يرى المؤمنين بالله، على نحو ما عبر عنه رب العالمين فى محكم كتابه: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾(١) وعندما ينصرف المنافق إلى أترابه وأقرانه وأشباهه ونظائره، فإنه يحلق فى سماء الفرح والسرور، وقد سجل القرآن عليهم ذلك فى قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(٢) ومن جهة أخرى فإنهم يزعمون أن تظاهرهم أمام المؤمنين بالإيمان هو نوع من الفتح الربانى، أو الكشف الصمدانى، فكانوا يقولون لبعضهم : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٣).

ولقد ورد عن أبى الدرداء - رضى الله عنه - أنه أَخْبَرَ أن رجلا من المنافقين يقال له حرملة، قد أحس بالصراع النفسى الذى يعيشه من جراء النفاق، فهو يحمل بين جنبيه نفسا مضطربة غير مستقرة، تجبره على أن يلبس للناس أقنعة مزيفة ومصطنعة، فكان يحاول أن يقنع نفسه بهذا الصنيع الذى ارتضاه لنفسه مسلكا، ولكن هيهات هيهات!! فقد أصبحت نفسه غير محتملة لهذا الذى يجده من الضيق والشك والحرج، حتى لقد شكل له هذا الشعور النفسى الضَّاجر كربا شديداً يرجو تفريجه، ولكن كيف السبيل؟ لم يجد حرملة بُدًّا من الذهاب إلى رسول الله ﷺ لكى يبثه شكواه، ويطلب منه العون على تفريج كربه، ويكمل أبو الدرداء روايته فيقول: جاء حرملة إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله: الإيمان هاهنا - وأشار إلى لسانه - والنفاق هنا - وأشار إلى صدره - ولا أذكر الله إلا قليلا.

---

(١) سورة البقرة : ١٤.

(٢) سورة البقرة : ١٤ ، ١٥.

(٣) سورة البقرة: ٧٦.

وبهذا فقد عرض حرملة شكواه، وجهر بها إلى خير خلق الله، فهو يصف حال المنافقين بدقة وصدق، فهو يشعر بالمرض والعلة، ويلتمس الشفاء والدواء من خاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ . .

ولقد تم تفريج كرب هذا المنافق بدعوات طاهرات دعا له بهن رسول الله ﷺ حيث أخبر أبو الدرداء أن النبى دعا له قائلا:

«اللهم أعطه قلبا شاكراً، ولساناً ذاكراً، وارزقه حبى وحب من أحبنى» فما فرغ رسول الله من هذه الدعوات حتى امتلأ قلب الرجل إيماناً بالله، وحبـًّـا لرسول الله، فما كان من حرملة وقد حول الله حاله إلى أحسن حال، وانطلقت مواهب الخير فى نفسه، فتمنى من كل قلبه أن يذوق المنافقون حلاوة الإيمان الخالص بالله رب العالمين فقال: يارسول الله: أعرف ناساً من المنافقين كنت رأساً فيهم أى أنه يعرف جماعة من المنافقين كان هو زعيمهم - أفآتيك بهم؟ فقال له النبى ﷺ: **«من جاءنا استغفرنا له، ولا تهتك على أحد من الناس ستراً»**. وبهذا يضع النبى ﷺ النقاط على الحروف، فهو يعلم أن داء النفاق داء خبيث، ولن يبرأ العبد منه إلا إذا كانت عنده رغبة فى الشفاء عن طريق المصارحة بالحقيقة كما فعل حرملة - رضى الله عنه - فمن أتى النبىَّ طائعاً استغفر اللهَ له، كما أنه ينبه حرملة بألا يهتك أسرار الناس عن طريق إخباره إياهم بنفاقهم، فما أطيب شمائلك يارسول الله!!

أرأيت أيها القارىء الكريم كيف يشقى المنافقون، وكيف يهنأ المؤمنون؟! فاحذر النفاق والمداهنة، واعلم أن النفاق أخفى على القلوب من دبيب النمل، فسل الله من فضله، وأكثر من الصلاة والسلام على نبيه وعبده سيدنا محمد، حتى تنجلى عن قلبك كل ظلمة ووحشة، والله هو الهادى إلى سواء السبيل.

الباب السابع

أدعية الاستسقاء ونزول المطر



إن الماء نعمة كبرى، ومنةٌ عظمى من الله على عباده، فهو أساس الحياة ومادتها، يقول الله - تعالى -: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾[1] فحيثما وجد الماء وجدت الحياة، وبقدر نضوبه بقدر ما تذوى الحياة، والناس لا يفطنون لهذه النعمة عند وجودها لديهم بوفرة وبكثرة؛ إذ يترسخ فى وجدانهم، ويستقر فى أذهانهم أنه ما لها من نفاد، ولاتتضح لهم قيمة هذه النعمة إلا عند ندرتها، أو بلوغها حد النضوب والانقطاع، أما أهل البوادى والصحارى الذين لا تجرى عندهم الأنهار، أو تتوفر مصادر الماء طوال العام، فإنهم يقدرون هذه النعمة حق قدرها، ويتعاملون معها بمنتهى الحيطة والحذر؛ حيث لا إسراف فى استخدامه، ولكنه ترشيد واعتدال، فإذا ما نفد رصيدهم من الماء أو كاد، فإنهم لايجدون لاستنزاله إلا سبب اللجوء إلى الله، فيستمطرون رحماته بالدعاء والضراعة بما يفتح الله به عليهم بالتعبير بلسان الحال أو لسان المقال، أو بما يجريه الله ـ تعالى ـ على ألسنتهم من دعاء الصالحين، الذين يدعون ربهم رغبا ورهبا، فما يكون من الكريم الوهاب إلا أن يجود بالفضل والإحسان، ولقد بينت الشريعة الإسلامية من بين ما بينت صلاة مشروعة تسمى صلاة الاستسقاء.

ومن الحكم التى يمكن للمرء أن يستخلصها من مثل هذه الشدائد، أنها تربط العبد بخالقه ـ عز وجل ـ فلا يركن إلى الأسباب التى اعتادها وحدها، ولكن عليه أن يرتبط ارتباطا قويا بمسبب الأسباب، فهو وحده الذى يستطيع إبطال هذه الأسباب، وهو وحده القادر على الإعطاء بأسباب وبغير أسباب، فهو السبب الحقيقى لكل خير ونعمة، ودفع كل كرب ونقمة.

فإذا كان الإنسان فى هذه الحياة الدنيا تتقاذفه أمواجها وتياراتها، فأحيانا تنقطع به السبل، وتتوعر عليه الطرق، فتتعثر خطاه تجاه مطالبه، فتساوره الشكوك

(١) سورة الأنبياء: ٣٠.

والظنون فتفسد عليه أنسه بريه، وقربه من خالقه، حتى إذا ما ثاب إلى رشده إذا بأبواب الفرج قد فتحت أمامه على مصاريعها، وإذا به يدرك أن الرجاء والأمل يغلق أبواب اليأس والقنوط.

١ ـ جدب وقحط أهل المدينة

قَحَطَ أهل المدينة على عهد رسول الله ﷺ قحطا بلغ منهم الجهد فيه مبلغا عظيمًا؛ حتى اغبر وجه الأرض، وهامت البهائم على وجوهها فى الفلوات، من البهائم الحائمة والأنعام السائمة، وعجَّت بالأصوات عجيج الثكالى من البشر، فهرع الناس إلى رسول الله ﷺ يستشفعون به إلى الله؛ لكى يرفع عنهم هذه المعاناة.

ونترك الإمام عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ يروى لنا وقائع هذه الواقعة على نحو ما رواه ابن عساكر فيقول: «قحط الناس على عهد رسول الله ﷺ فخرج من المدينة إلى بقيع الغرقد معتما بعمامة سوداء، قد أرخى طرفها بين يديه، والآخر بين منكبيه، متنكبا قوسًا عربية، فاستقبل القبلة، فكبر وصلى بأصحابه ركعتين، جهر بالقراءة فيهما، قرأ فى الأولى: (**إذا الشمس كورت**) وقرأ فى الثانية: (**والضحى والليل إذا سجى**) ثم قلب رداءه لتنقلب السَّنةُ، ثم حمد الله ـ عز وجل ـ وأثنى عليه، ثم رفع يديه فقال: (**اللهم ضَاحَتْ بلادنا، واغبرت أرضنا، وهامت دوابنا، اللهم منزل البركات من أماكنها، وناشر الرحمة من معادنها، ياللغيث المستغيث، أنت المستغفَرُ من الإلمام، نستغفرك للجمات من ذنوبنا، ونتوب إليك من عظيم خطايانا، اللهم أرسل السماء علينا مدرارًا، واكفنا معزوزا من تحت عرشك من حيث ينفعنا، غيثا مغيثا، دارعًا رائعا مُمْرعًا، طبقًا عامًّا خصبًا، تسرع لنا به النبات، وتكثر لنا به البركات، وتُقْبلُ به الخيرات، اللهم إنك قلت فى كتابك: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[١]، اللهم لاحياة لشيء خلق من الماء إلا بالماء، اللهم وقد قنط الناس، أو من قنط منهم، وساء ظنهم، وهامت بهائمهم، وعَجَّتْ عجيج الثكلى على أولادها، إذْ حبستَ عنا قطر**

(١) سورة الأنبياء: ٣٠.

السماء، فدق لذلك عظمها، وذهب لحمها، وذَاب شحمها، اللهم ارحم أنين الآنَّة، وحنين الطانّة، ومن لا يحمل رزقَه غيرُك، اللهم ارحم البهائم الحائمة (الطيور)، والأنعام السائمة، والأطفال الصائمة، اللهم ارحم المشايخ الركع، والأطفال الرضع، والبهائم الرتَّع، اللهم زدنا قوة إلى قوتنا، ولا تردنا محرومين، إنك سميع الدعاء، برحمتك يا أرحم الراحمين) فما فرغ رسول الله ﷺ حتى جادت السماء، وأهمَّ كلَّ رجل منهم كيف ينصرفُ إلى منزله، فعاشت البهائم، وأخصبت الأرض، وعاش الناس».

إنها ضراعة الصدق إلى الله من الصادق الأمين، إنه حسن التوجه إلى الله بما لايخفى عليه، حينما تنقطع الأسباب، وتغلق دونها الأبواب، فالله لايرد واقفا ببابه، أو يعرض عن لائذ بجنابه.

٢ـ قحط الجزيرة العربية فى عام الرمادة

لقد تعرضت جزيرة العرب فى العام الثامن عشر من الهجرة، وفى زمن خلافة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لقحط وجدب بالغ الصعوبة، فيما هو معروف بعام الرمادة؛ حيث أمسكت السماء ماءها فلم تمطر فى ذلك العام قطرة، فأجدبت الأرض، وكانت الريح تسفى ترابا كالرماد، فسمى هذا العام لذلك عام الرمادة، وفيه هلكت الأنعام، وقحط الناس فى المدينة والحجاز قحطا شديداً، و أصابتهم مجاعة تجل عن الوصف والبيان، ووقع الناس - كل الناس - فى كرب شديد، وفاقة لا يستطيع إلا الله وحده تفريجها.

وإذا كان أحاد الناس قد أهمتهم شئون المجاعة فى خاصة أنفسهم، فإن عمر ابن الخطاب قد تحمل فى هذا العام من الهموم والكروب ما يوازى كروب المكروبين من أهل الجزيرة جميعًا، وكيف لايكون كذلك وقد أقبلت جموع الناس من أنحاء الجزيرة ميممةً نحو المدينة المنورة، علّهم يجدون فى رحابها ما يدفعون به عن نفوسهم غائلة الجوع، وعمر يستقبل الجميع ويصنع لهم من التدابير ما يجد فيه مواساتهم، حيث خصص لهم أماكن للإيواء فى نواحى المدينة، كما خصص رجالا يقومون عليهم، ويقسمون عليهم الأطعمة والإدام،

كما كان عمر بطوف بنفسه على أماكن الإيواء، ويواسى الناس بما يصله من ولاة الأمصار من معونة ومدد، وقد تأثر كثيرا بأحد الوفود، وهم نحو عشرين بيتا من قبيلة محارب، حيث قد بلغ بهم الجهد صورة مفزعة، فأخرجوا له جلد ميتة مشويا كانوا يأكلونه، هذا بالإضافة إلى مسحوق عظم يسفونه، فأسعفهم عمر بما كان موجوداً عنده، ثم إنه توجه إلى الله فى هدأة الليل وسكونه قائلا: «**اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد على يَدَىَّ، اللهم لا تهلكنا بالسنين وارفع عنا البلاء**».

ثم إنه لما أصبح الصباح خطب عمر الناس فقال: «**أيها الناس: اتقوا الله فى أنفسكم، وفيما غاب عن الناس من أمركم، فقد ابتليت بكم وابتليتم بى، فما أدرى السَّخطة علىَّ دونكم، أو عليكم دونى، أو قد عمتنى وعمتكم؟! فهلموا فلندع الله يصلح قلوبنا، وأن يرحمنا وأن يرفع عنا المَحْل، أيها الناس: إنى أخشى أن تكون سَخْطَةً عمَّتنا جميعًا. فأعتبوا ربكم، وانْزِعُوا وتوبوا إليه وأحدثوا خيراً**».

كما كتب إلى عماله أن يخرجوا فى يوم حدَّده، وأن يتضرعوا إلى ربهم، ويطلبوا إليه أن يرفع هذا القحط عنهم، وخرج عمر فى اليوم المحدد، وعليه بردة رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى المسجد فخطب الناس وتضرع استغفارا، وأكثر من الدعاء، ثم نزل. فقال له الناس: إنك لم تستق، فقال عمر: لقد استقيت بمجاديح السماء، ودعا عمر العباس بن عبد المطلب ـ عم رسول الله ﷺ ـ فأخذ بيده، وقال فى آخر كلامه: «اللهم هذا عم نبيك ﷺ نتوجه إليك به، وببقية آبائه وكبير رجاله، فإنك قلت وقولك الحق: ﴿ **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا** ﴾[1] فحفظتهما لصلاح أبيهما، فاحفظ اللهم نبيَّك فى عمه».

فقال العباس وعيناه تنضحان: «اللهم إنه لا ينزل بلاء إلا بذنب، ولايكشفُ إلا بتوبة، وقد توجه بى القوم إليك لمكانى من نبيك ﷺ وهذه أيدينا مبسوطة إليك بالذنوب، ونواصينا بالتوبة، فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، يا أرحم الراحمين، اللهم أنت الراعى لاتهمل الضالة، ولا تدَعُ الكسير بدار

(١) سورة الكهف: ٨٢.

مضيعة، فقد ضرع الصغير، وفرق الكبير، وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السر وأخفى، اللهم أغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا، فإنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون. فأرْخَت السماء شآبيب مثل الجبال، بديمة مُطبقة، حتى ساوت الحفر والآكام، وفرج الله عن الناس، وأرسل عليهم من سماء رحمته ما فرَّج به الأزمة، وأخذ الناس يهنئون العباس قائلين: «هنيئا لك ساقى الحرمين»؛ حيث قد سقى الله به أهل حرم نبيه، كما كان يسقى حجيج بيت الله الحرام بمكة.

وهكذا انجلت هذه الغمة، وانقشعت سحائب هذه الشدة، بوضع الأمور فى نصابها، وبسلامة صدر عمر وإخلاصه لربه، وحدبه وخوفه على أمة محمد ﷺ وتلمسه كل الأسباب التى تعين على الخروج من هذه الأزمة، ومن أبرزها التوسل إلى الله بالعباس عم رسول الله ﷺ وهكذا يفعل الإخلاص، ويكون التقرب إلى الله بصوالح الأعمال.

فَعَلِّمى يا أمة الإسلام، واضربى للدنيا الأمثال الصادقة، وأرشدى إلى صراط الله المستقيم، ففى ذلك من العظة والعبرة ما فيه، فاللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، وارزقنا حبك، وحب من أحبك، وحب كل عمل يقربنا إلى حبك يا قوى يا متين.

٣ـ قحط المدينة فى القرن الثالث الهجرى

تعرضت مدينة رسول الله ﷺ لقحط شديد فى القرن الثالث الهجرى؛ حيث أمسكت السماء ماءها، وجفت الزروع والضروع، ولحق الناسَ جهدٌ شديد، وبلاء عظيم، فما كان منهم إلا أن لجأوا إلى الله ـ تعالى ـ يستسقون المطر بواسطة رجل صالح منهم كان ملازما لمسجد النبى ﷺ فبينما هم فى دعائهم إذ أتاهم رجل عليه طِمران خلقان - أى ثياب بالية - فصلى لله ـ تعالى ـ ركعتين أوجز فيهما ثم قام، وبسط يديه إلى الله وقال: «يارب أقسمت عليك إلا أمطرت علينا الساعة» وهنا جاء الفرج القريب، فأبر الله قسم هذا العبد، مصداقا لقول

النبى الكريم ﷺ: «رب أشعث أغبر ذى طِمْرَيْنِ، مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره».

فلم يكد هذا الرجل يرد يده، ولم يكد يقطع دُعاءه حتى تغَشَّتِ السماء بالغيم، وأمْطِرُوا مطرا عظيما غزيرًا؛ حتى صاح أهل المدينة مخافة الغرَق، فقال ذلك الرجل: «يارب إن كنت تعلم أنهم قد اكتَفَوْا فارفع عنهم» فسكن المطر؛ وهدأت الأحوال، واطمأنت الأنفس، وشرب الناس والأنعام، وارتوت الأرض إيذانا بتحول الحال إلى أحسن، ثم إن هذا الرجل مضى إلى محلته، وقد أرسل الله على يديه هذا الخير الوفير، فما كان من الرجل الصالح الذى كان يستسقى للناس أولاً إلا أن تبع هذا الرجل الذى جاء المطر على يديه، حتى عرف منزله، وفى الصباح الباكر ذهب إليه وناداه: يا أهل البيت، فخرج إليه الرجل صاحب المطر، فسلم، وقال له: لقد جئت فى حاجة وأريد أن تقضيها لى، فقال صاحب المطر: وما حاجتك؟ فقال له: أرجو أن تخصنى بدعوة صالحة، فقال صاحب المطر: سبحان الله؟!! أنت صاحب المكانة الرفيعة فى العبادة، وتطلب منى أن أدعو لك؟ وتريد أن أخصك بدعوة؟ قال: نعم، وأسألك أيضا: ما الذى بلغ بك ما رأيت ورأى الناس من سرعة استجابة الدعاء بالأمس؟ فأنت لم تكد تقسم على ربك حتى أرسل المطر مدرارًا، ولم تكد تسأله أن يوقف المطر بعد أن صاح الناس حتى توقف المطر على الفور؟! فقال صاحب المطر: «يا هذا إننى لم أصنع شيئا ليس فى مقدور أحد من الناس، وإنما حالى فى إيجاز شديد، وتلخيص أمين: قد أطعت الله فيما أمرنى به، وانتهيت عما نهانى عنه، فكانت النتيجة أن سألته فأعطانى ما أريد، فله مزيد الحمد والشكر على تقبله لأعمالى، واستجابته لدعائى».

فاللهم أنت ربنا فنعم الرب، وأنت حسبنا فنعم الحسب، ترزق من تشاء وأنت على كل شىء قدير، اللهم ما كان بنا من نعمة منك فمنك، وما كان بنا من غيرك فمنك، أنت أنت، وكل شىء منك أنت، فنسألك بقدرتك على كل شىء أن تسخر لنا كل شىء، وأن تغفر لنا كل شىء، إنك على كل شىء قدير.

٤- استسقاء عبد المطلب لأهل مكة برسول الله- صلى الله عليه وسلم-

لقد تعرضت مكة إلى سنة مجدبة فى عهد عبد المطلب جدّ النبى ﷺ والنبى ﷺ ما يزال فتى صغيراً فى كفالة جده عبد المطلب، وبينما الناس فى هذا الجهد مهمومون مغمومون، وإذا ببشائر الفرج تلوح فى الأفق، فقد رأت امرأة تدعى «رقيقة بنت صيفى بن هاشم» رأت هاتفا فى منامها يصرخ بصوت فيه بحَّة ويقول: يا معشر قريش، إن هذا النبى المبعوث منكم قد أظلتكم أيامه، وهذا إبَّان نجومه، فَحىْ هَلاَ بالحياة والخصب، ألا فانظروا رجلا منكم وسيطا عظامًا جسامًا، أبيض بضًّـا، أوطف الأهداب (طويلها) سهل الخدين، أشم العرنين (أنفه مرتفع)، له فخر يكظم عليه (لايظهره)، وسُنَّةٌ تهدى إليه. فَلْيَخُصَّ هو وولده، وليهبط من كل بطن رجل، فليصبوا الماء، ولْيَمَسُّوا من الطيب، ثم ليستلموا الركن، ثم ليرتقوا أبا قبيس، فيستسقى الرجل، وليُؤمن القوم، فغثتم ما شئتم (أى يأتيكم الغيث الكثير).

فأصبحت هذه المرأة مذعورة، قد اقشعر جلدها، وَوَله عقلها، وقصت رؤياها، فما بقى فى الحرم أبطحى إلا قال: هذه الأوصاف هى أوصاف شيبة الحمد (أى عبد المطلب)، فذهبت إليه رجالات قريش، أو هبط إليه من كل بطن رجل، فشنوا الماء، ومَسُّوا الطيب، واستلموا الركن، ثم ارتقوا أبا قبيس، حتى استووا بذروة الجبل، فقام عبد المطلب ومعه رسول الله ﷺ وهو غلام قد أيْفَع (شب) أو كَربَ، فقال عبد المطلب: «اللهم سادَّ الخلة، وكاشف الكربة، أنت معلمٌ غير مُعَلَّم، ومسئول غير مُبْخِل، وهذه عبيدك وإماؤك بِعَذِرَات (أفنية وطرقات) حرمك، يشكون إليك سِنِيهم التى أذهبت الخُفَّ والظِّلْفَ، اللهم فأمطرنا غيثا مغدقًا، مَرِيعًا مُرْبِعًا».

وبعد أن فرغ عبد المطلب من دعائه والنبى معه، تقول هذه المرأة القرشية: فوالكعبة ما انصرف الناس حتى تفجرت السماء بمائها كالأنهار، واكتظَّ الوادى، وامتلأ الوادى ماء ثجاجًا متدفقا، فلما رأى شيوخ قريش وأجلاؤها هذا المنظر

وتلك الكرامة، فإذا بعبد الله بن جدعان، وحرب بن أمية، وهشام بن المغيرة يقولون لعبد المطلب: هنيئا لك أبا البطحاء، وأنشدت المرأة شعرا تقول فيه:

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا ... فقدنا الحيا واجْلَوَّذ المطر

فجاء بالماء جُوبِىٌّ له سبل ... سما فعاشت به الأغنام والشجر

منًّا من الله بالميمون طائره ... وخير من بُشِّرت يومًا به مضر

مبارك الأمر يستسقى الغمام به ... ما فى الأنام له عِدْل ولا خطر

٥ـ تفريج كرب بنى مُرَّة

لقد تعرضت قبيلة بنى مرة إلى سنة مجدبة، انقطع فيها مدد السماء، ففنيت الزروع، وجفت الضروع، وهزلت الأجساد، فذاب الشحم، ونقَّ العظم، وبلغت الروح الحلقوم، فلم يكن أمامهم من سبيل إلا أن يعرضوا أمرهم على رسول الله ﷺ علّهم يجدون لديه المخرج والسبيل لتفريج هذا الكرب، فقد أطبقت عليهم الشدائد من كل جانب؛ حتى لقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فهى تَتَرَاءَى لهم أضيق من سم الخياط على رحابتها واتساعها، فقد أخرج ابن سعد فى طبقاته الكبرى، وأبو نعيم فى حليته من طريق الواقدى قال: حدثنى عبد الرحمن بن إبراهيم المُرِّى، عن أشياخه قالوا: «قدم وفد بنى مرة على رسول الله ﷺ مَرْجِعَهُ من تبوك سنة تسع من الهجرة، فقال لهم رسول الله ﷺ: **كيف البلاد؟** (أى: كيف أحوال البلاد والأهل) قالوا: والله إنا لَمُسْنِتُون (أى أصابتنا سنة مجدبة) وما فى المال مخ (أى أن هذه السنة الممحلة قد أصابتهم بالجدب الذى قضى على فضول أموالهم وأقواتهم وسائر مدخراتهم، حتى بلغ النخاع واللب، (وهذا كناية عن شدة الجدب والإمحال) ثم إنهم طلبوا من الرسول ﷺ أن يدعوَ الله لهم بأن يرفع عنهم هذه السنة وتلك المعاناة، فقالوا: فادع الله لنا، فنفحهم النبى ﷺ بدعوة نبوية كريمة، فقال: «**اللهم اسقهم الغيث**» فحظيت هذه الدعوة بالقبول من لدن الكريم الوهاب، الذى

يعطى - وحده - بلا أسباب، كما جعلها الله - تعالى - مفتاحاً لتفريج كروب هؤلاء المكروبين المكدودين المجهدين.

فجادت أبواب السماء بالماء المنهمر، الذى عم تلك الديار، فلما رجعوا إلى أهلهم وجدوها قد مطرت فى ذلك اليوم الذى دعا لهم النبى فيه، فلما استقرت أحوالهم، وأخصبت أرضهم من بعد جدب، وتحسنت أحوالهم من بعد إملاق، أرسلوا إلى النبى ﷺ من يخبره بما يسره، فقدم عليه قادمهم وهو متجهز لحجة الوداع فقال مبينا فضل الله عليهم بتفريج كربهم: «يارسول الله: رجعنا إلى بلادنا فوجدناها مصبوبة مطرا بذلك اليوم الذى دعوت لنا فيه، ثم قلَّدَتنا أقلاد الزرع، فى كل خمس عشرة مُطَّرِدَةٌ جودًا، ولقد رأيت الإبل تأكل وهى بُرَّكٌ، وإن غنمنا ما تُوَارى من أبياتنا، فترجع فتقيل فى أهلنا» أى: إن بركة هذه الدعوة قد حلَّت فى الزرع والضرع، فتضاعف الإنتاج النباتى واستراحت الإبل والغنم من الضرب فى الأرض بحثا عن العشب، فالإبل ترعى فى مباركها مما حولها، والأغنام ترعى فى محيط الحى، ثم تقضى وقت القيلولة بين المضارب والخيام. فما كان من النبى ﷺ إلا أن سُرَّ بذلك واغتبط، وحمد الله قائلا: «**الحمد لله الذى هو صنع ذلك**».

* * *

قائمة المراجـع

- القرآن الكريم
- **جواهر التفاسير** - مصطفى محمد المليجى - مطبعة محمد على صبيح - الطبعة الأولى - ربيع أول ١٣٧٧هـ - أكتوبر ١٩٥٧م.
- **التفسير الوسيط** - مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.
- **المنتخب فى تفسير القرآن الكريم** - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - وزارة الأوقاف المصرية.
- **الوابل الصيب من الكلم الطيب** - ابن قيم الجوزية - دار الدعوة ١٩٨٨م.
- **تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين** - شرح محمد ابن على بن محمد الشوكانى الصنعانى اليمانى على كتاب (عدة الحصن الحصين) لابن الجزرى - دار التراث.
- **عمل اليوم والليلة** - أبو بكر بن السنى، مكتبة التراث الإسلامى ١٩٨٢م.
- **الرحيق المختوم فى صفوة الدعاء والتذلل للحى القيوم** - فوزى محمد طاهر، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر - بجدة، بالمملكة العربية السعودية.
- **الدعاء المستجاب من الحديث والكتاب** - أحمد عبد الجواد الدومى - المكتبة العربية.
- **الدعاء**: د. أحمد الحوفى، سلسلة دراسات إسلامية - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مارس ١٩٧٧م.
- **آيات الدعاء فى القرآن الكريم** - الدعاء والقضاء والقدر: د. محمد محمود أحمد، ود. موسى الخطيب، مركز الكتاب للنشر ١٩٩٧م.

- **رجال حول الرسول: خالد محمد خالد** - دار ثابت ١٩٦٤م.
- **من مفاهيم الدعاء فى القرآن:** على المبارك - مؤسسة عز الدين، بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- **الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية** - د. فاطمة محجوب - دار الغد العربى.
- **قصص الأنبياء - المسمى: بعرائس المجالس -** لأبى إسحاق أحمد بن محمد ابن إبراهيم النيساورى، المعروف بالثعالبى - طبعة الشمرلى ١٩٨٢م.
- **كتاب الدلائل - معجزات النبى ﷺ** للحافظ أبى الفداء إسماعيل بن كثير - دراسة وتحقيق: محمد عبد العزبز الهلاوى - مكتبة القرآن بالقاهرة - شعبان ١٤١٩هـ - ديسمبر ١٩٩٨م.
- **منهاج الله فى هداية البشر** - د. فؤاد مخيمر - المؤسسة العربية الحديثة ١٩٨٨م.
- **أبواب الفرج** - د. محمد علوى المالكى الحسنى - دار جوامع الكلم ١٩٩٠م.
- **الدعوات الكبير:** للبيهقى - تحقيق بدر بن عبد الله البدر - منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق - الكويت - ط الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- **الأدب المفرد للبخارى** - مكتبة الآداب ١٩٧٩م.
- **الأذكار:** للإمام النووى - دار الملاح للطباعة والنشر ١٩٧١م.
- **جامع كرامات الأولياء:** يوسف بن إسماعيل النبهانى - تحقيق إبراهيم عطوة، ط مصطفى الحلبى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- **خزينة الأسرار، جليلة الأذكار** - محمد حقى النازلى - ط عيسى الحلبى.
- **الفوائد فى الصِّلات والعوائد** - شهاب الدين اليمنى - مصطفى الحلبى ١٩٦٨م.
- **رياض الصالحين:** للإمام النووى - دار المأمون للتراث.
- **حياة الحيوان:** كمال الدين الدميرى - طبعة الشعب.
- **تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث:** لابن الديبع مطبعة صبيح ١٩٦٣م.

- **الرياض النضرة فى مناقب العشرة:** المحب الطبرى - دار الكتب العلمية ١٩٨٤م.

- **مائة قصة وقصة فى أنيس الصالحين وسمير المتقين:** محمد أمين الجندى - مكتبة النجاح ١٩٩٣م.

- **حياة الصالحين:** عبد المنعم قنديل، مكتبة التراث الإسلامى بعابدين، بالقاهرة ١٩٧٧م.

- **الأحاديث الطوال:** للحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- **مجابو الدعوة:** للحافظ ابن أبى الدنيا - تحقيق وتعليق مجدى السيد إبراهيم - مكتبة القرآن ١٩٨٧م.

- **الأرج فى الفرَج:** للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى - تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ببيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- **سمير الصالحين وأنيس المتقين، الجزء الأول:** أحمد الشهاوى سعد شرف الدين: مكتبة دار التأليف ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- **قضاء الحوائج:** للحافظ ابن أبى الدنيا، تحقيق وتعليق مجدى السيد إبراهيم، مكتبة القرآن ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

- **الاستشفاء بالقرآن والدعاء:** عكاشة عبد المنان الطِّيبى - مكتبة التراث الإسلامى، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

- **الاستشفاء بالدعاء:** إبراهيم محمد حسن الجمل، دار الفضيلة ١٩٧٧م.

- **الذخائر المحمدية:** للسيد محمد بن علوى المالكى الحسنى - دار جوامع الكلم - الدراسة بالقاهرة ١٩٩٣م.

- **معجزات الرسول ﷺ ودلائل صدق نبوته:** للشيخ إبراهيم جلهوم، والشيخ عبد السلام حماد - الدار المصرية اللبنانية - الطبعة الأولى - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

قائمة المحتويات

رقم الصفحة

الفصل الثانى

الفصل الثالث

القسم الثانى

الباب الأول

الباب الثانى

البـاب الثالث

الباب الرابع

الباب الخامس

الباب السادس

الباب السابع

كتب أخرى للمؤلف

١ ـ **قصة دعاء مستجاب** – الدار المصرية اللبنانية

٢ ـ **الأسرة المسلمة: أسس ومبادئ** – الدار المصرية اللبنانية

٣ ـ **الرحلة فى الإسلام** – مكتبة الدار العربية للكتاب

٤ ـ **حضارات ورد ذكرها فى القرآن والسنة** – مكتبة الدار العربية للكتاب

٥ ـ **عداوة الشيطان لبنى الإنسان** – مكتبة الدار العربية للكتاب

٦ ـ **أقباس من قصص السنة** – مكتبة الدار العربية للكتاب

٧ ـ **البيئة فى الفكر الإنسانى والواقع الإيمانى** – الدار المصرية اللبنانية

٨ ـ **الإسلام دين التنوير** – مكتبة الدار العربية للكتاب

٩ ـ **الحشرات فى القرآن الكريم والسنة والعلم الحديث** – المركز العلمى للكتاب ـ مدينة نصر

١٠ ـ **المرشد العلمى فى الحشرات الاقتصادية ومكافحتها** (بالاشتراك)

١١ ـ **المسجد رمز الصمود والتصدى** (تحت الطبع)

١٢ ـ **الإنسان بين العلم والقرآن** (تحت الطبع)

١٣ ـ **المرشد العملى فى التعرف على الحشرات** (تحت الطبع)

١٤ ـ **الاعتدال فيما شاع عن البدعة من أقوال** – مركز الكتاب للنشر

١٥ ـ **بدائع الأقوال فيما يروجه الجهال من البدع والأفعال** – مركز الكتاب للنشر

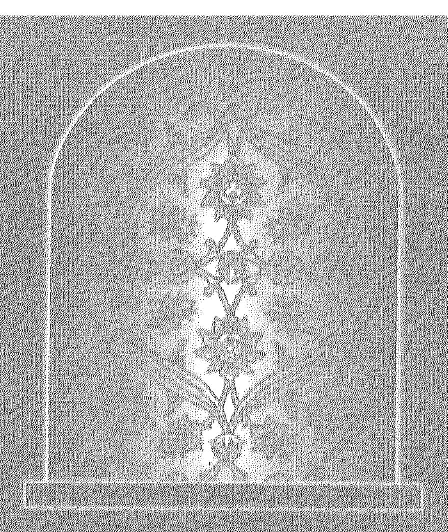
١٦ ـ **ملامح التوجيه الإسلامى للعلوم لدى علماء المسلمين** – مركز الكتاب للنشر.











الدعاء أسرار وأنوار

محاولة متواضعة ، وعرض شيق نقدم من خلاله فقه الدعاء، مشفوعاً بباقات من قصص الأدعية المستجابة ، ذلك لأن الدعاء هو مخ العبادة ، فلو أحسن العبد أداء هذه العبادة على الوجه الأكمل لتوثقت صلته بربه . ولأصبح الدعاء من أمضى أسلحته فى مواجهة الشدائد والأزمات .

ولقد دفعنا لوضع هذا الكتاب ما مست الحاجة إليه من إيجاد مخرج من الأزمات المادية التى أنشبت مخالبها فى سويداء القلوب . محدثة آثارها السيئة فى الجسد والروح .

ومكتبة الدار العربية للكتاب إذ تقدم لقرائها هذا الكتاب، فإنها لترجو لهم الخير والبركة .

الناشر



مكتبة الدار العربية للكتاب